

رواية
أسياد بابل
سلسلة أسياد الصواعق
د. علي مغنم
ساحر الكتب




آشور
N
سيبار
نهر الفرات
نهر دجلة
كيش
بابل
بورسيبا
أراك
ماراد
نيبور
ايسن
أوما
لكش
غابة الوركاء
الوركاء
لارسا
نهر الفرات
إريدو
أور
بحر الخليج
خريطة
بلاد بين النهرين

١- كتيبة لكش

(مدينة (لكش) الأرضية)

على أضواء قمر فضي مكتمل تسلل عدد من جنود مدينة (لكش) محاولين ألا يصدر عن أي منهم صوت قد ينبئ عن هجمتهم المباغتة.. كتيبة انتحارية تألفت من ثلاثين محارب تلقى كل فرد منهم تدريبا عسكريا رفيع المستوى جعله بمثابة كتيبة كاملة.. يقودهم الفتى (لوكالندا) والذي يملك قلبا يضاهي في شجاعته قلب أسد هصور، وجسدا كجسد الثور في قوته ،وعقلا كعقل الثعلب في دهائه.. استحق الفتى بإمكانياته أن يصبح قائدا لفرقة قوية مثل هذه، وها هو يقودهم الآن نحو معركة ستكون هي الأولى في سلسلة هجمات خاطفة على المنطقة الحدودية الخصبة بين مدينتي (لكش) و(أوما).. المنطقة التي تحتكرها (أوما) بشكل مجحف، وتقوم بزرع أراضيها شديدة الخصوبة وتتمتع بما تخرجه من شتى أنواع المحاصيل.. ورغم وقوع المنطقة على الحدود نظريا بين المدينتين، ولكن تتميز المنطقة الحدودية المتاخمة ل(أوما) بارتفاعها عن منطقة (لكش)، مما يسمح ل(أوما) بالتحكم في مسارات أنهار الماء العذب المتجهة للأسفل نحو (لكش)، فتقوم بمنع الماء أغلب أوقات السنة لتحصل أراضيها الملاصقة للحدود على القسط الأكبر

من الماء، في ظلم جليّ للمنطقة المواجهة من (لكش) والتي أصبحت بورا لا تصلح للزرع..

صمت أهل (لكش) كثيرا على هذا الظلم البيّن واضطروا لشراء المحاصيل الزراعية من (أوما) حقنا للدماء، فقد كان جيش (أوما) قويا حقا وشديد التنظيم مما لا يغري أهل (لكش) البسطاء بالتهديد بدخول حرب، فأغلبهم مزارعون ولديهم من الجداول والبحيرات ما يكفيهم بالكاد للعمل والزراعة، وتبقى تلك المنطقة الحدودية وحدها تكفي لإنتاج أضعاف مضاعفة من المحصول..

كلا المدينتين يملكان سجالا تاريخيا من حروب السيطرة منذ القدم.. ولكن تدور دائرة السيطرة الآن لتقف عند (أوما).. يقوم القائد العسكري (شارا) بحكم مدينة (أوما) بيد من حديد، واستطاع الدفاع عن حدودها ردحا من الزمن، بينما لا تملك (لكش) حاكما بعينه، فقط هناك الكاهن الأعلى يقوم بتسيير أعمال البلاد تساعده مفسرة الأحلام والمحاربة ذائعة الصيت (نانشي).. ولكن هناك اسم لا يعلمه أحد من العامة.. لا يعلمه إلا كتيبة الجنود هذه.. إنه القائد (نينكرسو) صاحب فكرة الانتفاض على (أوما) واستعادة حق التشارك بالأرض الحدودية الخصبة.. كان محاربا قويا ضخم الجثة، برز نجمه كمحارب لا يشق له غبار بسرعة قبل أن يُظهر

مهارات أخرى سياسية جعلت الكاهن الأعلى يباركه كقائد سري لكتيبة المقاومة، ويؤيد جميع قراراته والتي كان آخرها هو البدء في سلسلة هجمات سريعة متتالية على الأراضي الحدودية، تقلق كيان الجار المغتصب وتجعله يشعر بأن أمنه الحدودي على المحك، مما قد ينجح في بداية نوع من المفاوضات بين البلدين بخصوص هذا الشريط الحدودي الخصب..

أشار الفتى (لوكالندا) نحو تابعيه من المحاربين بالتوقف فور أن لمح جذوة نيران قريبة.. هذا هو أول معسكر حماية حدودي عند بداية الأرض المحتلة.. حدق (لوكالندا) بعينيه محاولا التحقق من خصومه.. لم تكن الرؤية كافية فأشار لزملائه بأنه سينطلق في حملة استطلاع سرية ليقف على حجم المعسكر الفعلي كما تم التخطيط له مسبقا.. تسلل بخفة بين الصخور والمرتفعات متجها للأعلى.. كانت طبيعة المنطقة الجغرافية تجعل من مجرد فكرة الهجوم مستحيلة.. فالأرض الحدودية الواقعة بمنطقة (أوما) شديدة الارتفاع وكأنها قلعة طبيعية محصنة، يتطلب الهجوم عليها مجهودا بدنيا عنيفا يجعل من مجرد فكرة التسلق نفسها هدفا صعبا يسبق الهجوم نفسه كهدف مستقل بذاته.. لهذا لا يتوقع أي من بالمعسكرات أي هجوم، ولهذا تغافل أهل (لكش) طويلا عن الأخذ بحقهم.. ولكن جاء القائد (نينكرسو) بخطط

جديدة وعزيمة نارية بدأت بتحضير هؤلاء المحاربين على مدى سنين طويلة.. ثم جاء دور استخدامهم وفقا لخطط محكمة..

تواثب الفتى (لوكالندا) وكأنه لا يشعر بالتعب أو الخوف مطلقا، كان يتحرك بين نقطتين متواريتين قبل أن يقف طويلا ليطمئن أن تحركه لم يلتفت انتباه أي أحد.. كان يتسلل وفقا للتدريبات التي قام (نينكرسو) القائد بإلقائها في عقولهم وشعر بالكلمات تنساب لتتكرر وقد استجلبتها ذاكرته بصوت القائد:

(كن يقظا متأهبا على الدوام.. لا تزحف إن كان بمقدورك السير.. قم بتقييم كل مرحلة قبل الانتقال للتالية.. تفقد العتاد وقم بربطه جيدا لكي لا يحدث صوتا.. سنستغل الضوضاء لذا ستجتازون طريق معينة تمر بأضخم روافد أنهار المنطقة ليعطيكم صوت خرير الماء تمويها جيدا.. هناك خطة للطوارئ وأخرى للانسحاب.. لا تجتاز خط الأفق فإن اضطررت فقم باجتيازه زحفا.. الحديث ممنوع، التعامل بلغة الإشارة كما أصبحتم تجيدونها.. الانتقال من الضوء للظلام يكون تدريجيا حتى تعتاد عينيك الرؤية بالظلام.. اعتمد على سمعك أكثر من نظرك.. اكمن من فترة لأخرى أثناء التسلل لتكتشف وجود أعداء قريبين.. لا تحدق بالأشياء

طويلا واسترق نظرة سريعة وافية فالنظر الطويل يجعلك تشعر بالأشياء وكأنها تتحرك كذبا.. النظر يكون بزاوية ٤٥ درجة وليس مباشرةً.. تستطيع تحديد اتجاه الصوت بتحريك الرأس يمينا ويسارا ببطء ومقارنة حدته.. عليكم بحفظ خريطة النجوم تحسبا لأي طارئ أو تيه.. عليكم جميعا زيارة المنطقة نهارا لتتعرفوا على المنطقة جيدا.. السير بظهر منحني يحجب نظر العدو.. القدمان مستقيمان للأمام حتى لا تنحرف الأصابع وتصبح عرضة للاصطدام بأية عائق.. يتم رفع القدم عاليا في كل خطوة والهبوط بالكعب إن كانت الأرض عشبية وبالمشط إن كانت الأرض صخرية.. تجنب تكسير الأغصان المهشمة.. وعند اقترابكم من العدو تنقلب مسيرتكم للزحف البطيء بالانبطاح أرضا وجعل الجسد ملاصقا للأرض بشكل كامل، ثم تتم الحركة ببطء باستخدام الساعدين كمصدر قوة وأصابع القدمين كرافعة ويرتكز الجسد على هاتين النقطتين عندما يرتفع عن الأرض..)

كان يطبق النقاط بحذافيرها وكذلك فعل جميع الجنود.. اقترب في سيره الحريص من جنود المعسكر فانقلب سيره زحفا.. وبدأت أذناه تلتقطا أصوات ضحكاتهم الساخرة الغافلة.. سدد نظرات ثاقبة قصيرة متتابعة ليستنبط خطتهم وأعدادهم وعتادهم.. لاحظ بادئ ذي بدء الجلسات

المتراخية والعيون اللاهية، هذا جيد وسيجعل تأثير صدمة المفاجئة مضاعفا.. الأسلحة الثقيلة متوافرة بمعسكر الخصم بكثرة ولكن لم يكن هذا ما يقلقه.. لقد شدد عليهم القائد (نينكرسو) بخصوص خطر الأسلحة الخفيفة ذات المدى البعيد.. الأقواس والأسهم والنبال، هذه الأسلحة هي الوحيدة القادرة على إفساد هجومهم مهما بلغت قوة أفراده.. ستتكفل الأسهم الطائرة من الارتفاع في القضاء عليهم جميعا، لهذا فإن الهدف الأول من الاستكشاف هو الوقوف على حجم أسلحتهم الخفيفة ومحاولة تدميرها قبل بدء الهجوم الفعلي لتجريد العدو من هذه الأفضلية.. حبس أنفاسه وهو يعدّ عشرة من الجنود، ولكنه لاحظ تجميع خمسة منهم لكنائن أسهمهم معا ببقعة واحدة.. بينما احتفظ كل من الخمسة الآخرين بكنانته بجواره..

فكر مرتجلا.. بإمكانه مباغتتهم وحده بهجوم سريع يقضي على أغلبهم ولكنه سيقضي نحبه في النهاية.. ستكون نتيجة هجوم الكتيبة من بعد ما سيكبد خصومه من خسائر مضمونة الفوز، ولكنه يعلم جيدا أن مجرد خسارته ستحول النصر لهزيمة.. ليس بمغرور ولكنه يعلم جيدا مدى الوقت الذي تطلبه الأمر لتدريبه، والمجهود والأدوات التي تم استهلاكها من أجله، ومن أجل كل فرد بالكتيبة الانتحارية، لذا فكر بعقلانية كما دربه القائد (نينكرسو) كثيرا من قبل..

(فارق العدد وعامل المفاجأة لصالحنا.. فقط العامل الجغرافي هو ما يضيف لقوة الخصم.. ويمكن اختزال هذا العامل في وجود أسلحتهم الخفيفة كما أوضح لنا القائد (نينكرسو) وهي التي ستمكّنهم من استغلال نقطة قوتهم كما يجب.. هدف هذه الضربة هو نفسيٌّ أكثر منه حربي لذا لابد من النصر مهما كلف الأمر.. سنتبع الخطة خطوة تلو الأخرى كما تدربنا عليها..)

تسلل الآن عائدا لباقي كتيبته المنتظرين.. استغرق منه الأمر وقتا طويلا لحرصه الشديد، كما نال منه التعب لصعوبة السير المنحدر للأسفل ولكنه كان الرجل المناسب والذي يتحمل ما لا يمكن للإنسان العادي تحمله.. وصل للرجال فأشار لهم بأن الأمر سيجري كما تم التخطيط له مسبقا ولا يوجد أي تغيير بالخطة.. ثم انفصل عنهم ليتخذ طريقا أخرى جهة اليسار، تبقى نصف الجنود بمكانهم مترقبين بينما استكمل الخمسة عشر الباقين تسللهم للأعلى متخذين نفس الطريق التي سار من خلالها (لوكالندا) منذ قليل، في حين انطلق الفتى نفسه يسير مبتعدا عنهم حتى مسافة معينة قبل أن يغير اتجاهه ليبدأ بالتسلق للأعلى مجددا في خط رأسي موازٍ لخط سير المحاربين.. وهكذا كان نصف عدد المحاربين في حالة انتظار، بينما انقسم النصف الآخر

لشطرين، شطر يسير في طريق مستقيم، و(لوكالندا) - ممثلا الشطر الآخر- يسير في طريق أخرى تبعد عنهم مسافة يسيرة.. بعد هنيهة من الوقت بدأ نصف المحاربين المنتظر يتحرك ليقتفي أثر (لوكالندا)..

بدأ الفتى يقترب لدرجة خطيرة من المعسكر حتى وصل نقطة كان قد اختارها بالأمس بعناية، نقطة تقع بين عدة صخور وتصلح كممر خفي سفلي يصلح لاجتياز الحدود والانتقال للمعسكر المعادي.. كتم أنفاسه وهو يزحف بمنتهى البطء بين الصخور وقد صار يرى أقدام جنود المعسكر فوقه مباشرةً.. من رآه ظنه ميتا من شدة بطء تنقله.. كان يعلم أنه لو نظر أحدهم بين قدميه محدقا بالشق الطولي الواقع بالأرض لرآه.. ولكن لا يوجد مبرر لفعل هذا إلا إن صدر عنه صوت مريب، لهذا كان هدفه الأساسي هو الصبر والأناة في الحركة وتحمّل مرور الوقت وضغط أطراف الصخور الناتئة والذي أدمى أطراف أصابع يديه.. مرّ وقتا كالدهر حتى نجح في عبور الغرفة المكشوفة التي يحتمي بها الجنود، والتي لا يغطيها إلا دائرة خشبية صغيرة تقوم على عمودين بدا كل منهما كجذع شجرة طبيعي وتم استخدامه لرفع السقف غير المكتمل.. انتهى زحفه وأصبح خلف الجنود الآن.. رأى الخمسة كنائن متجمعة بالقرب منه وقد امتلأت بالسهام فانشرح صدره.. وظل كامنا هكذا كتمثال من حجر في

الوضع منبطحا في انتظار إشارة بدء الهجوم ليقوم بدوره الحيوي..

لم يستطيع رؤية قسمي الكتيبة بعينيه، ولكنه كان على يقين من زحف كل منهما جنبا إلى جنب على مسافة قريبة من مكمنه.. وصل القسم الأول لنقطة تمركزه المحددة سلفا مبكرا بينما لحقه القسم الثاني بعد فترة من الوقت.. ثم كمن كلا القسمين ردحا طويلا ليعطيا ل(لوكالندا) كل الوقت المناسب للزحف واجتياز الثغرة والتمركز خلف خطوط العدوّ.. وبعد فترة أكثر من كافية تبادل محاربو القسمين إشارات الأيدي قبل أن يبادرا بالهجوم بالتزامن حسب الخطة..

رفع الجنود الأقواس ثم بدأت السهام في الانطلاق نحو المعسكر.. فوجئ الجنود الغافلين بسيول الأسهم تقض مضجعهم.. طاشت أغلب الأسهم إذ لم يكن محاربوا (لكش) يملكون زاوية رؤية جيدة، ولكن انغرست بعض الأسهم بالأطراف مصادفةً، ونجح سهم ذو حظ في اختراق صدر أحد الجنود وإسقاطه ميتا..

تدافع الجنود مصدرين صيحات دهشة ممتزجة بألم عند بعضهم.. انبعثت الجلبة مع التقاط أربعة جنود أماميين لكنائن أسهمهم بينما تراجع الخمسة الآخرون للخلف لالتقاط

كنائنهم، ليفاجئوا ب(لوكالندا) ينتفض واثبا من الشق الصخري السفلي كالمنبعث من قبره، مطلقا صيحة قتال انفعالية وهو يرمي بأسهمه بسرعة واندفاع ليردي ثلاثة منهم قتلى في لحظة واحدة.. لحقه الاثنان الباقيان فقام بإغماد رأس السهم بعنق أحدهما، ثم حركه يمينا ويسارا ليجتث أوردته بعنف وقد صارت الدماء تتناثر كالشلالات لتغرق وجه (لوكالندا) الذي لم يكف عن الصياح بحماس، وهو يحدق مباشرة في وجه الجندي الصريع الذي كان يصدر من حلقه صوت تحشرج كريه، وبينما يسقط الجندي ميتا لحق الثاني ب(لوكالندا) وقام باستلال سيفه وطوّح به نحو قلبه.. مال (لوكالندا) جانبا برشاقة ليتجنب ضربة السيف وهو يدور حول خصمه ثم يرفع قدمه اليمنى عاليا ويقوم بركل خصمه في جانب وجهه بكاحله بحركة سريعة قوية فيسقطه أرضا يترنح.. كان الجنود الأربعة الأماميين قد بدأوا في إطلاق أسهمهم بالفعل عندما تنامى لأسماعهم الصراع الدائر خلفهم، نظروا بذعر ليجدوا (لوكالندا) ينتزع سيف خصمه ويقوم بنحر عنقه بوحشية، وانتبهوا لأنه قد قتل بالفعل نصف جنود المعسكر وحده، تخبطوا لوهلة ما بين أسهم الكتيبتين القادمة من الأسفل وبين المحارب الذي يقف خلفهم، ولكنهم رأوا في المحارب خطرا أقوى وأشد قربا فالتفوا حوله بدون اتفاق، انخفض بدوره ملتقطا أسهمه

ثم أطلق السهام واثبا جانبا ثم متدحرجا بسرعة ليتفادى أمطار السهام المندفعة نحوه.. أطلق سهمين أصابا هدفيهما بدقة ليتنحى جنديان جانبا مقتولين، بينما احتك سهم بكتفه فندت عنه صيحة مكتومة مع ألمه.. واعتدل بسرعة متحاملا ليلقي بسهمين آخرين أصاب الأول هدفه واخترق قلب الأول بينما ابتعد السهم الثاني عن هدفه مع ألم كتف (لوكالندا) والذي أجبره على تغيير مسار ذراعه المطلقة للسهم، فأصاب فخذ خصمه وأسقطه ظهرا.. صاح (لوكالندا) وهو يعدو نحو خصمه مستنفرا كل عضلات جسده فما كاد الجندي يعتدل ملتقطا سهما جديدا حتى عاجله فتى (لكش) المندفع بأن ركله بقدميه في صدره بقوة عاتية دفعته للخلف بعنف ليحطم اندفاع جسده السياج الخشبي فيجد نفسه يحارب الهواء بيديه قبل أن يسقط من أعلى المنحدر، فظل يسقط مطلقا آهات متقطعة والصخور تتلاعب بجسده المتواثب لأسفل ذات اليمين وذات اليسار، لينتهي أمره بتحطم عظامه وموته قبل حتى أن يتوقف جسده عن السقوط برافد النهر العريض، فانحدرت جثته يجرها التيار المندفع للأسفل حيث أرض (لكش) البور..

احتمى (لوكالندا) بالسياج الخشبي إذ ما زال سيل زملائه المنهمر ينطلق غافلا عن انتهاء مهمته، ثم قام بإصدار صوتا منغوما مميزا بشفتيه متفقا عليه فهم منه المحاربون أن

الوضع قد أصبح ملائما للتسلق بأمان، فتوقف انهمار الأسهم وبدأوا جميعا يتسلقون المنحدر بسرعة وهمّة وبلا حذر هذه المرة ليتقابل أفراد الكتيبتين مع (لوكالندا)، ابتسم لهم بإنهاك ممسكا بكتفه الممزقة وغمغم:

- لقد نجحنا!

ثم جال ببصره في الرجال متسائلا:

- هل من خسائر؟

أجابه أقرب الرجال لديه ممثِّلًا للكتيبة الأولى:

- خسرنا محاربا..

قال آخر نائبًا عن الكتيبة الثانية:

- وخسرنا نحن اثنين..

مطّ (لوكالندا) شفتيه وقد ازدانت ملامح وجهه بألم مضاعف وهو يتمتم هامسا:

- خسارة فادحة..

تنحنح ممثل الكتيبة الأولى وهو يقول له مخففا:

- كان محتملا أيضا تضاعُفُ خسارتنا.. كان ممكنا فشل المهمة وخسارة الكتيبتين.. لولا شجاعتك وقوتك أيها

المحارب (لوكالندا)..

هز (لوكالندا) رأسه ولم يعقب.. برزت ملامح وجهه على انعكاس نيران المعسكر المبددة للظلام وللبرودة.. عينان ضيقتان لامعتان وأنف ضخم أفطس وشفتان ممتلئتان، جبهة عريضة وفك بارز.. تزيَّن وجهه بلحية مجدولة كعادة أهل البلاد ولكن امتازت بقصرها عن لحى الآخرين مما أبرز ضخامة ملامح وجهه بشيء من النفور، وكأنه كان يعلم تأثير ملامح وجهه النافرة فقام بمضاعفة هذا التأثير بتقصير اللحية وشعر الرأس الذي كان يلامس منكبيه بالكاد.. تحرك ببطء ليفترش الأرض مقرفصا، فحذا الجميع حذوه على الفور منقسمين لنصفين كان كل نصف يمثل إحدى الفرقتين، أخذ نفسا عميقا ثم قال بهدوء:

- لقد نجحت مهمتنا.. أزحنا برجال المعسكر الأول وسنقوم بزرع علما يحمل حروف كلمة (لكش) فوق السقف الخشبي.. هذه المهمة نفسية بالمقام الأول، وجُلَّ ما نبغيه هو إلقاء الذعر بقلوب العدو وتوصيل رسالة تهديد قوية المعنى تجعله لا يطمئن ليلا نهارا، موقنا أننا قادرون على الوصول لجنوده والفتك بهم بأي وقت ومهما بلغت استعداداته..

هز الرجال رؤوسهم مستحسنين فأشار لرجال الفرقة الأولى آمرا:

- انتشروا بالمعسكر بهدوء واجمعوا كل ما تجدونه من أسلحة وعتاد وأية وسائل حربية قد تفيدنا.. احملوا ما تقدرون على حمله وقوموا بإتلاف الباقي.. سيكون الإتلاف هو آخر المراحل وسيكون بالحرق لتمتد النيران للمعسكر كله وتحرقه عن آخره..

بدأ الرجال بالتحرك بالفعل فوجّه (لوكالندا) كلامه للفرقة الثانية:

- تفرقوا لقسمين.. قسم عليه التوجه للأطراف حتى حدود المعسكر والقيام بعمل تغذية بصرية عامة، تمنح أفراده القدرة على حفظ كل أجزاء المعسكرات المتاخمة وتسليحها وعدد جنودها وكيفية استعداداتها للدفاع.. والقسم الثاني عليه التمركز هنا والترقب استعدادا لأي مفاجأة غير متوقعة..

سارع الرجال بالتحرك ليأخذ كل منهم موقعا معينا على مسافات متقاربة متساوية بطريقة احترافية مكّنتهم من تطويق المنطقة المحيطة وتمشيطها بصريا.. في حين تحامل (لوكالندا) على نفسه وقام بالاعتدال، ثم اقترب من أحد العمودين الخشبيين اللذين كانا يرفعان السقف الخشبي الدائري، ورغم إصابة كتفه وثب بخفة ليحتضن الجذع الخشبي السميك قبل أن يتسلقه بمنتهى السرعة والخفة

وكأنه سليم لم تمسسه إصابة.. تابعه الجنود المتمركزين بإعجاب ولم يستطع أحدهم أن يمنع تنهيدة إعجاب وهو يراقبه مغمغما:

- يا له من رجل.. كم أغبطنا لوجوده بصفنا..

وصل (لوكالندا) لقمة الجذع والذي كان يخترق السقف السميك.. مال بجسده ليخرج خطافا ماضيا بنطاقه، أدار الخطاف بالهواء ليتضح أنه متصل بحبل مفتول، أدار الخطاف عدة مرات مزيدا في السرعة كل مرة حتى وصل لحد معين قام بعده بقذف الخطاف موجها إياه نحو طرف السقف الخشبي والذي كان يبعد عنه مسافة تقارب الخمسة أمتار.. ولما تجاوز الخطاف السقف قام بجذبه بقوة وبزاوية ميل معينة جعلته يميل وينثني عند قمة السقف، قبل أن ينغرس طرف الخطاف بالخشب بقوة.. قام بشده مرتين ليتأكد من تحمله لوزنه.. أخذ نفسا عميقا تخطى به آلام كتفه التي بعثت بالدوار لرأسه، ثم تشبث بالحبل ورمى نفسه باتجاه الخطاف المتشبث.. تأرجح قليلا بالهواء وهو يقوم باستخدام ذراعيه ليقبض على الحبل مقتربا بسرعة من السقف.. مال جسده متراقصا ذات اليمين وذات اليسار وهو يسارع في تبديل قبضاته على الحبل ليقترب من السقف أكثر.. ليتركه مرة واحدة وهو يثب كفهد قناص مستهدفا

حافة السقف الدائري الخشنة.. أمسكت أصابع قبضتيه بالطرف الخشبي ككلابتين صخريتين تتحديا الجاذبية.. ونظر جميع المحاربين له بانبهار وهو يضم جسده ليثب وثبة أخرى معتمدا فقط على هاتين القبضتين ليصبح جسده بالكامل فوق السقف الخشبي.. تمدد قليلا على ظهره يتنفس بسرعة وقام بتحريك كتفه ببطء ليطمئن على عدم تفاقم إصابتها الحالية، ثم اعتدل ببطء وهو يلقي النظر أولا للخلف حيث أرض (لكش) البور وروافد الأنهار الجافة والصخور المنحدرة للأسفل.. ثم أدار رأسه لينظر للأراضي الخصبة التي من المفترض أن تعج بالمعسكرات الحدودية المدافعة.. لمح أربعة مسعكرات مثّلت قاعدة مثلث كان هذا المعسكر - الذي قاموا باحتلاله للتوّ- هو رأس هذا المثلث.. ساعدهم هذا كثيرا إذ منع تواجد أي معسكر بالقرب وإنما امتدت المعسكرات الأخرى الأربعة على مد البصر في خط واحد أفقي مستمر أمامه.. ميّز كل معسكر بتجمعات النيران التي يستخدمها الجنود الغافلين.. استطاع على ضوء النيران الشحيح تمييز محاربي فرقته الأولى وهم يقومون بتجميع الأسلحة التي لا يبدو أنه تواجَدَ الكثير منها بالفعل هنا.. ورأى القليل يقوم بالتحرك ببطء مدروس لإلقاء نظرة شاملة على حدود المعسكرات الأربعة..

شعر بغريزة المحارب بداخله تدق ناقوسا تحذيريا.. هناك

شيء ما ليس على ما يرام.. شيء أحسته غريزته قبل أن تراه عيناه بوضوح.. لعن ألم كتفه الذي شوّش صفاء ذهنه وحاول تجميع تركيزه فيما حوله.. المعسكرات الأربعة.. تجمعات من النيران.. أمكنه رؤية التجمعات رغم بُعدها المفترض.. هذا غير منطقي.. معنى استطاعته رؤية النيران بهذا الحجم من خلال هذه المسافة يؤكد أنها ليست بنيران تدفئة أو حتى نيران إضاءة.. من العبث وضع هذا التفسير إذ أن أبسط قواعد الدفاع الحربية هي تقليل ما يمكن أن يُحدد موقعك للخصم المتسلل.. هذه ليست بنيران سلمية.. أرادوا نصب فخ لجنود (أوما) ظنا منهم أنهم غافلين ولكن كانوا هم من وقعوا بالفخ.. أهل (أوما) محاربين متمرسين وليس من السهل أن يركنوا للدعة مهما تظاهروا بهذا.. لم يكن جنود المعسكر العشرة هؤلاء إلا كبش فداء لما هو أهم.. كمين لصفوة محاربين أهل (لكش) في حالة أن فكروا في التسلل والهجوم عليهم يوما ما.. ستكون ضربة موجعة لأهل (لكش) تفقدهم كل أمل في استعادة حقهم المسلوب بالأراضي الحدودية الخصبة، وستجعل (أوما) تضغط بقوة أكثر لتكسب شروطا أكثر إجحافا..

هذه النيران ليست إلا وقود.. أتاه الاستنتاج على الفور مع رؤيته لعشرات النقاط الصغيرة من النيران والتي انفصلت عن كل كتلة من كتل النيران الأم الأربع.. إنها أسهم مشتعلة

رؤوسها بالنيران ليكفي سهم واحد منها لإشعال النيران بأي قطعة خشبية أو ورقة شجرة أو حتى ملابس أحد المحاربين..

تدحرج بجسده بسرعة ليسقط بجسده أرضا بفدائية.. امتص جسده صدمة السقوط بأن تدحرج أرضا صائحا في المحاربين جميعا:

- إنه كمين.. أسهم من نار آتية الآن.. الوضع الدفاعي لهجوم جوي..

سمعه المحاربون القريبون وبعض من ابتعد.. تكفّل من ابتعد بنقل الرسالة للأبعد منه لتقوم سلسلة من الرسائل المتنقلة لتوصيل التهديد للمحاربين جميعا.. استغرق الأمر بضعة ثوانٍ قبل أن ينهمر بركان الأسهم النارية على المعسكر بدون تفريق.. ولكن سبق تحذير (لوكالندا) الهجوم بثوانٍ كانت كافية ليتخذ كل جندي أهبته ويتراجع للخلف ثانِيًا ركبتيه لتلامس إحداهما الأرض، مميلا جذعه للأمام بزاوية ٤٥ درجة، ثم يُخرِج درعه المثبت بظهره ويستخدمه أمام وجهه ليجعل منه حائلا يقي جسده بالكامل أي سهم قادم.. لو تأخروا هذه الثواني لهلك أغلبهم بالفعل، ولكن كان لتحذير الفتى (لوكالندا) تأثيرا حيويا في نجاحهم في إنقاذهم لحيواتهم، والتي تعني الواحدة منها الكثير لأهل (لكش)..

(تراجعوا بسرعة للخلف بظهوركم.. توقفوا لحظة ارتفاع الأسهم وسقوطها لتأخذوا وضع الدفاع.. ثم استكملوا تقهقركم للخلف.. هدفنا الحالي هو التجمع تحت السقف الخشبي.. هدفنا النهائي هو تحقيق انسحاب تكتيكي.. نحن المنتصرون حتى الآن..)

تم توصيل الأمر وتنفيذه بمنتهى السرعة بين المحاربين.. دفقات من الحمم انهمرت من بركان نيران العدو كعشرات أو مئات من الأسهم.. وضع (لوكالندا) درعه وقد شعر بسخط بالغ.. هذا العدد من الأسهم لا يليق بمجرد معسكرات حدودية متمركزة.. هذه جيش كامل متفرق لأجزاء.. لقد كانوا يتوقعون أو الأسوأ كانوا يعلمون.. وستكون هذه هي حرب الإبادة لكل محاربي (لكش).. فكّر في الأسوأ.. إن انتهى أمرهم هنا بهذا المكان وفي هذه اللحظة سيستطيع هذا الجيش أن يُغير على (لكش) ويفنيها عن بكرة أبيها.. هذه المعركة التي كانت استنزافية لا أكثر أصبحت تحمل أهمية قصوى الآن.. أهمية تكمن من أن الخروج منها بالهزيمة قد يعني سقوط (لكش) وللأبد.. ويبدو أن القائد (شارا) قائد (أوما) يريد بدء معركته الخاصة وانتزاع (لكش) من براثن الكاهن الأعلى مستغلا حالتها المتردية حاليا، ومستعيدا مجد جده (لوكال زاكيزي) موحّد بلاد (سومر) والذي نشأ من (أوما).. ولكنه لا يعلم أنهم يملكون القائد السري

(نينكرسو) والذي قام بإعدادهم خير إعداد.. ووجد نفسه يقول لنفسه بعزم:

- لن نخذلك أيها القائد (نينكرسو)..

زادت كثافة الأسهم وبدأ الجميع يسمع بوضوح دبيب أقدام جنود مسرعة تتقدم.. سمعوا الصيحات المشجعة قادمة من جهة العدوّ تتخللها الأسهم الساقطة.. اقترب المحاربون المدافعون ببطء منهجي كدائرة تتقلص تدريجيا على نفسها نحو مركزها.. شهد (لوكالندا) بعينيه سقوط ثلاثة محاربين صرعى مع اختراق دروعهم التي لم تتحمل الأسهم النارية.. أصبح المحاربون المدافعون الآن جميعا أسفل السقف الخشبي مما جعل من الأسهم خطرا باهتا مؤقتا.. صاح (لوكالندا) بقوة:

- الخسائر؟

- اثنان من الفرقة الأولى..

- آخران من الفرقة الثانية..

صمت (لوكالندا) والمرارة تسد حلقه لتطغى على روحه.. سبعة محاربين حتى الآن.. لقد انخفض عدد المحاربين ليصبح ثلاثة وعشرين محاربا بالإضافة لوجوده.. خسارة لا يمكن تعويضها.. المحارب الواحد يحتاج لجيل كامل

لتعويضه.. لابد من الانسحاب بأقصى سرعة وتحجيم مزيد من الخسائر في الأرواح.. وفي النهاية اعترف لنفسه لقد كان فخا مثاليا..

سأله أحد المحاربين بنفاد صبر:

- ماذا نفعل الآن؟

فكّر (لوكالندا) بصمت ولكن بسرعة البرق.. أصبح صوت المهاجمين قريبا يمتزج صياحهم بأبواق نفير يعني استدعاء المزيد من الجنود.. توقفت الأسهم وهو المتوقع.. سيتبع الرماة صفوف المشاة ليبدأوا برمي الأسهم من خلفهم كتغطية للهجوم الثقيل بالسيوف.. الأرض منبسطة وستكون المعركة متكافئة جغرافيا.. سيفوز صاحب العدد الأكبر والعتاد الأثقل.. ومما يبدو أن عدوهم يفوقهم أعدادا مضاعفة ويملك تنوعا مخيفا من الأسلحة الثقيلة مع الجنود المهاجمين الآن، وأسلحة خفيفة مع الرماة خلف الجيش المهاجم بكل تأكيد.. لا يمكنهم التراجع فالمنحدر شديد الوعورة، ومن لن يقتله طوفان الأسهم ستقتله سقطة بين الصخور.. لقد تمت محاصرتهم بشكل كامل وتشير المؤشرات بأنه سيتم سحقهم سحقا بين مطرقة جنود (أوما) وسندان المنحدر الصخري القاتل..

أحنى (لوكالندا) رأسه وقال بصوت قويّ النبرات:

- لا تجعلوا من موتكم شيئا سهلًا.. موتوا بشرف ليتذكركم من يأتي من أصلابكم بعزة..

ثم صاح وكأنه يزأر:

- إلى الموت!

٢- أسيـــرة بابل



(بابل) السماوية..

حدقت (إينانا) طويلًا بالنقش الجداري الناطق للجسد الذي رأت شذرة من ملامحه بالأرض، قبل أن يستولي على هالة (حمورابي) الإلهية من بين يديها بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من امتلاكها.. أرادت أن تضيفها لهالتي (جلجاميش) و(سرجون) ولكنها فشلت في مهمتها بسبب تواجد هذا السيّد الغامض القوي.. السيد الذي استطاع وبمنتهى اليسر تحييد قواها وكأنها أحد عوام السماويين.. (مردوخ) سيد (بابل) السماوية ومشيِّد الجدار السحري الذي يخفي مدينته عن كل العيون.. السيد الذي لم يره أحد من قبل.. كانت هي فقط أول من رآه ودفعت ثمن هذا غاليا.. وها هي الآن تتواجد بقلب معبده بعد أن قامت بدون قصد بالتحايل على الجدار السحري والانتقال ل(بابل) السماوية من خلال (بابل) البشرية.. ولكن ليس عليها أن تكثر من التفكير.. لتستخدم قواها كأحد الأسياد وتنتقل بلمح البصر لمدينتها مدينة (الوركاء) أو لمدينة أبيها السيد (إنليل)، لتعيد تقييم وضع العائلة الحاكمة الجديد بعد ضياع هذه الهالة الأخيرة والتي صار يمتلكها الآن السيد (مردوخ)، لا أحد يعلم بنواياه ولكن لا يخفى عن عاقل كونها شريرة وعدوانية.. ارتقت للأعلى وأغمضت عينيها استعدادا للرحيل، فباغتتها صوت رخيم

قوي اخترق عقلها:

(إلى أين أيتها السيدة الصغيرة؟)

جفلت ونظرت حولها فلم تستطع رؤية أي مصدر للصوت.. فعاودها الصوت يقصف وعيها مجددا:

- لا تحاولي البحث عني فأنا أتواجد بكل مكان.. وإن كنت أحب العبث بالعقول..

همست بصوت مرتجف النبرات:

- هل أنت السيد (مردوخ)؟

سمعت ضحكاته الخشنة الكريهة تمزق أذنيها قبل أن تأتيها الإجابة:

- السيد (مردوخ) هو سيدي وسيد (بابل) وسيد جميع أسياد السماويين والأرضيين قريبا.. أعطيتني شرفا لا أستحقه..

ارتجف جسدها كله.. إن كان هذا الكائن القادر على اختراق عقلها هو مجرد تابع ل(مردوخ)، فكم تبلغ قوة السيد نفسه؟

سألته بتوجس:

- أأنت أحد الأنوار؟

أتاها الرد على الفور:

- أنا سيد السحر.. أنتمي لفئة السحرة ولكني أفوق أقواهم قوة وعلمًا.. وُهِبت السحر السماوي وصقلت هبتي بالتقاط قبس من سحر الأرض..

استنتجت على الفور أن هذا الساحر هو حلقة الوصل بين سحر الأرض والسماء.. وأنه هو من قام بنقل جزء من سحر السماء للأرض.. وأنه السبب الرئيسي لاختلال الصلة بين العالمين.. وأنه ولابد هو من قام بتحطيم حواجز الدهر عن عمد بفعلته هذه والتي يبدو جليا أنها جزء من خطة سيادة وامتلاك تخص السيد (مردوخ).. كان انجلاء الحقائق سريعا بطريقة أدهشت (إينانا) نفسها.. ووجدت نفسها تتعجب مما حدث.. ولكن زال العجب مع إضافة سيد السحر:

- أفكارك ملكي.. أقرأها ككتاب مفتوح الضفتين أمامي.. وأستطيع زرع ما أريده وسطها كما يلقي الفلاح ببذوره أرضا بدون جهد..

تحوّل توترها لغضب عاتٍ وهي تقول مهددة:

- سأخبر السيد (إنليل).. لن تستطيعوا تجاوز أسياد الصواعق..

كانت الضحكة أكثر صخبا هذه المرة وقد فاحت منها

سخرية واضحة قبل أن يقول:

- وأين هؤلاء الأسياد؟ جدكم الأكبر اغتيل واحترق حيا حتى تفحّم.. أبوكم استسلم وقام بتسليم مدينته (نيبور) منذ قليل لاثنين من مرتزقة الأسياد.. أخوكي فرّ هاربًا كجرذ أليف بعد أن تم سحق مدينته (ماراد) التي صارت ملاذا للعقارب الآن.. سيدتي الصغيرة كفاكِ أحلاما ولتهبطي لأرض الحقيقة.. لم يعد هناك أسياد للصواعق..

ثم أضاف بصوت مخيف كالزمجرة:

- لقد بدأت حقبة التمرد للتوّ.. حقبة دموية عنيفة لن يستطيع أن ينهيها إلا سيد (بابل) السيد (مردوخ) وسيد السحرة (النمرود)..

تلقت وابل الأخبار السيئة بقلب واجف وعقل جامد.. هل حقا ما قال؟ هل انتهى أمرهم جميعا بهذه السهولة؟ دارت حولها تبحث عن (النمرود) وقد شعرت بالرغبة في الثأر تسري في عروقها بدلا من الدم السماوي.. إن كان هناك سبب لكل ما حدث من مجازر لأهلها فسيكون سببه ومحركه وباعثه الأصلي هو (النمرود) بنقله للسحر السماوي.. هو المسؤول عن قتل وتفرق كل عائلتها وكل من أحبته يوما.. وماذا عن (نينشوبور) والحكيم (ماندانو)؟ ماذا عن أهالي مدينة (الوركاء) المسيكنة والذين لم يعد لهم حامي بعد

الآن؟ ستنتقم لهم جميعا.. وجدت نفسها تلوّح بقبضتها في كل مكان وقد تجسد حولها زوج من الأسود الذهبية الضخمة، صائحة بجنون:

- أين أنت أيها الجبان؟ اظهر لي نفسك.. أريد أن أقتلك بيدي هاتين..

ردّت عليها ضحكاته المستهزئة التي أعقبها بقوله:

- ستقتلينني بيديك العاريتين وهذين الأسدين الأليفين؟

ردت عليه بقسوة:

- وهالتين لاثنين من أسياد البشر!

جاوبها صمت مطبق أقلقها.. اختفى تماما صوته وضحكاته.. استعادت رشدها لتدرك أخيرا أن هذا هو مبتغى محدثها منذ البداية وربما كان السبب الخفي لاحتجازها.. الإفصاح عن أسرارها ودفعها لاستخدام الهالتين الإلهتين.. سيده (مردوخ) يرغب في استكمال تجميع ما فاته من هالات إلهية بلا شك.. وقد كانت هي على وشك أن تعطيه مراده.. لذا لاذت بالصمت وأغمضت عينيها لتغادر المعبد والمدينة بأسرها لتنتقل ل(الوركاء).. ولكن لم يحدث شيء..

عاد صوت (النمرود) أخيرا ولكنه بدا أقل حدة وهو يقول:

- لا مجال لاستخدام قدراتك هنا.. الجدار السحري المحيط يمنع التحرك في كلا الاتجاهين ولا يفيد معه أي سحر سماوي أو أرضي.. فكما صنعه سحرهما معًا لا يجبّه إلا سحرهما معًا أيضا..

صمتت بعد أن أيقنت من صحة ما قاله، ووجدت نفسها تتمتم لا إراديا:

- أنا سجينتك إذًا..

رد عليها بإيجاز:

- حتى حين..

أضافت في نفسها حتى تحصل على الهالتين الإلهتين..

قال لها (النمرود) متنزها وسط أفكارها:

- هذا صحيح..

شدت قامتها وخاطبته عقليا بدون تحريك لسانها لتتحداه:

- هذا لن يحدث..

طال صمت (النمرود) ثانيةً هذه المرة وكأنه لم يتوقع تجاوبها مع الموقف بهذه السرعة ورد فعلها المتماسك، ثم قال بهدوء مثير:

- أخوك.. (نينورتا).. لقد اختفى من العالم السماوي.. لا أشعر بوجود عقله بعالمنا وهذا لحسن حظه.. إن بقي هنا لاستطعت إيجاده وأسره وإجبارك على تسليمي الهالتين الإلهتين مقابل رأسه.. اختفاؤه لا يعني إلا أنه قد اتجه للأرض الضعيفة..

اكتسبت نبرته تهديدا قويا وهو يقول:

- سأجده.. سأنقّب الأرض كلها حتى أنجح في العثور عليه.. وأعدك حينها أنك ستتوسلين إليّ لكي تهبيني الهالتين عن طيب خاطر..

قالت له بقوةٍ اكتسبتها للتوّ وثقةٍ واضحة:

- لن تجده.. لن تستطيع إيجاده حتى يكون هو قد أنقذني من بين يديك أولًا..

رد ببساطة:

- أتمنى أن يحاول البحث عني.. سيوفر عليّ تكبد العناء..

ثم أضاف بخبث:

- ولا تعتقدي أن مرور الوقت سيكون في صفك.. لا أتوقف يوميا عن محاولة صنع سحر يسلبك هالتيك.. ولن يطول الأمر صدقيني فأنا بارع فيما يتعلق بالسحر..

سقط قلبها بين قدميها مع هذا القول والذي يعني أنه قريبا سيصير بمقدوره التحكم في سر قوتها.. لا يبدو أنه يكذب خاصةً فيما يفيد بأنه ساحر أريب.. ورغما عنها سقطت دموعها على وجنتيها وهي تفكّر في المأزق الذي لا يبدو وأن له مهربا.. ودّعها (النمرود) بقوله الشامت:

- هكذا يا صغيرتي تتصرفين كما يليق بك.. أكثري من البكاء ومن رثاء النفس.. واصرفي هذين الأسدين فوجودهما ليس ذي فائدة لكِ.. وقومي بتجهيز الهالتين فقبضتا السيد (مردوخ) تتحرقان شوقا لإضافتهما لما لديه من هالات..

تخاذلت قدماها فوجدت نفسها تتربع الأرض مع صوت (النمرود) الذي صار خافتا الآن مع قوله:

- إلى اللقاء حتى حين..

٣- إنليل أسيرا

(نيبور) السماوية..

تراص جيش العقارب صفا واحدا كالبنيان المرصوص أمام أسوار (نيبور) الشمالية.. يتقدمه السيد (أمورو) بزيه البدوي وأحباله الملتفة حول أصابع يديه، وبجانبه السيدة (إيشارا) كجسد مكفن بالبياض.. يتخلف عنهما المارد (عسق) بجسده الذي ناهز ارتفاع الأبراج.. كان (عسق) ينظر للأسوار المدججة بالجنود والسلاح هازئا وهو يقول بصوت مرتفع:

- عجبا.. إنهم في حالة استعداد كامل للحرب.. ألم يصلهم خبر سحقنا لمدينة (ماراد) -المدينة الحربية- بمنتهى السهولة وإجبارنا لأحد أسياد الصواعق على الفرار كالمجذوب من ساحة المعركة؟ ألا يفهمون منطق القوة؟

جاء صوت (إيشارا) يقول ساخرا:

- كف عن التفكير عزيزي المارد.. ليس من ضمن المهام الموكلة إليك..

زمجر (عسق) بغضب ولكنه لم يرد.. في حين انحنى (أمورو) على (إيشارا) يسألها بهمس:

- هل أنتِ متيقنة من هذا الأمر؟ هل سيصير بإمكاني

امتلاك كل هذه القوة؟

ردت عليه بثقة لا متناهية:

- إنه أمر عليّ يسير.. ستستهلك قدرا هائلا من كينونتي المكتسبة حديثا من الساحر (إيرا كال) ولكني سأكون قادرة على فعلها.. وحتى إن فقدت كينونتي حينها فلن أكون حزينة.. سيتعدى مكسبنا الخيال..

عمّ صمت هائل اكتفى فيه الطرفان بالتحديق في بعضهما البعض.. نظرات الجنود كلها تحدي وتصميم ولا ينتابها شائبة خوف أو حتى قلق.. إنهم عازمون على الاستمرار حتى النهاية من أجل مليكهم ومحبوبهم والوريث الشرعي لمملكة السماويين السيد (إنليل)..

ظهر أخيرا (إنليل) يعلو الغمام الطافي فوق الأبراج.. طار الغمام لينقله مباشرةً لبقعة تقع في مواجهة ثلاثي المنقلبين.. بدا وجهه غاضبا قاسيا قويا لدرجة بعثت برجفة لحظية بجسد (أمورو) قبل أن يتغلب على خوفه ويقول بسخرية بعد أن تذكر أن له موقف الأفضلية:

- أهلًا بسيد الصواعق..

رد عليه (إنليل) ببرود:

- الراعي المحتال.. أين كنت مختبئا طيلة هذه السنين؟

أجاب (أمورو) وقد استشاط غضبا:

- أتريد اختبار صبري؟ لا أنصحك بهذا.. فجيشك ومدينتك وقاطنو المدينة أجمعين على وشك الانمحاق خلال ساعات.. قم بانتقاء آخر كلماتك بمنتهى الحرص لأنها ستكون آخر ما سنتذكره.. وباستثنائي أنا وسيدة العقارب فلن يظل أحد حيا ليتذكرك من الأساس أنت أو كلماتك..

قال (إنليل) بحسم:

- لن تكون هناك حرب..

اتسعت ابتسامة (أمورو) وقد تغلغلت بداخله قوة موقفه هنا وفي هذه اللحظة، وقال ساخرا:

- ولماذا أوافق على استسلامك؟ ولماذا أتفاوض معك؟ لماذا لا أكتفي بسحقك أنت وجيوشك كما فعلت ب(ماراد) وحولتها لمدينة العقارب؟

قال (إنليل) بهدوء:

- لن تكون معركتك بلا ثمن.. سأحرص شخصيا على انتزاع رأسك من فوق جسدك قبل أن تسقط (نيبور)..

ضحكت (إيشارا) بسخرية لتتدخل في الحوار قائلة:

- كما فعل ابنك الهارب!

جاهد (إنليل) لكبت عواطفه وهو يقول بانفعال مكبوت:

- حاولي اختبار قوتي وستدركين أنكم لم تواجهوا إلا طفلي..

صمت السيدان أمام ثقة (إنليل) القوية فاسترسل بقوة:

- أمامكم اختياران.. الأول هو أن تقوموا بإعلان الحرب.. ستكون حربا مدمرة.. قد تنجحون في سحق الأسوار ودك البوابات.. قد تقتلون الجنود وتقطع عقاربكم الأجساد.. ولكن ما سيحدث لكم أنتم الثلاثة لن يكون شيئا لطيفا.. لن أكون متساهلا معكم.. ستمزقكم صواعقي وتعميكم سحبي.. عواصفَك الرملية التي تتباهى بها لن تستطيع الصمود أمام عاصفة أصلية واحدة من عواصفي التي تموج بخيوط البرق الصاعق وهزيم الرعد المزلزل.. غزلانك المجنحة ستقوم بتوصيل تيار الكهرباء من جسد غزالة لأخرى حتى تفنى عن بكرة أبيها في لمح البصر.. وأنتِ يا سيدة العقارب، عقاربك السوداء ستحترق وتصير رمادا تذروه الرياح بشرارة تبدأ عاصفة عاتية من قلب الأرض التي تحملها.. سأحطّم كل ما تقومين الآن بحفره أسفل المدينة من أنفاق دودية بدهاءٍ ساذج، وسأصنع أنهارا من الصواعق تغرق عقاربك المتسللين

كحشرات مائية تافهة بقلب هذه الأنفاق التي ستصير مقبرتها النهائية.. وأنتَ أيها المارد المتبجح لن تحتاج مني إلا لصاعقة واحدة مركَّزة تمزق لحمك السمين لقطع ناضجة تكفي لإطعام جميع أهل (نيبور)..

زمجر (عسق) مع الإهانة المباشرة وأخذ حركة متهورة للأمام وكأنه سيندفع للهجوم على (إنليل) فقام (أمورو) بالقبض على ساعده بقوة ليمنعه مغمغما:

- كفى حماقة!

كانت كلمات قوية أصابت السيدين في مقتل.. أوضح لهما أنه يعلم بجميع خططهم ونقاط قوتهم.. فسّر لهم كيف سيقوم بهزيمتهم مبرزا مدى قوته ودهائه.. لا يبالغ فيما يخص قوته كأحد الأسياد فالجميع يعلم مدى قوة أبيه السيد (أنو) أقوى الأسياد جميعا بما فيهم وحوش الأسياد المروضة وغير المروضة.. وقوة كهذه سيتم تمريرها لابنه بلا شك.. وهم لا يودون بالطبع اختبار صحة قوله بقدرته على سحقهم جميعا.. فعليا لا يرغب أحدهما في قتاله، ليس بسبب قوته فحسب، فإن كان هذا السبب وحده لغامرا وشرعا في منازلته.. ولكن كان هناك ذلك السبب الخفي بينهما والذي يدفعهما للإبقاء عليه حيا..

لذا فقد قال (أمورو) بهدوء سائلا:

- والخيار الثاني؟

تنفس (إنليل) الصعداء وهو يكمل ببساطة:

- تقبلان تسليم (نيبور) لكما بدون حرب مقابل أن أقوم بتسليم نفسي لكما.. تفعلان ما تريدان بي وإن كنت أعلم يقينا أن أول خطواتكم ستكون إعدامي..

تحدثت (إيشارا) بسخرية هذه المرة:

- وهل تضمن كلمة اثنين من مرتزقة الأسياد مثلي أنا والسيد (أمورو)؟

قال (إنليل) محاولا استغلال حكمته ولباقته قدر ما يمكنه:

- لم تعودا من المرتزقة الآن.. تطالبان بحقكما في حكم مدن سماوية وأن تصبحا سيدين أصليين.. لن تعيشا مرتزقة للأبد.. تريدان مدينة حقيقية تعج بالسكان وليس أنقاض تعيث بقلبه العقارب فسادا.. شئتما أم أبيتما فإن الوفاء بكلمتكما بالإبقاء على أهل (نيبور) ستكون هي حجر الأساس لكسب ثقة كل من حولكما من سماويين عواما كانوا أم أسياد، وخطوة أولى لبدء الاعتراف بكما كسيدين حقيقين وليس كزوج من المرتزقة.. سيأتي العديد يطالب بحقه في سيادة حكم المملكة السماوية وحينها قد يكتفي منكما بكلمة

قد تقيكم حروبا لا قِبَل لكما بها.. ولكي تكون لهذه الكلمة قيمة حينها ستحتاجان لأن تفيا بكلمتكما الآن.. والحقيقة المؤسفة هي أن عصر الحروب قد بدأ لتوه بالفعل وتحتاجان لجيش من المرتزقة يقوم بالعمل اليسير.. لا يمكن لكما فعل كل شيء بأيديكما وبواسطة هؤلاء العقارب..

ساد صمت مهيب للحظات لم يجرؤ أحد على بتره.. ألقى (أمورو) نظرة خاطفة على (إيشارا).. ورغم أن وجهها كان مغطى بالكامل بالأقمشة البيضاء فإنه كاد أن يرى ابتسامتها العريضة.. لقد أزال الحكيم بكلماته الحرج عنهما وساعدهما في تنفيذ مخططهما الخبيث بالفعل..

تنهد (أمورو) قائلا:

- صدقت يا ابن (أنو).. لتكن كلمتنا أمام كلمتك.. لن نريق الدماء.. وستسلمنا حكم مدينة (نيبور) وتسلمنا معها نفسك نفعل بك ما نريد..

قال (إنليل):

- لك كلمتي..

خطا (أمورو) خطوتين وقد رسم ابتسامة لزجة عريضة على شفتيه.. تخطى (إنليل) حتى صار يحلق فوق رؤوس جنود الأسوار.. قام بالتحديق في وجوههم للحظات ليعطي

كلماته التأثير المناسب قبل أن يصيح بكل قوته لتصل كلماته للجميع:

- يا أهل (نيبور) الأعزاء.. لقد صرتم أهلي الآن.. سأقوم بحكمكم بالعدل واستيفاء جميع ما تحتاجون.. سنبدأ معا حقبة من القوة فقط والقوة لا غير.. سيصير الجميع جنودا.. الرجال والنساء محاربون، والأطفال متسللون، والشيوخ عاملون في التسليح قدر ما استطاعوا.. تحاربون وفق إشارتي ولكم ألا تجوعوا فيها ولا تشقوا.. وأعدكم جميعا بأنني لن أقوم بقتل سيدكم السابق (إنليل) وسأبقيه زائرا معززا مكرما بغرفة واسعة أسفل القصر حتى حين..

تبادل الجنود نظرات امتزج فيها الأمل بالشك.. هل حقا ما يقول؟ لا توجد حرب؟ لن يموت أحد اليوم؟ لن يؤخذ أحد أسيرا؟ لن يتم قتل سيدهم المحبوب والتنكيل بجثته؟ لقد فاق هذا كل احتمال وتعدى توقعات أكثر المتفائلين.. حتى (إنليل) نظر له شذرا متعجبا من سرعة استجابته لكلماته المنمقة.. ظن أنها قد انطلت عليه وأن تضحيته قد لاقت أثرا إيجابيا..

ولكنه لم يكن يدري كم كان ساذجا حينها..

وهكذا تم الاستيلاء على (نيبور) سلميا بدون إراقة قطرة دم واحدة كما خطط (إنليل)، الذي سلّم يديه للقيود ليتم

وضعه بغرفة واسعة فسيحة بالفعل كما وعده (أمورو).. وعاد الجميع لمنازلهم لم يمسسهم سوء.. وتحدث الجميع عن عدل (أمورو) الذي صار لقبه الجديد هو الراعي العادل.. وحده (عسق) بدا غاضبا بشدة بعد أن تم حرمانه من وجبة دموية شديدة الدسامة.. ولكنه هنأ بالا لما اقتربت منه (إيشارا) هامسة بأذنه بتلذذ:

- لا تقلق.. الدماء قادمة قريبا.. وقريبا جدا..

٤- القائـــــد



نينكرسو



نانشي

(لا داعي للموت اليوم!)

فوجئ المحاربون بالقائد (نينكرسو) شخصيًا يثب من خلف السياج الخشبي المتهدم من جهة المنحدر الصخري ليحط على قدميه بأرض المعسكر، تلته فتاة طويلة القوام رياضية الجسد تتقلد لباسا حربيا مدجج بعدة خناجر بنطاقه، تربط عصبة زرقاء بجبهتها.. كان لظهورهما وقع السحر على معنويات الرجال الذين خُيّل إليهم أن الأرض قد اهتزت مع هبوط الجسد العملاق ل(نينكرسو) عليها، والذي تلته وثبة (نانشي) الخفيفة.. ارتفعت معنوياتهم وهللوا لرؤيتهما وكأنهم قد انتصروا بالفعل رغم خطورة موقفهم.. وحده (لوكالندا) نظر مليا لوجه (نينكرسو) وسيم القسمات ذو اللحية المجدولة فضية اللون والمتماثلة مع لون شعره الفضي المنسدل على كتفيه، ينظر إليه وكأنه يحاول سبر أغواره.. كان يعلم بحسب التعليمات وجود خطة احتياطية، دائما وأبدًا لابد من وجود خطة احتياطية واحدة على الأقل قبل البدء في الهجوم الفعلي.. هكذا تعلموا من القائد (نينكرسو) نفسه.. ولكن هذه المرة احتفظ القائد لنفسه بالخطة الاحتياطية.. أوضح لهم أنه من الأفضل لهم وللمصلحة العامة أن تظل سرا عنهم.. وافقوا جميعا لثقتهم اللامحدودة فيه وحكمته وبراعته العسكرية والتي يعوّلون عليها جميعا في سبيل انتصار (لكش) على (أوما).. ولهذا وبمجرد ظهوره فهم (لوكالندا) أن هذه هي الخطة

الاحتياطية.. تدخُّل (نينكرسو) ومعه المحاربة ومفسرة الأحلام (نانشي).. ولكن ما الذي يمكن أن يقدمه فعليا في هذا الوقت العصيب اليائس؟

صاح بهم (نينكرسو) بحماس:

- تجمعوا بالمنتصف أسفل السقف الخشبي.. لتلتصق أجسادكم ببعضها البعض..

سارع المحاربون يسبقهم (لوكالندا) لتنفيذ الأمر بدون تفكير.. وبينما يدفعون بأجسادهم لتلتصق دماؤهم وعرقهم كان يقول لهم راكضا نحو أحد جذعي الشجرة الداعمين للسقف:

- كنا نعلم من البداية بوجود خائن بالصفوف.. قمنا باستغلاله كطُعم لاجتذاب قواتهم كلها لهذه النقطة.. ستكون نهايتهم هنا وسينتهي اليوم باحتلالنا للمنطقة الحدودية الخصبة بالكامل.. تحيا (لكش)..

انطلقت صيحاتهم الحماسية من الحلوق شاعرين بالنصر وقد تحقق بالفعل.. شعور يناقض تماما الوضع الراهن ولكنه ينمّ عن مدى ثقتهم ب(نينكرسو) وبراعته.. وقف القائد بوسطهم مستندا لأحد جذعي الشجر الداعم للسقف مربتا على أكتاف القريبين منه، بينما وقفت (نانشي) بجانبه

واضعةً يديها بخصرها، ثم أشار للأعلى قائلا:

- لننقسم لنصفين.. استخدموا سيوفكم كمعاول وخناجر وقوموا بصنع فجوة بالمنطقة التي تلتقي فيها أكثر نقاط كل جذع خشبي ارتفاعا بالسقف.. الجزء الأمامي فقط واتركوا الخلفي.. تكاتفوا بقوة وسرعة لنقوّض السقف ونجعله يميل ليسقط للأمام..

ثم أشار لنقطتين تقع كل منهما بالجزء الأمامي لأعلى كل من جذعي الشجرتين الرافعين للسقف موضحا:

- بالضرب بهذه النقطة بالأمام فقط نجعل السقف يميل ويسقط للأمام وليس للخلف أو أحد الجانبين..

سارع المحاربون وقد انضمت إليهم (نانشي) لتنفيذ الأمر وقد انتابتهم فورة حماس محموم.. اقترب الجنود المهاجمون كثيرا.. بدأ الضرب بنصل السيوف ليمزق الخشب بسهولة.. كان الضرب فنيا أكثر منه قويا..شاركهم (نينكرسو) بنفسه في صنع الفراغ الأمامي المناسب لجعل السقف يميل.. بدأ السقف يتحرك.. وبينما يميل ببطء للأمام مصدرة صوتا خشنا كوحش يتمطى كان (لوكالندا) يقترب من (نينكرسو) مغمغما متسائلا:

- أيها القائد.. هل يوجد مدد آتٍ؟

كان من الواضح ل(لوكالندا) أن (نينكرسو) و(نانشي) قد تتبعاهم متسللين خفيةً كجزء من الخطة الاحتياطية.. لم يرغب في معرفتهم بوجودهما بالخلف.. وقام (لوكالندا) بالفعل بدوره كقائد للفرقتين ونجحت المهمة الخاطفة بالفعل قبل أن يُفاجَؤوا بالكمين القاتل المباغت المنصوب لهم.. وهذا يعني أنه كما كان جنود معسكر (أوما) الصرعى طُعمًا لإسقاطهم فقد كان أفراد الفرقتين المتسللين أيضا طُعمًا لخطة (نينكرسو) الغامضة، طُعمًا غاليا ولكن الهدف هو النصر النهائي كما أوضح منذ قليل والذي يرخص في سبيله أي ثمن، ولتحقيق النصر النهائي لابد من وجود إمدادات بالخلف تسللت مع (نينكرسو) وإلا فلن يأتي النصر بكل تأكيد من مجرد إمالة السقف والاكتفاء بالقرفصة خلفه..

ردّ (نينكرسو) باختصار:

- بكل تأكيد..

اكتمل ميل السقف ليسقط مصدرا قرقعة هادرة امتزجت بصفير ريح بعثرت طبقة الرمال الخفيفة لتجعلها تطير بالأجواء كغلالات صفراء حجبت الرؤية مؤقتًا.. عمل السقف كحائل دائري كافٍ لإخفاء أجساد جميع المحاربين المتكتلين خلفه.. تراجع (نينكرسو) للخلف آمرا الجنود:

- لا تفعلوا شيئا واكتفوا بالتقوقع..

ثم ألقى نظرة خاطفة نحو (نانشي) قائلا:

- بادري بالهجوم عندما يحين الوقت..

لم يفهم (لوكالندا) مقصد القائد ولكنه اكتفى بالتحفز خلف (نانشي) لِمَا هو آتٍ..

لما رأى جنود (أوما) المهاجمين صنيع محاربي (لكش) المفاجئ توقفوا لحظة مبهوتين.. لحظة تراجع خلالها (نينكرسو) ليقف عند حافة السياج ليرشد عددا من المحاربين كانوا يتتبعون تسلله المتسلق للمنحدر وينتظرون تدخله ليعلنوا عن وجودهم.. وثب عدد من المحاربين من جهة المنحدر تعدى العشرين محاربا تقلّد كلّ منهم رمحا طويلا شهره أمامه بتحفز وبرز رمح آخر مثبتا بظهره.. نظر (لوكالندا) بانبهار نحوهم متمتما:

- فرقة قاذفي الرماح..

كان العدد الكلي لكتيبة محاربي (لكش) الذين قام (نينكرسو) بتدريبهم يبلغ ما يقارب الخمسين محاربا أو أكثر قليلا.. منهم فرقة الثلاثين محارب والذين يجيدون القتال والكرّ والفرّ والتسلل والضرب بالسيف والأسهم والقتال بالأيدي العارية، وكان (لوكالندا) هو قائد هؤلاء الثلاثين.. ثم تواجدت فرقة قاذفي الرماح، وهي تتألف من ما يزيد

عن العشرين محارب بقليل تقودهم (نانشي).. اقتصرت تدريباتهم على إتقان القذف بالرمح لحدود تقارب الكمال.. يستطيع الفرد منهم قذف الرمح لأبعد مسافة وبأشد قوة ممكنة.. لا يجيدون مهارة سوى هذه المهارة.. كان سبب تدريب القائد لهم غامضًا حتى هذه اللحظة والتي تبدو وكأنها اللحظة التي كان يدربهم القائد من أجلها..

انقسم أفراد فرقة قاذفي الرماح للجانبين يمينا ويسارا.. تمركز كل منهم بأحد طرفي ما أسفل السقف الخشبي المائل.. انطلق (نينكرسو) يعدو وقد كان من الواضح أنه يقبض على شيء ما بين يديه، وصاح في المحاربين بقوة:

- والآن لتختبر (أوما) أقوى أسرارنا العسكرية العلمية..

قرن قوله بأن وثب وثبة جبارة رغم ضخامة جسده أعقبها بأن مدّ يده اليمنى ليتعلق بطرف السقف من المنتصف، في حين ظلت يسراه تمسك شيئا بدا شبه دائري بين أصابعه.. انقبضت عضلات ذراعه اليمنى بمنتهى القوة لتدفع جسده للأعلى ليثب بخفة ويعتلي السقف المائل ويصبح حرفيا في مواجهة نيران الخصم بدون أي حائل..

كان جنود (أوما) المهاجمين قد بدأوا في تمالك الصدمة والتفرق لقسمين يمينا ويسارا لمحاصرة محاربي (لكش) المتمركزين.. تفاجؤوا بوجود شخص ضخم يعتلي السقف

بطريقة انتحارية.. كان القسمان اللذان يقومان بالالتفاف لمحاصرة جنود (لكش) يمثلان فقط نصف الجيش المهاجم رغم غزارة أعدادهم، بينما امتد النصف الآخر على مرمى البصر.. كان العدد كبيرا.. لقد وضعوا أكبر عدد ممكن من أجل ضمان إحكام السيطرة على فرقة محاربي (لكش) وأملها الوحيد ضد بطش (أوما) لعلمهم بقوتها وقدرتها على مجاراة جيشهم.. ومع أعداد هائلة كهذه لابد وأنهم كانوا يطمحون للحصول على عدد من الأسرى، فمع جيش مهاجم كثيف كهذا من المتوقع أن يعلن المحاربون استسلامهم بدون أن يرفعوا سيفا..

بوغت الجنود المندفعين للأمام ب(نينكرسو) يقف فوق السقف كتمثال لإله قديم.. شامخ لا يرتجف.. بعينيه نظرة تحدٍّ لا خوف.. ساقان من فولاذ وجسد قُدّ من صخر.. مال جانب فمه بابتسامة خفيفة وهو يغمغم ساخرا:

- يا للمساكين!

ثم أرجع ذراعه للخلف على امتدادها قبل أن تتقلص ملامح وجهه ويطلق صيحة هادرة وهو يقوم بقذف ما بيده بكل ما أوتي من قوة..

تجمّد الجنود لوهلة مع مرأى ذلك المحارب الضخم يتحداهم بيدين عاريتين.. ثم قرروا أن يذيقوه الويل.. قام

الرماة بجذب حبال سهامهم استعدادا لغربلته بسيل من الأسهم سيضيع أغلبه عبثا، ولكن سيكفي ما سيصيب الجسد الضخم في تحويلة لخرقة مهترئة لا حياة فيها.. ولكن وقبل أن تجذب أيديهم لتنطلق الأسهم طار الجسد الغامض الذي ألقاه (نينكرسو) ليحطّ بين أقدام الجنود بالمنتصف تماما.. ثم حدث الانفجار الذي قلب كل الموازين..

شيء لم يره أحد ببلاد الرافدين من قبل.. شمس صغيرة فضية انبعثت بقلب الجيش.. شمس لنورها رعد هادر وخيوط من برق انبثقت من نقطة الانفجار لتنطلق في كل الاتجاهات كخناجر حارقة باترة.. شمس كانت لها قوة تدميرية سحرية مزقت الأجساد القريبة تماما وقذفت بالأجساد الأبعد لتتطاير كأوراق الشجر في كل مكان.. مات وأصيب أغلب الجنود بإصابات بالغة الشدة، في حين سارع من تبقى حيا بالفرار رعبا من الشمس السحرية المدمرة يجرجرون أطرافا مبتورة أو ممزقة.. لطخت الدماء الأرض وكوّنت بركة ظلت تتمد باستمرار.. أصاب الرعب جناحي الجنود الملتفين حول السقف المائل فكانت اللحظة التي صاحت فيها (نانشي) في المحاربين موجِّهَة إياهم لتنفيذ خطة الهجوم السريعة الخاطفة.. بينما لم يربك الانفجار (لوكالندا) وقامت حاسته كقائد بتوجيهه وكأنه كان يشعر بأن هذه اللحظة هي المقصودة من تنبيه القائد (نينكرسو)

ل(نانشي) منذ قليل بأن تقود الجنود عندما يحين الأمر.. تابع (نانشي) وهي تصيح في فرقتها -فرقة الرماح-:

- تقدموا خطوة واحدة.. اقذفوا دفعة محكمة من الرماح ثم تقهقروا..

تم تنفيذ الأمر.. وبينما تجمد جنود (أوما) ينظرون للخلف لضحايا الانفجار الساحق من زملائهم، كانت عشرون رمحا تنطلق بمنتهى الدقة لتنتزع كل منها روحا من روح الجنود.. وبينما كانت الأجساد تتساقط.. كانت (نانشي) تعطي الأمر الثاني بدفعة أخرى من الرماح.. من المعروف أن كل فرد من محاربي فرقة الرماح يملك رمحين مربوطين بإحكام لظهره.. وهكذا قامت (نانشي) باستغلال كل فرد منهم الاستغلال الأمثل الأقصى وانتهاز فرصة تخبط جنود الخصم.. وهكذا سقط عشرون آخرون جراء عشرين رمية رمح محكمة ثانية.. دبّ الرعب في قلوب الجنود إذ لم يكونوا يعلمون كم عدد الهجمات المحتملة من هذه الرماح السريعة القاتلة.. ظنوا أنهم يواجهون شياطين لديها عدد لا ينفد من الرماح.. وهكذا ومع التأثير المزدوج للشمس المتفجرة والرماح الرشيقة سارع الجنود بقذف أسلحتهم برعب معلنين استسلامهم..

وثب (نينكرسو) ليحط أرضا برشاقة، ثم صاح في الرجال

وهو يقترب من جنود الخصم:

- اخرجوا من مكمنكم.. لقد استسلم الجنود المهاجمون..

ثم أضاف شامتًا:

- وبدون أن نخسر محاربا واحدا..

صاح في الجنود المستسلمين بأن يتراجعوا للخلف ويقوموا بركل أسلحتهم للأمام، وأن يقفوا صفا رافعي أيديهم باستسلام وسينجوا بحياتهم إن التزموا بتنفيذ الأوامر.. وهكذا فوجئ الجنود بعدد من الرجال يخرج من خلف السقف الخشبي يصل لنصف عددهم فقط، فشعروا بالخزي لذعرهم الذي دفعهم لإعلان استسلامهم بهذه السهولة والسرعة أمام هذا العدد الهزيل.. تجمّع محاربوا (لكش) حولهم وقاموا بالاستيلاء على أسلحتهم، في حين اقترب (لوكالندا) من القائد (نينكرسو) صائحا بانبهار:

- يا له من سلاح سحري.. لقد قضى على نصفهم دفعة واحدة..

غمغم (نينكرسو) بهدوء:

- إنه سر من أسرار (لكش) العسكرية الذي لا يعلمه سواي أنا والكاهن الأعلى والقائدة (نانشي) ومخترعه العبقري..

نحن الأربعة فقط كنا نعلمه وأصررنا على ألا يتجاوزنا السر لمعرفتنا بوجود خائن أو أكثر يقومون بنقل أسرار تحركاتنا ل(أوما).. وكان هذا الغرض الأساسي الخفي من هذا الهجوم.. استغلال الخائن في جعلهم يقومون بالدفع بكل قواتهم إثر معرفتهم بظهور محاربي (لكش) السريين للعلن للمرة الأولى.. مما سيجعل من مهمتنا سهلة في ضرب تجمعهم وتكبيدهم أقصى خسارة ممكنة..

طلّ الانبهار من العيون ممتزجا بالإجلال لقائدهم.. فرغم قوة السلاح وبراعة الخطة ولكن اقتضى الأمر لإتمام النجاح وقوف (نينكرسو) بيدين عاريتين أمام نصف جيش (أوما) وجها لوجه، وهو أمر لا يمكن تخيله حتى لمحاربي كتيبة (لكش)..

سارع (نينكرسو) بالقول بلهجة عملية:

- ليس هذا كل ما نأمله.. سنقوم الآن بالهجوم على الفلول الهاربة ونبيدهم عن بكرة أبيهم.. سنستولي على المعسكرات الأربعة ونقيم فيها نقاط دفاع تتبع (لكش).. بمعنى آخر سنحتل معسكراتهم التي كانت تحمي الجزء الخصب من الأرض الحدودية وهكذا ستصير منابع الأنهار ملكًا لنا.. لا يوجد لديهم عدد كافٍ من الجنود قادر على تجاوزنا بالإضافة لجو التخبط العام الذي يسود بعد هذه الهجمة

المباغتة.. سنسارع بفرض شروطنا قبل أن يستعيدوا توازنهم.. وحتى الصباح سيقوم عدد متزايد من متطوعين من مدنيي (لكش) بتسلق المنحدر جالبين ما يمكن حمله من أسلحة وعتاد من مخازن السلاح بالمدينة.. سنقوم بحماية المنطقة الحدودية محاربين ومدنيين، وسنقف في وجههم جدارا منيعا حتى يرضخوا للتفاوض.. وسنجعل القائد (شارا) نفسه يأتي لنا خاضعًا يقبل بأي شروط..

صاح المحاربون مبتهجين وتسابقوا في احتضان العملاق (نينكرسو) معلنين نصرهم النهائي على (أوما) بعد سنين وسنين من الانتظار المهين.. في حين اكتفت (نانشي) بثني ركبتيها والثبات في وضع أشبه بالقرفصاء واضعةً قبضة يمينها تحت ذقنها بدون أن تتحرك.. تحرك المحاربون بانتظام لاحتلال المعسكرات الأربعة بالترتيب وبدأوا في تنظيم دفاعاتهم، كان أحد جنود (أوما) يغمغم بصوت غير مسموع بمقت:

- القائد (شارا) لا يقبل بأي تفاوض أيها الغافلون.. سيهجم عليكم بكل وحشية ويبيدكم كالحشرات.. انعموا بنصركم المؤقت حتى حين..

٥- عودة الابن الضال

(الوركاء) السماوية..

خفق جناحا التنين (موشوسو) بقوة وسرعة رغم ما تخللهما من إصابات حديثة لم تُشفَى بالكامل بعد.. جلس (نينازو) على متنه وقد نطقت عيناه المطلتان من قلب خوذته بكل الإصرار.. ارتقى التنين فوق السحاب ليقطع مسافات مهولة بلمح البصر.. كان يهبط على فترات ليأخذ مسافة يريح خلالها جناحيه فيفردهما عن آخرهما بدون أي حركة، فيمضي جسده للأمام ولكن بمسار ينحدر تدريجيا للأسفل حتى يصبح تحت مستوى السحب ويقارب مستوى ارتفاع أعالي أبراج مدن المملكة، فيعيد الارتفاع بخفقة جديدة من جناحيه.. وهكذا دواليك يصفّ جناحيه ثم يقبضهن بالتبادل ليكمل مسيرة سفره نحو الجنوب.. لمح (نينازو) -أثناء إحدى مرات انخفاض التنين- جهة الشرق ملامح لمعابد مدينة (إيسن).. لابد أن هناك من استطاع أن يلمح التنين من هذا البُعد إن كان واقفا فوق أسوار المدينة.. حجمه الضخم وسرعة حركته ستجعله هدفا مرئيا مثيرا لتحدي أي عينين تحدقان نحو الأفق مصادفةً حتى ولو طالت المسافات.. وهكذا سيتم نقل رسائل بين مدن المملكة السماوية تفيد برؤية التنين وراكبه غرب

(إيسن) يتجهان جنوبا.. ولا يوجد هدف لاتجاه هذه الرحلة يمكن أن يستنتجه أي سماوي في الوضع الراهن إلا مدينة (الوركاء).. مقر الحكم السابق للغابر (أنو) ومكان استقرار حفيدته (إينانا).. من يملك (الوركاء) يمكنه أن يدعي كونه ملكا شرعيا على المملكة السماوية بأسرها حاليا.. ولكنه كان بالفعل هناك هو وسيد (كيش) السيد (زابابا) منذ فترة قريبة، وكان بمقدورهما القيام بهذه الخطوة من قبل ولكن.. لن يفكروا بهذه الطريقة.. سينتابهم الذعر ويسارعون باتخاذ الأهبة على أسوار (الوركاء) مسابقي الوقت.. أهبة واستعداد يائسين لن يستطيعا صد هجومه المزدوج مع تنينه (موشوسو) مهما بلغت قوة دفاعاتهم، ف(نينازو) و(موشوسو) لا يهابان شيئا أو شخصا سيدا كان أم ساحرا أم أحد الأنوار ولكن.. هل يتجه الوحش المروض وراكبه لمدينة (الوركاء) حقا؟

ندّت عن (نينازو) نخرة ساخرة وهو يعطف زمام التنين للغرب أكثر ثم يبدأ مساره يتخذ مسارا كليا نحو الغرب مخالفا لكل الظنون التي ستراها تخمينات السماويين لمرآه غرب (إيسن).. زاد من سرعة تحليقه ليبدأ في رؤية ضفة نهر (الفرات) الشرقية.. أراح التنين جناحيه قليلا ليأخذ مستوى تحليقه بالانخفاض كثيرا حتى كاد أن يمس الرمال، ثم قبض جناحيه ليتوقف عن الانخفاض ويظل موازيا

لمستوى يعلو سطح ماء (الفرات) بقليل.. أصبح يعلو الماء مباشرةً الآن فلكزه (نينازو) برفق ليهدئ من سرعته للحد الأدنى رغم اتصالهما عقليا بالفعل بدون الحاجة لإعطاء الأوامر بالإشارات واللمس.. توقف التنين (موشوسو) فوق الماء بمنتصف المسافة بين ضفتي النهر العريض.. انحنى (نينازو) ليهمس بأذن التنين المحلِّق:

- اكشف لنا عن مدخل العالم السفلي.. عالم اللاعودة.. اتصال ماء (الفرات) بماء الغمر الأبدي..

ثم أضاف ساخرًا:

- أعلم أنك كنت هناك من قبل وهذا ينفي وصف اللاعودة!

زأر التنين ساخطًا لتذكُّرِه حياةً سابقة.. شذرات من مشاهد تتابعت بخياله تحمل ومضات ذكريات من حياة ماضية له كأحد الأسياد، ثم تتحول لتصبح ذكريات لروح هذا السيد تتألم بالجحيم بعد مصرعه بعنف دمويّ عقب معركة ملحمية يتذكرها جميع الأسياد قديما منذ نشأة عالم السماويين، لتعود مجددا كمشاهد من حياة وحش كاسر عاد من العالم السفلي مجنحا مغطى بالحراشف ينفث النيران..

أمال رأسه للخلف ليعاود الزئير بسخط مع عصف ذكرياته بعقله قبل أن يطلق النيران من فمه ومنخريه بعنف نحو

سطح الماء.. ظل يطلق النيران وهو يتحرك للأمام يمينا ويسارا مستكشفا رد فعل الماء للنيران.. كان (نينازو) يعلم أن العالم السفلي يقع في مكانٍ مادي ما بين عالم الأسياد السماوي وعالم البشر الأرضي.. وهذا يجعل من الأرض عمليا أسفل سافلين.. كان عالما مستقلا بذاته عن عالم السماويين يعجّ بأرواح من ماتوا ولقوا حتفهم بعالمه من كل أطياف السماويين.. جميع من يقضي نحبه سواء أكان سيدا أم أحد الأنوار أم ساحرا أو حتى أحد العامة كانت روحه تنتقل بعد أن تفارق جسده لتنفذ للعالم السفلي.. يلزم دفن الجثة بشكل لائق لكي تنتقل بسلاسة بين العالمين وإلا فستظل عالقةً للأبد بالبرزخ تهيم بلا هدف.. وهذا يعني أنه لن يرى (أنو) بهذا الجحيم إذ لم يتبقى من جسده ما يسمح بدفنه.. هناك نقاط اتصال محددة تقصدها الأرواح لتعبر حاجز ما بين العالمين.. نقاط محددة متباعدة كنقطة شروق الشمس ونقطة غروبها، وهذه النقطة بقلب (الفرات).. تتباعد هذه البقاع مكانيًا ولكنها تتشابه في كونها نقاط تقع تحت سطح الماء.. لا يعلم بمكان هذه النقاط إلا من قام باجتيازها، وهذا يعني نظريا أنه لا يمكن لأي كائن أن يعرف بوجودها لحقيقة كونه قد أصبح روحا بعد أن مات جسده من أجل أن يعبر من خلالها.. ولكن لا ينطبق هذا على التنين (موشوسو) والذي انتقل بروحه يومًا ما للعالم السفلي سيدا عاديا، ليعود

منه سيدا وحشا غير مروض.. هكذا تمّت إعادة خلق بعض من وحوش الأسياد الذين لاقوا حتفهم ويرقدون بالعالم السفلي.. وُلدوا وماتوا أسيادا غير وحشيين مثله ليبعثهم العالم السفلي مجددا وحوشا غير مروضة تبعث الفساد بالأرض وتهلك الحرث والنسل انتقامًا لموتها بحياة سابقة بائسة.. يتم بعثهم جسدا واحدا يحمل روحين متنافرين مجبرين على التعايش والاتحاد في هدف لا غير له وهو التدمير والانتقام من العالم..

يستطيع الوحش من الأسياد العودة مجددا للعالم السفلي.. تتلمس روحه الطريق التي سلكتها من قبل وتستطيع اختراق حاجز الأبعاد ما بين العالمين مستعينة بخبرة مرورها السابقة.. ربما لم يحدث هذا من قبل ولكنه قابل للحدوث.. ومعلومة كهذه لا يعرفها إلا الوحوش نفسها صاحبة هذه الأرواح المتنقلة بين العالمين.. وقام بنقلها له (موشوسو).. إنهما يمثلان فريقا من سيدين متخاطرين عقليا ومتفاهمين جسديا لأبعد الحدود..

توقف (موشوسو) عند بقعة بعينها اخترقت فيها نيرانه الماء كما لو كان مجرد صورة خداعية.. برقت عينا (نينازو) مع اكتشافه للمدخل الخفي.. انعطف (موشوسو) براكبه ليندفع نحو هذه البقعة.. مع اختراقهما تموّج الماء وتذبذبت

السماء والرمال في نظر كل منهما.. وخلال لحظات اختفى تماما المشهد ليتم استبداله بأجواء مظلمة.. سماء سوداء بلا حدود وكتل من غمام مظلم عمت العالم وأخفت أغلب ملامحه.. عالم مبهم صامت كالقبر.. استطاع أن يرى أمامه بصعوبة بين الغمام ضفة نهر راكد حالك السواد بلا أمواج.. أخبره (موشوسو) عقليا أنه نهر (هابور) الذي يفضي مباشرةً للجدران السبعة العالية والبوابات السبعة المدججة بالحرّاس الغلاظ.. مدخل مملكة العالم السفلي الذي تحكمه الملكة (إرشكجال) بيدٍ من حديد، بمعاونة السيّد السابق (نيرجال) رفيقها الحالي في حكم عالمها السفلي، والذي شغل موقعه هذا بعد أن أرسلت الملكة في قبض روحه حيًّا خصيصا من العالم السماوي لشغل هذا المنصب ومدّ يد العون لها.. عالم مستقل يغصّ بأرواح من مات من السماويين من الأسياد وغيرهم من كافة الأطياف.. عالم اجتماعي جديد تعيشه الأرواح حياةً جديدةٌ مختلفة في قواعدها عن حياتها السابقة التي انتهت ولن تعود.. وتساعد في تنظيمه شياطين (الجالا) التي تقوم بتنفيذ بعض المهام الإدارية الخاصة بتنظيم الحياة بالعالم السفلي، ومهام أخرى تتعلق بالعالم السماوي كمساعدة الملكة (إرشكجال) والسيد (نيرجال) في إرسال النوائب والأمراض والكوارث للعالم السماوي.. كما تقوم بمساعدة وزير الملكة وقابض أرواح السماويين ورسول

العالم السفلي السيد (نمتار)، السيد الذي لم يحيا أحد ليصفه إذ كانت رؤيته تعني أن الروح قد أصبحت في طريقها الحتميّ للعالم السفلي..

تنامى لسمعهما خرير ماء خافت وبدأ سطح الماء يرسل موجات منتظمة تتزايد تدريجيا.. ثم اخترقت الغمام المغطي للماء مقدمة قارب خشبي اسطواني الشكل، وقف بمنتصفه كائن ضخم الجسد يملك أربعة رؤوس لطيور مختلفة متداخلة التركيب بشكل مثير للاشمئزاز، كان يقوم بالتجذيف بتؤدة وقد ركزت رؤوس الطيور الأربعة نظراتها القوية المتفحصة على الزوار المقتحمين لحرمة الجحيم بدون سابق إنذار..

قال (موشوسو) في عقل (نينازو):

- إنه (هامو طابال).. ملاح نهر (هابور) والوسيلة الوحيدة للعبور عبر متاهة الغمام والظلام حتى مدخل العالم السفلي..

توقف القارب مع اصطدام مقدمته بمستوى الأرض.. حطّ (موشوسو) أرضا ليترجل (نينازو) من على متنه ويثب هابطا للأرض ذات الرمال السوداء العجيبة، ثم أخذ خطوات ثابتة متجها نحو الملاح.. قام الملاح بوضع مجدافه بجانبه ثم قال ل(نينازو) بصوت جاف رفيع حادّ النبرات لم يتناسب مع ضخامة جسده:

- تأتي الأرواح بمفردها للعالم السفلي.. لا تأتي الأرواح مقترنة بأجسادها المادية.. ما يحدث الآن هو خرق صارخ لقواعد المملكة التي وضعتها الملكة (إرشكجال) وهو ما لن تكون سعيدة بمعرفته..

قال له (نينازو) باستهانة:

- لقد جئت لمقابلة ملكتك هذه..

نخر الملاح ثم قال:

- لا تجري الأمور هكذا هنا أيها السيد.. للعالم السفلي قواعده الخاصة التي لا يجب خرقها بأية حال ولأي سبب.. ومهما كنت تظن نفسك قويا وذا بأس بعالمك فأنت هنا لست إلا زائر متخبط لن تستطيع أن تخطو خطوة واحدة بقلب الظلام بدون أن تفقد اتجاهاتك وتتيه للأبد..

تلقى (نينازو) رسالة من (موشوسو) قال للملاح بعدها مشيرا نحو جسد التنين:

- قد ينطبق ما تقوله عليّ لا أعارضك.. ولكن ماذا عن هذا الوحش؟ روحه تحفظ الطريق جيدا.. تحفظه كشيء محفور بذكرياتها ولا يمكن محوه أو تضليله.. يجب عليك أن تفهم أنه بإمكاني بمساعدة هذا الوحش أن أعبر هذا النهر المظلم

حتى أصل للبوابات السبعة..

صمت الملاح قليلا يستوعب ما قاله له (نينازو)، ولكن سارع بالقول متسائلا بسخرية:

- ثم ماذا؟ ستهاجم البوابات والحراس الذين لا ندّ لهم؟ ستقف خصما لشياطين (الجالا) التواقة لانتزاع الأرواح؟ هذا بالطبع إن لم يقم السيد (نمتار) وزير الملكة بقبض روحك أنت ووحشك المصاحب في لمح البصر..

قال (نينازو) بسرعة بديهة ساخرا:

- ستكون وسيلة سريعة لدخولي العالم السفلي بصفة رسمية كروح بلا جسد.. أليس كذلك؟

لم يعجب الرد الملاح إذ توقع تراجعا من (نينازو)، فسأله بنفاد صبر وقد مدّ ذراعه ليعاود التقاط المجداف تمهيدا للمغادرة:

- ماذا تريد بالضبط من هذا الجدل العقيم أيها السيد؟ ما هدفك من مقابلة الملكة ولماذا تظن مقابلتها قابلة للحدوث؟

قال له مجيبا على الفور:

- لأنني ابنها!

تجمدت يد الملاح على المجداف وقد شلته المفاجأة لثوانٍ،

وردد لسانه بذهول:

- لا تكذب في أمور لن يعود عليك الاحتيال فيها إلا بأسوأ عقاب..

هدأ (نينازو) قليلا وهو يقول مسترسلا:

- لست مضطرا لمشاركتك هذه المعلومات ولكنك تعي جيدا أن العالم السماوي يسبق العالم السفلي وجودا.. وتعرف من التاريخ أن الملكة عاشت حينا من الدهر بالعالم السماوي قبل أن يستدعيها العالم السفلي بنفسه لتقوم بحكمه فور أن تم خلقه من اللاشيء، بعد أن كانت أرواح الأموات تهيم ردحا من الزمن بين حواجز الدهر بدون قانون حاكم قبل أن تتلاشى للأبد.. قامت الملكة (إرشكجال) بصنع عالم من الصفر بكل قوانينه وضوابطه واستعانت بمن رأت وجوده ضروريا من الشياطين، وتريثت لتنتقي من بين أرواح من زارها من موتى الأسياد حتى رأت في (نمتار) شخصا مؤهلا لتحمل مسسؤولية قبض الأرواح بعد أن ناء بها حمل هذه الوظيفة وحدها.. ثم استعادت رفيقها السماوي السابق (نرجال) ولم تستطيع انتظار موته الذي طال، افتقدت زوجها السري السماوي واحتاجت له مساعدا على تحمل تبعات الحكم ومؤنسا بهذا العالم الموحش الجاف.. ولم يتوقع أي منهما أن الطفل الذي أنجبته (إرشكجال) من

(نرجال) ثم تخلت عنه صغيرا لتحكم العالم السفلي -لينبذه بعدها أبوه فور مغادرة زوجته وكأنه جرم نجس- قد شبّ ليصير سيدا قويا إن لم يكن الأقوى..

ثم اقترب (نينازو) من الملاح الذي كان يرتجف رعبا الآن وغمغم بصوت امتلأ وعيدا:

- هل تستطيع أن تتكتم على هذه الأسرار الملكية أيها الملاح أم أنني قد أخطأت وقمت بإفشائها لكائن ثرثار لا يمكن الوثوق به؟

سارع الملاح بالرد وقد انتابه خوف مفاجئ، فقد صدق (نينازو) بالرغم من عدم إتيانه بأي دليل على قصته:

- حياتي هي هذا القارب ونقل الأرواح للضفة الأخرى فقط يا سيدي.. لا أتبادل حرفا واحدا مع أي مخلوق..

تمتم (نينازو):

- هذا أفضل..

أشار له الملامح بصمت ليصعد على متن القارب، فوثب (نينازو) بدون أن ينبس ببنت شفة ويتبعه التنين بخفقة بسيطة نقلته لسطح القارب في لحظة.. ثم بدأ الملامح الذي لم يكف عن الارتجاف رعبا بعد بالتجذيف ليتحرك القارب

بانسيابية قاطعا مجرى النهر مبددا الظلام الشيطاني السائد وكأنه يضيء ذاتيا.. لم تكن الرحلة طويلة وسرعان ما تراءت لأعينهم الأسوار شاهقة الارتفاع والتي ابتلع الظلام قممها، واستطاعوا أن يلمحوا البوابة الرئيسية، واحدة من البوابات السبع المدججة بالحراس ضخام الجسد، برؤوس مفلطحة بلا ملامح تبرز منها نتوءات متعددة بلا وظيفة واضحة، ويتوسط الوجه محجران فارغان كبقعتين مظلمتين بلا عيون.. وتغطت أجسادهم بلباس حربي أسود قاتم مغطى بالدروع أبرز تكوينا عضليا خرافيا..

كان (موشوسو) ساكنا أكثر من المعتاد رغم ما كان يستعر بداخله من ذكريات جعلت من عقله أتون نيران ملتهبة.. تستعيد روحه ذكرى رحلته السابقة بكل ما فيها بعد موتته الأولى.. مروره بالبوابات ومقابلته للملكة، ثم الحكم على روحه بأن تتلبس جسد وحشا من الأسياد، ثم بعثه حيا ليعيث الفساد بالعالم السماوي محققا انتقامه.. كانت نهايته -كأحد ضحايا حرب الأسياد الأولى- مؤلمة وودّ لو أمكنه العودة والانتقام من العالم غير العادل.. حققت له (إرشكجال) رغبته مستغلة رغبته في الثأر لتحقيق ما هو مطلوب منها من تحقيق التوازن العالم، ألبست روحه القلقة جسد وحش قوي جبار يستطيع بث الهلع في قلوب السماويين أسيادا وعامة.. كان قرار (نرجال) ووافقته

عليه (إرشكجال) وبطانتها السبع.. فمن الحين للآخر يقوم (نرجال) بإرسال أوبئته المهلكة للعالم السماوي كنوع من حفظ التوازن بين الحياة والموت.. وقد رأى هذه المرة ضرورة أن تثقل كفة الشر بالعالم العلوي، فرأى في روح هذا السيد -المقتول غدرا- روحا معذبة وهدفا مناسبا سيستمتع بالقدرة على السيطرة على وعاء خارجي مدمّر قادر على الحرق والقتل، بدون أي هدف إلا مواجهة الخير الذي بدأت كفته ترجح قليلا حينها بعالم السماويين العلوي.. ورغما عنه وجد (موشوسو) ذكريات السيد -الذي كان مستقَرًا لروحه بحياته الأولى- تتدفق جزئيا لعقله لينتابه حنين جارف رغم قسوة الذكريات ودمويتها وظلمها المجحف بحقه، والذي جعله فيما بعد يتلذذ بالحرق والقتل والإبادة بدون تمييز..

ابتسم (نينازو) باستهانة ولم يبدو عليه تأثره بمرأى الحراس وهو يقول لنفسه ساخرا:

- أهلا بخدم والدتي العزيزة!

كان على الملاح أن ينطق بالاسم الآن.. اسم الروح التي تم انتزاعها من جسد مضيفها بالعالم السماوي.. يصل الاسم ل(إرشكجال) في التو واللحظة فتبارك استقباله بعالمها، لتبدأ سلسلة من المرور على البوابات السبعة بالترتيب للروح وقد اكتست بجسدها الغابر مجددا، يصحب المرور من كل

بوابة خلع جزء من الملابس والمتاع حتى يصبح الجسد عاريا تماما عند انتهائه من كل البوابات، فيقوم بالمثول أمام (إرشكجال) وبطانتها السبعة أرواح عاريا تماما كيوم ولدته أمه ليقوموا بالبتّ في أمره، ويتم تحديد كيفية تقضية حياته الجديدة والأبدية بعالمها..

كان (نينازو) يفكر بأن هذا العالم ليس بأكثر من مجرد عالم آخر مختلف في قواعده.. فبحسب عدد أطفالك بالعالم السماوي تكون مرتبتك.. كلما زاد عدد أطفالك سما مكانك وصرت قريبا من الأسياد.. وكلما قلّ عدد أطفالك عشت حياة فقيرة تتسكع بالشوارع والأزقة لا تجد قوت يومك إلا الفتات والقذارات.. فمن لديه ولد واحد يبكي بجوار حوائط الجدران المتهدمة، ومن لديه ولدان يعيش ببيت من القرميد ولا يأكل إلا الخبز، ومن له ثلاثة يعيش فرحا، ومن لديه أكثر يسكن القصور ويجالس أرواح الأسياد المقيمين للأبد بهذا العالم، ولكن تظل هناك فرصة سانحة لتعديل مكانتك بهذا العالم تتوقف على تقدير أهلك لقبرك.. فكلما تم منح الأضحيات والهدايا للإلهة (إرشكجال) بطريقة مستمرة على قبر الميت وباسمه كلما ارتقى وترقى المراتب بالعالم السفلي، في حين يترتب على إهمال العناية بالميت تدنيه للأسفل.. ناهيك عن الأجساد التي لا يتم دفنها بطريقة لائقة والتي تظل أرواحها قلقة تتعذب بالعالم السفلي للأبد، لا تنام ولا

تأكل ولا تشرب إلى أن يتم دفن الجسد ومواراته التراب والاستمرار في تقديم القرابين للإلهة (إرشكجال) باسمه.. أما عن الأجساد المحترقة والتي لا يصبح لها وجود مادي فإن روحها تهيم في اللامكان بلا وجود مادي محسوس أو هدف محدد.. تماما كأرواح ما قبل خلق العالم السفلي باختلاف أنها لا تفنى مثلها، وإنما تظل في عذابها هذا للأبد.. ثم يتم عقاب الأرواح الشريرة بجعلها تحارب باستمرار أبدي شياطين (جالا) التي لا تنضب ولا تكف عن الانبعاث بالعالم السفلي ، من كانت روحه شريرة بحياته بالعالم السماوي يحيا للأبد بالعالم السفلي يقتِل ويُقتَل على يد شياطين كريهة لا ترحم..

بتر أفكاره لما رأى الملاح واقفا مترددا لا يعلم كيف يقوم بتقديمه هو أو تنبيه للحراس، مذعورا من رد فعل الملكة لما تدرك أن ابنها قد جاء من عالمه ليزورها بعالمها بعد أن هجرته بدم بارد.. رفع عنه (نينازو) الحرج وقال بسخرية قاسية لازمته منذ ولوجه للعالم السفلي:

- لا أريد أن تراني أمي عاريا بعد كل هذه السنين!

ثم صاح بقوة في الحراس:

- السيد (نينازو) ابن السيد (نرجال) هنا جسدا وروحا.. لم آتِ لأتطهر.. جئت لمقابلة ملوك هذا العالم بصفتي اليد اليمنى لملك العالم السماوي الجديد السيد (زابابا)، حاكم (كيش)

السماوية العاصمة الجديدة للمملكة السماوية..

تراجع الملاح بهلع مع إعلان (نينازو) الصادم عن أبيه، وإن اعترف في قرارة نفسه أن الأمر كان ليكون أشد مدعاة للرعب إن قام بالتعريف بنفسه كابن للملكة وليس لزوجها.. ولكنه سارع بالفرار بدون أن يقحم عقله في المزيد من التفكير تاركًا الموقف برمته، ليستقر من جديد بالقارب حيث يعيش بشكل حصري حياته كلها.. وبينما هو يبدأ بالتجذيف سمع صوت صرير البوابة الأولى المصاحب لتحرك ضفتيها المبتعدين، فعلم أن (نينازو) وتنينه قد سُمِح لهما بالدخول لمقابلة الملكة والملك..

٦- نهضة لارسا

(لارسا) السماوية..

مالت الشمس للمغيب لتبدأ غلالة من ظلام في الاقتراب بتردد من الزقورة العسكرية المركزية وما يتاخمها من منازل مدنية وتحيط بها من كل الاتجاهات، وصمتت الأصوات بالمنطقة الرفيعة التي تفصل بين أطراف منازل المدنيين والحصون العسكرية المحيطة بها، والتي امتدت كممشى من تراب ممهد مرصوف مزدان بالتماثيل الحجرية الممثلة لرمز الشمس الممثل للمدينة، وكانت خطوات (شمش) المتريثة تقطع هذا الصمت وهو يسير على قدميه بجوار قائد الجيوش (بونيني)، يتناقشان أمور الحكم في عادة شبه يومية يقومان بها كنوع من التريّض اليومي وقتل الوقت في نفس الوقت، ولم يتبعهما إلا ثلة قليلة من الجنود المدججين بالأسلحة كنوع من إعطاء الإجلال اللازم ليس إلا، فمن يجرؤ على الاقتراب من سيد الشمس بقلب مدينته العسكرية قوية الدفاعات؟

كان (شمش) معقود الحاجبين يلف ذراعيه للخلف لتتقاطع يداه بالخلف بأسفل ظهره، بينما كان (بونيني) ضاما قبضته اليمنى بداخل راحة يده اليسرى وهو يسترسل متحدثا مع سيده:

- لقد تغير الوضع الاقتصادي كثيرًا..

قال (شمش) موجها نظراته لمنازل المدنيين التي تتخللها جداول الأنهار التي تناثرت خلال مساراتها القوارب الخشبية الناقلة للمدنيين:

- نجحنا في اجتياح (أور) سلميًا وصارت خيراتها تصب صبًّا بخزائن (لارسا).. أعدنا للسيد (سين) حكم مدينته القديمة بعد أن تم انتزاعها من بين يديه غدرا من قبل.. وبدأ بالفعل في إعادة تنظيم هيكل (أور) العسكري ليصبح لها جيشا نظاميا، وقمنا بتصدير عدد من الجنود المتمرسين ليصبحوا نواةً للجيش الوليد بالإضافة للعديد من الأسلحة.. نريدها تكتة عسكرية أخرى لنا إلى جانب كونها مصدرا غنيا بالموارد الغذائية المتنوّعة.. فمدينة (سيبار) -مدينتي الثانية- شديدة البُعد بأقصى الشمال وتكاد تكون منفصلة تماما عن (لارسا) بحكم التوزيع الجغرافي..

علّق (بونيني) على النقطة الأخيرة:

- ولكن مجرد قيام سماويي (سيبار) باختيارك كالسيد الوحيد لهم ورفضهم لتقديس أي من الأسياد الآخرين لهو نصر عظيم لعدلك وقوتك سيدي..

وثبت ذكريات (شمش) لماضي قريب بعيد.. عندما كان

هو يملك (لارسا) وأخيه (سين) يملك (أور).. كان لدى (شمش) قوة ودهاء سياسي بالإضافة لقوته الغاشمة كأحد أقوى الأسياد منذ نعومة أظفاره.. بينما لم يمتلك (سين) نصف دهائه وحكمته رغم قوته التي لا يستهان بها.. نمت (لارسا) سياسيا واقتصاديا على التوازي في حين لم ينجم عن سياسات (سين) الديكتاتورية إلا اضمحلال اقتصادي، لم يلحظه لحبه لتأليه نفسه عبر ما يصله من بطانته من رسائل تفيد باستقرار (أور) وحب العامة له لحد العبادة.. ركّز (شمش) على تثبيت حكمه بتنظيم دفاعات عسكرية وجيش قوي جنبا إلى جنب مع استغلال زوجته في الحصول على الاستفادة القصوى من الأراضي الخضراء المحيطة بالمدينة.. بينما أغرم (سين) بعالم البشر الأدنى بصورة جنونية وصار يبعث بكهنته بكثافة ليتسلطوا على كهنة البشر في مدينة (أور) البشرية وسائر مدن ما بين الرافدين الوليدة منذ القدم.. كان اهتمامه منصبا على تأليهه بين البشر أكثر من اهتمامه بإصلاح مدينته في كل الجوانب، متأثرا بنفاق حاشيته الذين مرروا له أن أحوال المدينة في ازدهار مستمر.. ثم حدث أن قام (شمش) بإرسال مجموعة من أمهر مهندسيه وكهنته لمدن العالم السماوي لنشر أخبار قوته وعدله، وبدأ في توزيع التحف المعمارية الهندسية التي تميزت برمز الشمس المهيب بين السماويين، كان غزوا

سلميا ثقافيا ل(شمش) لكافة مدن العالم السماوي نجحت بالفعل في نشر اسمه ورمزه بين الأيادي وعلى الألسنة، وبدأت معابده في الانتشار بكل المدن فيما قد يمثل تمهيدا لجعله السيد الأقوى دينيا، ولكن كان التأثير الأكبر بمدينة (سيبار) التي كان إعجاب قاطنيها ب(شمش) والشمس ورسالة المبشرين من الكهنة شديدا، مما جعلهم ينبذون أيا من الأسياد الآخرين ويكتفون بالاعتراف ب(شمش) سيدا وحيدا لهم لا ثاني له، لتصبح (سيبار) المدينة الثانية ل(شمش) بعد (لارسا)..

كان ل(سين) اتجاه مختلف تماما عن اتجاه (شمش) السماوي، تضاعف نشاط كهنته المَرَضِيّ بين مدن البشر لتبدأ معه أساطير مغلوطة بينهم.. صار إلها فوق كل آلهة البشر.. نصّبوه سيدا لكل الآلهة ومنافسا قويا ل(أنو).. جعلوا من رمزه القمر إلها سيدا يعلو جميع الآلهة بما فيها الشمس ذاتها، بل على النقيض صارت الشمس عند البشر ابنة للقمر، وصار (شمش) ابنا ل(سين).. وبينما كانت (أور) السماوية تنهار في كل المجالات وبدأت ثورات المدنيين تفصح عن نفسها بمعزل عن أذني (سين) صار القمر هو معبود البشر الأول..

كان (شمش) غافلا عن تدهور شعبية (سين) لهذا الحد المخيف، كان يعلم أن أخاه يعاني من خلل في الأولويات

جعله يهتم بتأليهه بين البشر أكثر من اهتمامه باستقرار مدينته السماوية وإرضاء قاطنيها، ولكنه لم يتوقع يوما أن ينتهي الوضع بثورة عامة ضمت جميع أطياف الشعب عواما وكهنة، طالبت بتنحيه عن الحكم وتولي من يُصلح من الكهنة.. لم يستوعب (سين) هياج العامة، وقام بمواجهتهم بمنتهى الصلف والغرر وضيق الأفق ملوِّحًا بإخماد الثورة بالقوة، ومحو كل معارضيه عن وجه العالم السماوي حتى لو اضطر لإبادة جميع أهلها..

أخرجه (بونيني) من دوامة ذكرياته وهو يقول له بنبرة يشوبها القلق:

- ولكني لاحظت برغم كل هذا بدء حركات خفيفة من الهجرة خارج مدينتنا..

شعر (شمش) بدهشة وهو يسأله وكأنه لم ينجح في استيعاب ما سمعه منذ قليل:

- يغادرون (لارسا)؟

- هذا صحيح يا سيدي..

- وإلى أين يتجهون؟

خرجت الإجابة من بين شفتي (بونيني) كالقنبلة:

- (إيريدو).. مدينة السيد (إنكي)..

توقف (شمش) عن السير وقام بفك تشابك يديه خلف ظهره وأدار نظراته نحو (بونيني) مرددا بغير تصديق:

- (إيريدو)؟ لا أفهم..

تنهّد (بونيني) مسترسلا:

- بالرغم من كل قمنا به من إصلاحات ب(لارسا) عبر تدفق جسر من الفواكه والمحاصيل الغنية من مدينة (أور) لقلب مدينتنا، حدثت بالفعل موجات نزوح ل(لارسا)، ولكنها كانت فترة مؤقتة أعقبتها موجات هجرة ملحوظة خارج مدينتنا.. وخارج مدينة (أور).. ولا أبالغ إن قلت خارج كل المدن السماوية نحو مدينة (إريدو)..

قال (شمش) متفكرا:

- وما الذي فعله (إنكي) لتصبح مدينته مركز جذب عالمي هكذا..

كان (شمش) قد بدا منفعلا وعقد ذراعيه على صدرة محدقا مباشرةً بعيني (بونيني) الذي كان يجيبه وقد تقلصت ملامح وجهه بألم:

- لقد استغل انفصال قدر العالمين ليصنع قدره وضجيجه

الخاص.. قام باستخراج المياه من قلب الأرض ليصنع زخما من الأنهار والجداول.. صار يسحب الماء بقوة من (الفرات) السماوي بواسطة قناة حفرها بقوة يعتقد مهندسونا أنها قادرة على جعل مياه (الفرات) نفسه تجف إن استمر المنوال على هذا الحال.. صارت مدينة (إريدو) مروجا بعد أن كانت صحاري قافلة وأرضا بورا.. ثم قام بإضافة قواه في خلق النوافير والبحيرات الاصطناعية والتماثيل التي لا تكف عن ضخ الماء على رؤوس المارة لتجعل صيفهم شتاءً.. بل قيل أنه قد أضاف سورا حاميا للمدينة قُدّ من ماء.. سورا لا يمكن اختراقه أصاب أهل (إريدو) بالاطمئنان، أهلها من أصليين أو نازحين، وأعداد الآخرين في ازدياد مضطرد..

ثم تحاشى النظر لعيني (شمش) وهو يعقب:

- أخشى ما أخشاه أن تصبح (إريدو) عاصمة السماويين بإرادتهم وبلا حرب أو إخضاع..

صمت (شمش) يفكر في هذا الانحراف الخطير في الأحداث.. ورغما عنه عاد بذكرياته لثورة شعب (أور) على (سين) والتي قابلها سيد القمر بالتهديد الأحمق.. مما دعا الأخ الثالث (أداد) للإعلان عن نفسه.. سيد الأمطار والعواصف القوي والذي كان يكتفي بالانعزال كروح هائمة بالعالم السفلي منذ أن تم اغتياله صغيرا في أعقاب حرب

الأسياد الدموية منذ فجر التاريخ السماوي، الحرب التي انتهت بسيطرة أسياد الصواعق وفناء عدد لا بأس به من الأسياد القديمة.. كانوا حينها أطفالا ثلاثة لا يفهمون للحرب معنى أو دافعا.. فقط خرج (شمش) من هذه الحرب التي نجم عنها فقده لأخيه بشخصية ناضجة فهمت جيدا أن اجتناب الحرب هو الوسيلة المثلى للفوز.. حاول قدر الإمكان طيلة فترة حكمه أن يدعم من أوضاع بلده عبر الغزو السلمي الثقافي وليس بسن السيف، وإن امتلك من الحكمة ما جعله يدافع عن أطماعه السلمية في الانتشار عن طريق جيش قوي يتحدث عنه العالم السماوي بمهابة.. لقد صنع جيشا من أجل إحلال السلام.. وظهر هنا الفرق جليا بينه وبين أخيه (سين)، والذي لم ينجح في اكتساب أي قيمة من فقدانه لأخيه (أداد)، وصار أشبه ما يكون بطاغية ساذج تجاهل عامته السماويين وتتبع شغفا شاذا بالتأليه بين البشر الأدنى..

وهنا حدث ما لا يحدث إلا مرة واحدة بكل جيل.. تحركت (إرشكجال) ملكة العالم السفلي استجابةً لصلوات جميع أهل (أور) وفي مقدمتهم الكاهن الأعلى.. كان من واجبها الرئيسي حفظ توازن كفتي الميزان السماوي بين الخير والشر وبين الحياة الموت.. لذا قامت ببعث روح الشقيق الثالث (أداد) حاملا رسالة واحدة وهدفا لا يحيد عنه، وهو إعادة هذا التوازن المائل للانهيار وحقن دماء الآلاف من

الدنيين.. بعثته كقاضي عادل ينفذ العدالة بقوة باطشة، وهكذا فوجئ (سين) بالأخ الي فقده طفلا يُبعَث حيا من قلب العالم السفلي ليقف أمامه وجها لوجه، ملوِّحًا باستخدام القوة ضده إن قام بقمع الثورة بالعنف.. انحاز العامة والكهنة ل(أداد) الذي كان ظهوره وتحديه ل(سين) سببا في الحفاظ على حياتهم.. وهكذا اضطر (سين) للانسحاب ململما أذيال خيبته، تاركا الحكم بين يدي الكهنة منذ يومها.. منزويا بركن قصيّ ما بين (أور) و(لارسا) منتظرا الوقت المناسب الذي يعود فيه لمدينته المسلوبة..

انعزل (أداد) مرة أخرى بين الصحاري والقفار مكتفيا بحياة الكفاف بعد أن عايش حياة ما بعد الموت، ولكن ترك تصرفه السابق رسالة واضحة بأن بإمكانه العودة متى أعاد (سين) استخدام القوة ضد شعبه.. كان (شمش) عادلا بما يكفي ليعلم أن أخيه المدلل قد تجاوز كل الخطوط الحمراء، وليؤيد بصمت قرار (إرشكجال) الحاسم الذي حال دون وقوع مجزرة لا مبرر لها.. تألم بصمت لعزلة (سين) الإجبارية ولكنه لم يبادر لتحدي أخيهم العائد من العالم السفلي.. ليس خوفا منه رغم علمه بقوته، ولكن لتيقنه داخليا من خطأ ما كان (سين) يفعله..

ولكن تناهت الفكرة لذهنه.. فكرة استعادة مدينة أخيه

سلميا بدون إراقة قطرة دم واحدة، جنبا إلى جنب مع استغلال موارد (أور) في مضاعفة رفاهية شعبه.. وهكذا تم وضع الخطة باستخدام الساحر القرد وسيد الأشكال (ميرميكال) ليتم زرعه محل الكاهن الأعلى، فيتم التحكم في مدينة (أور) كلها، كما يعيد ل(سين) ماء وجهه وحكم مدينته الغابرة..

ولكن يظهر (إنكي) ليفسد كل ما قام بالتخطيط له منذ عصور.. جاء مستخدما نفس استراتيجته في الاستقطاب السلمي للسكان.. وهو ما يبدو ناجحا بشدة حتى الآن..

أعاده (بونيني) لعالم الواقع قائلا:

- تتناقل الهمسات أن مدينة (إريدو) رغم قوتها فهي ليست ندا ل(لارسا) وجيوشها وسيدها..

ثم أضاف مبتسما بمكر:

- ناهيك عن استطاعتنا دفع (أور) للتحالف معنا في حربنا القادمة ضد (إريدو)..

قال (شمش) بحزم:

- من تحدث عن الحرب الآن؟ أتظنني أحمقا كأخي أتلذذ بقتل شعبي؟

تراجع (بونيني) خائفا مع بريق عيني (شمش) الغاضب، كان يفكر تفكيرا عسكريا صرف كونه قائدا عسكريا يجيد تنظيم الجيوش وتحريكها وخطط الكر والفر، ولكنه لا يستطيع استيعاب بعض سياسات (شمش) السلمية والتي تمكّنه من احتلال مدينة كاملة بدون تحريك سيف من مكمنه، فالبالنسبة له فالحرب وسحق الخصوم هما أقصر الطرق للنصر وأكثرها سهولة..

اعتذر (بونيني) لسيده، فقام (شمش) بتحويل اتجاهه نحو الزقورة المركزية متجاهلا سيل الاعتذارات، ثم قال بدون أن يولي بصره شطر قائد جيوشه:

- لابد من الاهتمام بموضوع تحوّل العامة نحو (إريدو).. سأسبقك لمعبدي بقمة الزقورة.. قم باستدعاء كبير الكهنة وكبير المهندسين وكبير الوزراء.. أخبرهم أن هناك اجتماعا له أهمية قصوى بخصوص التطورات الأخيرة الراهنة..

أعقب كلماته بأن حلّق كطائر ضخم محلقا بالسماء، ظنّ (بونيني) أن سيده سيتجه لمنتصف المدينة حيث مقر الاجتماع القادم بمعبده بقمة الزقورة المركزية، ولكنه فوجئ به ينعطف ليتجه للخارج نحو الأسوار، فأيقن انه متجه لمعبد زوجته السيدة (شيريدا) ليتشاور معها قليلا كعادته قبل أي قرار حاسم سيتخذه، ولوهلة ظن (بونيني) أن جسد السيد

(شمش) قد تمكّن من حجب قرص الشمس بنجاح أثناء طيرانه بقلب السماء..

٧- جلجامش



جلجامش

(بابل) السماوية..

ارتكنت (إينانا) بظهرها لجدار المعبد وهي تتفكر في في ما آلت إليه الأمور.. ألقت نظرة متأنّية على قبضتيها وهي تفكّر في الهالتين اللتين بحوزتها.. بمجرد التفكير فيهما ظهرت الشرارات الفضية أسفل بشرتها لتحوّل القبضتين لكتلتين من فضة تنبض بالحياة.. زمت شفتيها وهي تفكّر في هذا الاحتمال.. ماذا لو قامت بتحرير الهالتين وأطلقت سراح البطلين (جلجامش) و(سرجون)؟ أليس هذا هو الوقت المناسب لاستخدامهما؟ سيساعدانها بكل تأكيد في الفرار من المعبد ومجابهة أي محاربين قد يحاولون منعها من الخروج.. ليست على دراية كافية بكيفية التحكم فيهما، ولكنها وكما فهمت من الحكيم (ماندانو) لا تحتاج لتدريب خاص من أجل هذا، يكفيها فقط التفكير لتقوم بتحريرهما ثم سيتوليان هما تنفيذ رغباتها كحارسين شخصيين جبارين.. ولاحظت بالفعل أنه بالتفكير فقط في الهالتين بدا وكأنهما على أهبة الانطلاق من عقاليهما والتجسد بأرض الواقع السماوي.. ولكن أليس هذا بالضبط ما يريده الساحر (النمرود) منها؟ لا تقلل من شأن بطليها بالطبع ولكنها لا تعلم حدود قدرات (النمرود) السحرية والتي تبدو مخيفة.. والأكثر إثارة للفزع هو احتمال تدخل السيد (مردوخ) والذي لا يعرف عنه أي سماوي خارج (بابل) هيئةً ولا قدرات.. لذا قامت بكبح رغبتها الاندفاعية المتهورة في إخراج الهالتين

ارتكنت (إينانا) بظهرها لجدار المعبد وهي تتفكر في في ما آلت إليه الأمور.. ألقت نظرة متأنّية على قبضتيها وهي تفكّر في الهالتين اللتين بحوزتها.. بمجرد التفكير فيهما ظهرت الشرارات الفضية أسفل بشرتها لتحوّل القبضتين لكتلتين من فضة تنبض بالحياة.. زمت شفتيها وهي تفكّر في هذا الاحتمال.. ماذا لو قامت بتحرير الهالتين وأطلقت سراح البطلين (جلجامش) و(سرجون)؟ أليس هذا هو الوقت المناسب لاستخدامهما؟ سيساعدانها بكل تأكيد في الفرار من المعبد ومجابهة أي محاربين قد يحاولون منعها من الخروج.. ليست على دراية كافية بكيفية التحكم فيهما، ولكنها وكما فهمت من الحكيم (ماندانو) لا تحتاج لتدريب خاص من أجل هذا، يكفيها فقط التفكير لتقوم بتحريرهما ثم سيتوليان هما تنفيذ رغباتها كحارسين شخصيين جبارين.. ولاحظت بالفعل أنه بالتفكير فقط في الهالتين بدا وكأنهما على أهبة الانطلاق من عقاليهما والتجسد بأرض الواقع السماوي.. ولكن أليس هذا بالضبط ما يريده الساحر (النمرود) منها؟ لا تقلل من شأن بطليها بالطبع ولكنها لا تعلم حدود قدرات (النمرود) السحرية والتي تبدو مخيفة.. والأكثر إثارة للفزع هو احتمال تدخل السيد (مردوخ) والذي لا يعرف عنه أي سماوي خارج (بابل) هيئةً ولا قدرات.. لذا قامت بكبح رغبتها الاندفاعية المتهورة في إخراج الهالتين

من بين قبضتيها وفضّلت توخي الحذر والاعتماد على انتظار ظهور منقذ لها.. ولكن لطمتها حقيقة أنه لا يعلم أحد بمكانها حاليا.. لا أحد يعلم على الإطلاق إنها محتجزة بمعبد السيد (مردوخ) بقلب (بابل) السماوية الخفية.. وهكذا تقامر هي بشدة في اعتمادها على حدس من بإمكانهم التوصل لحقيقة موقفها.. سواء الحكيم (ماندانو) و(نينشوبور) ب(الوركاء)، أو (نينورتا) بالأرض البشرية.. فهل من الممكن أن ينجح أي من الفريقين في كشف واقع اختطافها ومحاولة تحريرها من آسريها الغامضين المتخفيين خلف جدار السحر؟ شعرت بثقة عامرة تغمرها، فكما استطاع من قبل الحكيم ووصيفتها إيجاد طريقة لتوصيل معلومة موت (حمورابي) لها بمنتهى البراعة، سيستطيعان التصرف مجددا والوصول إليها.. أما عن شقيقها (نينورتا) فلم يزِد أملها في أن ينجح في العثور عليها عن خشيتها عليه من أية أخطار قد تكون تحيط به الآن بالأرض القاصية القاسية، ناهيك عن سعي (النمرود) واسع الحيلة والسحر للبحث عنه بمنتهى الهمة والإصرار..

خفتت غلالة الأضواء الفضية عن قبضتيها تدريجيا حتى اختفت تماما فعلمت أن أوان استخدامهما لم يحن بعد.. قدرهما محتوم وشعرت بأنه سيكون لموقف أكثر تعقيدا من موقفها الحالي بمراحل.. ولابد أن انعتاق البطلين (جلجامش) و(سرجون) سيكون ضمن خطة كبيرة ستؤثر في مصير

العالم السماوي كله..

تدفقت الذكريات لتتذكر التقاطها للهالة الإلهية الأولى.. لم تكن فكرة الهالات الإلهية بشكل عام يتم ذكرها بين السماويين وكأنها شيء حقيقي.. كانت أشبه بأساطير الأولين.. خرافة قديمة ذكرها بعض القدماء في كتبهم بشيءٍ من المغالاة.. فكيف لعالم أدنى وكائنات سفلية ضعيفة كالبشر أن تُخرِج أفراد لديهم القدرة على التجسد بالعالم السماوي والتأثير في مصيره.. وهكذا ظلت قصة الهالات قصة تصلح للأطفال ما قبل النوم كقصة مسلية لا أكثر، في حين أُخِذَت (إينانا) بالهالات وصدقت وجودها كحقيقة لا تقبل الشك.. كثّفت من قراءاتها بكتب الأقدمين ولكنها لم تجد ما يشفي غليلها.. فقط لمحات متناثرة مبهمة بين السطور تقص عن وجود هالات إلهية بين البشر، ولا يمكن اقتناصها إلا وقت موتها لانفصالها عن الروح حينئذ.. لذا قامت بالتجوّل بعالم البشر كثيرا بحثا عن أي بشري قد يصلح ليكون مصدر قوة هائلة كهذه القوة.. كلما وجدت حاكما متميزا تتبعت أثره ولكن سرعان ما يخيب أملها بأفول نجمه بسرعة.. حتى جاء (جلجامش)..

كان جميل المحيا وقسمات الوجه بشكل لافت للنظر.. بهر الجميع ببهائه منذ مولده.. زاد جماله أضعافا مع تقدمه

بالعمر كما زادت قدراته القيادية والقتالية معًا.. نما وترعرع ب(الوركاء) البشرية ليصير حاكما لها منذ شبابه.. تابعته (إينانا) بشغف فهذا المقاتل وبلا شك يمتلك الهالة الإلهية التي تتحدث عنها الأساطير.. تميّز بالدموية في حكمه وصار يعاقب بقسوة كل من سوّلت نفسه الاقتراب من حدود (الوركاء).. أكثر من الصيد وتمزيق الحيوانات الضارية بعنف صار ملازما لاسمه وملائما لوصف شخصيته.. تجبّر وصار يتسلى بصيد القليل من أهل مدينته نفسها وكأنهم حيواناته الأليفة.. ثار أهل (الوركاء) ولكنهم لم يجرأوا على معارضته، فقد كانت قوته تفوق قوة جيش كامل حقا، ولديه من الهيبة ما يجعل القلوب تكف عن النبض لدى رؤية جسده مثال الكمال العضلي والجسدي.. ولكنهم لم يكفوا عن الدعاء في صلواتهم الليلية خفيةً طالبين من الآلهة أن تقيهم شرّ بطشه الذي رأوه قد فاق بطش الآلهة..

شاع أمره بين أسياد السماويين فكان لابد من وضع حد لجموحه، إذ لم يكن من المعتاد أو المقبول أن يذيع على ألسنة البشر اسم بهيبة تفوق هيبة الأسياد آلهة البشر.. وهكذا تصرّف (أنو) -بصفته سيد الأسياد- وقام بالبحث بين عالم البشر عن مقاتل يضاهي (جلجامش) قوةً وبأسا فوجده.. أو ظن كذلك..

قام بتحريض المقاتل (إنكيدو) ليقوم بلمّ شمل القبائل المجاورة وقليل من شجعان (الوركاء)، وقام بإعلان تحدي علني طالب فيه الملك الظالم بمنازلته شخصيا.. كان (إنكيدو) أشبه بالقرد مغطى بشعر كثيف كالوبر يغطي عضلات مهولة الحجم.. خرج له (جلجامش) باستهانة وكانت المنازلة الرهيبة التي استغرقت أياما.. نجح (جلجامش) بقوته الأسطورية أخيرا في دحر منافسه القوي وهزيمته، ولكن نال خصمه منه احتراما تحوّل بمرور الوقت لصداقة متينة بينهما.. وهكذا فشلت محاولة آلهة العالم السماوي في هزيمة (جلجامش)، بل على النقيض وهبته صديقا وحليفا لا يشق له غبار..

تيقنت (إينانا) حينها من أنه الملك المنشود صاحب الهالة الإلهية الأولى في التاريخ.. تنزّلت له في صورتها السماوية لتعطي لنفسها المهابة المطلوبة.. أخبرته إنها ستقوم بدعمه دائما وأبدا كإلهته وإلهة مدينة (الوركاء).. سخر منها إذ لم يكن يعترف بغير نفسه إلها.. قام بزجرها بعنف ووصل به الحد لتهديدها.. ثارت ثائرتها وسارعت بطلب المشورة من أبيها (إنليل).. أخذ الأمر منحنى شديد العنف عندما طالبت (إينانا) أبيها بمنحها الفرصة لقتله في ضربة ذات عدة أهداف.. أولًا لتريح العالم السماوي من ما يسببه من تعدي على سيادتهم بالأرض، وثانيا تنتقم لنفسها من إهانته لها

ورفضه المتبجح، وثالثا والأهم هو انتهاز فرصة موته للتأكد من نظرية الهالات الإلهية، فبشري جبار كهذا إن لم يمتلك هالة إلهية فبالتأكيد ليس لها وجود..

تفكّر (إنليل) مليا في الأمر ولم يحبذ فكرة أن يقوم أحد الأسياد بقتله، سيكون في الأمر كثيرا من الإهانة للعالم السماوي، ف(جلجامش) مهما بلغ من القوة فلن يكون ندا لأحد الأسياد، كما أن تدخّل سيد سماوي بشكل شخصي من أحد أسياد الصواعق من نسل الملك (أنو) وتجسده بالأرض وقتل بشري هو أمر مخالف لقوانين العالمَيْن، الأمر الذي لن يمر مرور الكرام على باقي الأسياد.. ستثار زوبعة لا داعٍ لها قد تهدد استقرار العالم السماوي كله الذي يضج بكراهية الأسياد كلهم لبعضهم البعض، ورغبة كل سيد في الاستقلال بنفسه سيدا أسمى عن الجميع.. لذا وجد حلا بديلا ارتآه مناسبا للموقف اقترحه على (إينانا).. أو ظن كذلك..

تواصلت (إينانا) مع الملكة (إرشكجال) ملكة العالم السفلي جحيم (أرالو)، قصّت عليها القصة كاملة -بدون التطرق لنقطة الهالات الإلهية- وطالبتها بالتدخل ببعث أحد وحوش العالم السفلي وتكليفه بمهمة واحدة وهي اغتيال (جلجامش).. فكما يقتضي دورها في الحفاظ على التوازن بين الخير والشر والموت والحياة بالعالم السماوي، ناشدتها

بشيء من المرونة يجعلها تتفهم أن وجود (جلجامش) وطغيانه بالأرض بين البشر ونصره على مخططات السيد (أنو) السابقة بهزيمته ل(إنكيدو)، كل هذا يدفعها للتصرف بشكل إيجابي والتخلص منه.. كان تفكير (إنليل) أن ملكة العالم السفلي وحدها دونًا عن كل الأسياد هي من يمكنها القيام بالأمر بدون إثارة القلاقل وبدون مخالفة لقواعد العالمين..

استجابت (إرشكجال) لطلب (إينانا) بعد ممانعة مبدئية لم تدُم..وهكذا تم بعث الثور السماوي (لاماسا) من مهجعه بالجحيم لأرض البشر، في مهمة واحدة لا غير ألا وهي التخلص من (جلجامش).. تواجدت (إينانا) بالقرب رغبةً في اقتناص لحظة تسلل الهالة الإلهية والنجاح في اقتناصها على الفور قبل ضياعها كما قرأت في كتب حكماء الأسياد الأولين.. رأت بأم عينيها الثور الضخم المهيب ينقض على (جلجامش) والذي بدا رغم ضخامة جسده حملا وديعا بجانب الثور العملاق.. هاجم الثور بكل ضراوة (جلجامش) بقلب الغابة أثناء قيامه بجولة صيد اعتيادية.. باغته وظل يضربه بقرنيه مرارا وتكرارا يريد تكسير عظامه.. حاول (جلجامش) صدّ الضربات ولكن كان الأمر أقوى منه بالفعل.. هنا يبرز الصديق القوي (إنكيدو) ويشتت الثور بحمل قائمتيه الخلفيتين ويقوم بقذف جسده بعيدا بقوة

خارقة.. زمجر الثور بعد سقوطه إذ توقع انتهاء معركته مع (جلجامش) ببساطة.. دارت معركة شبه متكافئة بين البشريين الخارقين وبين الثور السماوي انتهت بأن استطاع (جلجامش) فصل رأسه عن عنقه بيديه العاريتين بعد معركة رهيبة، نال جسداهما فيهما من الثور الكثير من الطعنات المؤثرة.. وتطلب الأمر منهما أياما ليتعافيا من جروحهما الشديدة..

كان لهذا للأمر وقعا شديدا بكلا العالمين.. فبالأرض تم تأليه (جلجامش) كوعاء بشري يحمل دم الآلهة.. صار يُعبَد إلهًا اندثرت بجانبه كل أسماء باقي الآلهة.. تم نسج الأساطير والخرافات والحكايات المذهلة حوله حتى قيل أنه نجح في القضاء على وحش غابات (الوركاء) الوحش (خومبابا)، والذي كان اسمه قد تسرّب للبشر عبر كهنة الأسياد.. أما بالعالم السماوي فقد اندلعت ثورة عارمة بجميع الأرجاء كان منبعها خوفهم من بدء حقبة جديدة يتم فيها تأليه بشر بدلا من الأسياد.. لهذا كان لابد من القضاء على (جلجامش) كهدف اجتمع عليه كل الأسياد.. في حين غضبت (إرشكجال) غضبا لا مثيل له لما علمت أن وحشها قد تم قتله، بعد مساعدة من بشريّ كان (أنو) هو من قام بتجنيده من قبل في الصراع ضد (جلجامش).. وصبت جام غضبها على (أنو) و(إينانا) وأسياد الصواعق بشكل عام متوعدة من

يزورها منهم بعالمها السفلي، إذ كانت (إرشكجال) لا تغادر عالمها السفلي أبدا..

قبل أن يحرك أي من الأسياد ساكنا قامت (إرشكجال) بإرسال رسولها الخاص (نمتار) بوباء قاتل مميت نال من صديق (جلجامش) وصُنع (أنو) المقاتل (إنكيدو).. وهكذا مات صديق (جلجامش) خلال أيام معدودة ليُصاب الأخير بنوبة اكتئاب حادة سخط فيها على الآلهة وعلى الموت وعلى كل ما لا يستطيع لمسه وهزيمته.. انعزل عن مدينته وشعبه وصار يهيم بالصحاري والقفار والغابات بحثًا عن الخلود.. وبينما اشتغل خيال البشر بصنع عمل أدبي خالد خيالي ذهب فيه بطلهم الأسطوري في مغامرة، نجح فيها بالعودة بإكسير الخلود بعد مقابلة الناجي الوحيد من الطوفان العظيم، والذي أسداه من النصائح ما مكّنه من العثور على مبتغاه، فقط لتسرقه منه أفعى قبل دخوله ل(الوركاء)، فيعود خالي الوفاض ويظل حزينا إلى أن يلقى منيته وسط أهله وأهل شعبه شامخ الرأس رغم حزنه كإله متسامي.. كانت الحقيقة بعيدة كل البُعد عن هذه القصة الخيالية الملهمة، الحقيقة هي أن جميع الأسياد قد باركوا قرار أسياد الصواعق بالإجماع لتنتهي حياة (جلجامش) بصاعقة محدودة من (إنليل) أنهت حياته المديدة، وسارعت (إينانا) الكامنة بالقرب لتهرع محلقةً نحو الخيوط الفضية

التي ترقرقت بالهواء كنثار ماء متطاير للأعلى ضد الجاذبية.. تطلعت بوَلَهٍ ممتزج بذهول للهالة الفضية.. ورغم أنها كانت من أصرّ على وجود هذه الهالة إلا أنها فوجئت برؤياها تتجسد أمام عينيها.. اقتربت منها بعينين متسعتين يمتزج فيهما الإجلال بالدهشة، والرغبة بعدم التصديق.. لم تدرِ ماذا تفعل فاكتفت بمدّ ذراعيها عن آخرهما وقامت بفرد أصابع قبضتيها للأمام.. وكأنها تشير للهالة بالتحرك.. تحركت الخيوط الفضية برغبة (إينانا) لتتلوى وتتراقص ثم تتجه طوعًا نحو الأصابع القصيرة الممتلئة فتمتزج بها امتزاج الدم بالعروق.. وشعرت (إينانا) لوهلة بفيض من طاقة غريبة تتدفق بجسدها لمدة ثوانٍ قبل أن ينتهي كل شيء.. وهكذا تم التحقق من وجود هالات إلهية بين الأبطال من البشر، وحصلت (إينانا) على أولها.. أولها بحسب ما تعرفه هي..

لم تدرِ أن (النمرود) شخصيا كان يجلس متربعا على الأرض الحجرية لغرفة يفصلها عن غرفة (إينانا) الجدار الذي تستند عليه بظهرها، يغلق عينيه ويضم قبضتيه محاولًا القبض على شيء مراوغ.. كان يستخدم كل قدراته للكشف عن أي كيان يخرج من جسد (إينانا)، والذي سيكون بكل تأكيد هالة إلهية.. شعر بدنوّ زوج من الكيانات قادمة من عالم آخر.. كيانات قوية جبارة.. هي كيانات تعود لصاحبي الهالتين الإلهتين وبلا شك.. اتسعت ابتسامة (النمرود) وهو يتربص

بمكر منتظرا ظهور زوج الكيانات بالعالم السماوي وهو يتمتم لنفسه بسخرية:

- ستقومي باستخدامها إذًا أيتها الساذجة!

ولمّا شعر بقوة حضور كلا الكيانين وكأنها على وشك التجسد بالعالم السماوي، اختفت فجأة وكأنها لم تكن.. كادت أن تعبر برزخ ما بين العالمين لولا انسحابها بشكل مباغت في اللحظة الأخيرة.. قام بفتح عينيه ساخطا وهو يعيد قبضتيه لجانبيه مغمغما بمقت:

- ليست الفتاة بساذجة بشكل كامل كما كنت أتوقع!

أتاه تعقيب من خلفه يقول بصوت رنان رخيم:

- ليست ساذجة على الإطلاق عزيزي (النمرود)..

٨- المرتزقة أسياد

(نيبور) السماوية..

انفض جمع الجيش الحامي لمدينة (نيبور) ومشاعر حيادية تغمر الجميع، ما بين حزن ناجم عن الإمساك بالسيد (إنليل) أسيرا، وبين فرحة عدم نشوب حرب والخروج بأرواحهم حية، وكذلك السماح لهم بإخراج مَنْ تم تكديسهم بمعابد السيد (إنليل) المتناثرة من أطفال وشيوخ بغرض حمايتهم، لم يخسروا روحا واحدة سواء من أنفسهم أو من ذويهم ويُعَدّ هذا انتصارا بحد ذاته، وعلى مرّ عدة أيام من ترقُّب متوجِّس لاحظوا استقرار أمور البلاد وعدم تغيير نمط حياتهم المعتاد أو التضييق على حريتهم بأي شكل من الأشكال من السيدين الجديدين (أمورو) و(إيشارا)، السيد (أمورو) الذي صار يلقب رسميا بالراعي العادل، والذي استقر حصريا بمعبد السيد (إنليل) بقمة الزقورة المركزية بالقسم الشمالي من البلاد، بينما اتجهت (إيشارا) على الفور نحو مكتبة (نيبور).

كان لديها هدف خفي دفعها لهذا، لمّا توقفت وسط الأرفف المثقلة بالرُّقُم علمت أن مبتغاها قاب قوسين أو أدنى منها، رفعت ذراعيها لتبرز المخالب السوداء القبيحة، قامت بلمس جزء القماش المغطي لوجهها بقبضتيها في نقطتين يشغلا

نظريا محل عينيها، برق وهج أحمر أسفل القماش الأبيض ليبدأ تفعيل كينونتها السحرية والقادرة على رؤية ما خلف الحواجز والمسافات، ركّزت على الرُّقُم المتناثرة بنظام في كل مكان تبحث عن شيء واحد، عن معلومة واحدة، عملت الكينونة بقوة خارقة لتتصفح الرقم كلها بلمح البصر كحاسوب متقدم سابق لعصره، توقف البحث عند معركة الأسياد الدموية الأولى، ثم ضاق مجال البحث ليتوقف عند السيد (أنو)، تنهدت (إيشارا) بارتياح لما وجدت ما أرادت فقامت بالتخلي عن كينونتها والعودة لجوّ المكتبة الضخمة التي استخلصت من بين نقوشها ما تريده بمنتهى الدقة، لم ترق لها المكتبة الضخمة بعد أن لم تعُد ذات قيمة بالنسبة لها، ورأت فيها تضييعا لمساحة هائلة تصلح كثكنة لتجمُّع عدد من عقاربها، العقارب التي استقر السواد الأعظم منها بمدينة العقارب -(ماراد) سابقا- بينما احتفظت (إيشارا) بعدد قليل يصلح كحرس شخصي لها، وإن كان من الواضح أن وظيفة هذه العقارب ليست إلا تمثيل نوع من موكب مخيف يضفي على شخصيتها المهابة اللازمة..

سلّطت عقاربها فقاموا بتحطيم كل ما احتوته مكتبة (نيبور) من رُقُم وأرفف، عاثت الكماشات السوداء ذات المخالب الفساد بصالات المكتبة ومحتوياتها، تم تدمير مئات من مصادر العلم والفن والأدب السماوي خلال لحظات، ما

بُنِي في عشرات السنين تم محوه في دقائق، عجّت صالات المكتبة بالغبار الكثيف الناجم عن تحطم الصخور، ثم قامت العقارب بنخر الأرض بسرعة منهجية لتقوم ببناء طرق ملتوية ظلت تمتد أسفل (نيبور) حتى كوّنت شبكة متصلة جعلت الأرض مجوفة كخلية نحل عملاقة، وهكذا صار باستطاعة أي عقرب التوجه من تحت المكتبة لأية نقطة بالمدينة كلها حتى الحدود خلال ثوانٍ وبطريقة مفاجئة لتبرز فوق سطح الأرض البعيدة وحتى خارج (نيبور).. ثم قامت (إيشارا) بتوجيه المارد الغاضب (عسق) لمعبد (نينورتا) الأسود بأقصى الجنوب، أخبرته أنه سيكون مقره للأبد، وقامت بوهبه زوجين من العقارب ليلازماه دائمًا وأبدًا في كل تحركاته كنوعٍ من محاولة إرضائه، كان ساخطا لعدم قيامه بمذبحة تليق بغزو مدينة مثل (نيبور)، أو على الأقل ذبح سيدها، ولكن لمّحت له (إيشارا) بأن كل ما يتمناه قادم وكلّ ما عليه هو أن ينتظر ويثق بها.. تخيّرت هي معبد (إينانا) المجاور للمكتبة لتتخذه مقرا رسميا لها، وإن قضت أغلب أوقاتها فعليًا بمعبد (إنليل) تتناقش مع (أمورو) في أمور الحكم ومستجداته..

تم حجز (إنليل) بغرفة متوسطة الحجم أسفل الزقورة المركزية أشبه بسرداب مرتفع السقف، مقيدا بأغلال تكوّنت من الحبال التي يمسك بها (أمورو) بيديه، كانت تكبل

أطرافه الأربعة للأرض والسقف تاركةً إياه جاثٍ على ركبتيه ناظرا للأمام قسرا.. بينما تراصت أربع نوافير متوسطة الحجم حول جسده كانت تضخ الماء باستمرار حوله لتحيط جسده بِكُرةٍ حقيقيةٍ متجسدة من الماء، كانت قطراتها تتناثر باستمرار على جسده وتجعله رطبا طيلة اليوم ليلا ونهارا، كان (إنليل) يعلم جيدا بأن الماء موصّل جيد للكهرباء التي تعج بها صواعقه، وخمّن أن هذه الفكرة كانت لمنع صواعقه من الانتشار لما بعد حدود هذه الكرة المائية، التي ستمتص الجزء الأعظم من الكهرباء وتعيد تمريرها خلالها مغيرةً إتجاهها ومشتتة لهدفها إن أرادت السير في خط مستقيم، فتظل الكهرباء تسري للأبد بجدران الكرة المائية حتى تنتهي طاقتها، وإن كان خوفه الأشد من جعل جسده رطبا مبلولا بالماء باستمرار، مما يهدد بجعل صواعقه ذاتية التأثير، ويجعل الصاعقة المنطلقة من جسده تأخذ مسارا جانبيا لتتخلل جسده عبر الماء المغطي لجسده.. فإن أطلق صاعقة واحدة في أي اتجاه ستقوم بحرق جسده هو أثناء انطلاقها من عقالها.. من الواضح أن (إيشارا) قد استفادت جيدا من دراسة نقوش الرقم بالمكتبة الغابرة..

بعد مرور سبعة أيام من استقرار ثنائي الأسياد ب(نيبور) حلّ استقرار نسبي بين أهلها محلّ المخاوف الحديثة، وبدأ الشعب تدريجيا يتأقلم على حياة جديدة تحت حكم الراعي

العادل، كما بدأوا يعتادون غياب السيد (إنليل) بسرعة لم يتوقعوها هم أنفسهم..

باليوم الثامن بالتحديد دخلت (إيشارا) على (أمورو) بقلب معبد (إنليل) بقمة الزقورة الشمالية المركزية، يتبعها زوج من العقارب الشخصية كالحة السواد، توقفت أمامه لتقول له بإيجاز:

- لقد حان الوقت!

لمعت عينا (أمورو) بشدة وقام من كرسيه أسفل تمثال (إنليل) بحركة سريعة تموج بالانفعال وهو يردد:

- وأخيرًا!

ثم تحرّك للأمام نحوها وهو يسألها:

- هل تدربتي جيدا على ما ستفعلينه؟

أفسحت له جانبًا ليسبقها ثم تبعته على الفور وهي ترد عليه:

- لقد كان الأمر صعبا بأول ليلتين قضيناهما ب(نيبور)، ولكني تمكنت من النجاح في السيطرة على كينونتي بدءًا من اليوم الثالث.. وصرت أستطيع القيام بالأمر بمنتهى اليسر بآخر ليلتين..

ثم أضافت وهما يتجاوزان حافة قمة الزقورة ليحلّقا بالهواء قبل أن يبدأ جسداهما رحلة هبوط سريعة:

- سينتهي الأمر الآن.. أعدك سيدي..

خلال لحظات كانت قدما كل منهما تحطّ على الأرض بسلاسة، ثم سارع (أمورو) بالاتجاه نحو هدفه تلاحقه (إيشارا) وزوج عقاربها المخلصين.. وكان الهدف هو غرفة حجز (إنليل)..

كانت الغرفة بلا حراسة، هبط السيدان عبر ممر ضيق ينحدر تحت الأرض يفضي مباشرةً لسجن (إنليل)، تم صنع الممر والغرفة بواسطة عقارب (إيشارا) بالطبع بعد تشاورها مع (أمورو) في مكان ملائم لحبسه يكون بعيدًا عن العيون فلا يراه أحد وتذبل ذكراه لدى العامة بسرعة، بالإضافة لفكرة تطويقه وغمره بالماء والذي هو أقوى سلاح دفاعي ضد أسياد الصواعق.. في هذه اللحظة ومع رؤيتهما لنوافير الماء المحيطة بالجسد المكبل في الوضع جاثيًا استعادت (إيشارا) لحظة اقتناصها لمعلومة من قلب منازلات ومعارك (أنو) الفردية إبان الأسياد الأوائل، معلومة تفيد بأن صواعق (أنو) تم احتواؤها بذكاء بواسطة السيد (أبسو) والد السيد الحالي (إنكي) عن طريق استغلال الماء في صد الصواعق، بتكوين دوامات وحلقات من الماء احتوت الصواعق وجعلتها تدور

حول نفسها في حلقات مفرغة.. وهكذا تم استغلال هذه المعلومة النادرة في تحييد (إنليل) بمهارة بحيث لا يمكنه التحرك من مكانه أو حتى إطلاق صاعقة واحدة.. في الواقع لم يكن هناك داعٍ لتكبيله جسديا ولكنها فقط الرغبة في إذلاله لأيام قبل بدء الخطة الأساسية والتي جاء السيدان من أجلها..

حدق بهما (إنليل) بنظرة لم تضعف فيها القوة مقدار ذرة، فنظر له (أمورو) باستهانة قبل أن يخاطب (إيشارا) قائلا:

- هل سيستغرق الأمر طويلًا؟

ردت عليه من فورها:

- ستكون مجرد لحظات بالنسبة لك يا سيدي..

ثم أضافت شامتة:

- أما بالنسبة لسيد الصواعق فستستمر دهورا لا حصر لها!

لم يفهم (إنليل) مغزى كلامها، لم يشعر بالخوف ولكن انتابه قلق بصدد شيء ما يخططان لفعله الآن، شيء سيصيبه بالألم الشديد كما خمّن من كلمات (إيشارا)، ولكنه لم ينبس ببنت شفة واكتفى بقذفهما بنظراته المتحدية..

اقتربت منه (إيشارا) ببطء حتى صارت بمواجهته.. كان

وجهه مقابلا لخصرها مباشرةً.. مالت للأسفل فاردةً أصابعها ذات الأظفار المخلبية لتمسك بصدغ (إنليل) من الجانبين، شعر (إنليل) بملمس الأظفار البارد كالثلج فاقشعر بدنه رغما عنه، قرّبت (إيشارا) وجها مخفيا بحجابه الأبيض القماشي وهمست بعذوبة لم تتلائم مع المشهد:

- سامحني يا سيد الصواعق.. ما أفعله بك لن يمر بدون ألم.. حقيقة الأمر سيحمل أقصى درجات الألم حتى على جسد سيد عظيم مثلك.. ولكن ما سيتبين لك بعد انتهاء الألم الجسدي سيحمل لك من الآلام النفسية ما سيفوقه أضعافا مضاعفة.. ستجد نفسك مجردا من هويتك ومن قواك ومن هيبتك ومن كل ما يمثّل دافعا لرغبتك في الوجود.. مترديا كالنطيحة من فوق جبل كبريائك السابق الذي سيستحيل بؤسا ورثاءً أبد الدهر..

فهم (إنليل) جزئيا ما ستفعله.. فهم ولكنه لم يستوعب.. لم يصدق.. باعدت أصابعها عن وجهه لتقوم بتكويرها وتوجيهها نحو محل مقلتي عينيها.. قبضت على القماش المغطى لوجهها كما فعلت من قبل بمكتبة (نيبور).. أخرجت كينونتها للوجود متمثلة في بقعتين تبرقان بلون أحمر قانٍ بوسط وجهها من خلف حجابها الأبيض.. قبضت على كتفي (إنليل) بقوة وهي تهتف بقوة:

- باسم قوة سحر الكينونة الذي لا حدّ لقدراته.. أريد استيعاب كل ما يملكه جسد السيد وروحه من قوة.. أريد أن أنزع عنه قوة الصواعق وأحتويها بين يديّ..

اتسعت عينا (إنليل) بذهول.. وقبل أن يأتي بأية رد فعل شعر بألف صاعقة تضرب جسده بالتزامن.. تقوّس ظهره للخلف وتمزقت الحبال المكبلة له.. تحركت (إيشارا) معه لتظل ملصقةً قبضتي يديها المضمومتين على كتفيه تمتص قوته امتصاصا.. أفلتت صيحات ألم هادرة من حلق (إنليل) اهتزت لها صخور الزقورة.. شعر (أمورو) بالرهبة وهو يرى بعينيه سحر الكينونة يعمل بأقصى طاقته ليسحب من جسد (إنليل) قوته المميزة.. اهتز جسد (إنليل) وصرخاته لا تتوقف.. بدا جسد (إيشارا) يهتز معه وكأنها تحاول السيطرة على قوة لا يمكن ترويضها بسهولة.. كان مشهدا لا يمكن أن ينساه (أمورو) أبدا.. جسدان متلامسان تنتقل طاقة كاسحة من أحدهما للآخر.. طاقة تجعل ذرات الهواء بالأثير ترتجف.. وصرخات (إنليل) تصاحبها صيحات أنثوية ل(إيشارا) التي بدا أنها تتألم بدورها.. وقطرات الماء الراقصة في شكل دائري من النوافير الأربعة تغلف المشهد كله بحاجز سرابي قبل أن تسقط على الجسدين وتجلدهما بتؤدة لا تملّ..

لاحظ (أمورو) أن بريق عيني (إيشارا) يخفت بسرعة.. إنها

- باسم قوة سحر الكينونة الذي لا حدّ لقدراته.. أريد استيعاب كل ما يملكه جسد السيد وروحه من قوة.. أريد أن أنزع عنه قوة الصواعق وأحتويها بين يديّ..

اتسعت عينا (إنليل) بذهول.. وقبل أن يأتي بأية رد فعل شعر بألف صاعقة تضرب جسده بالتزامن.. تقوّس ظهره للخلف وتمزقت الحبال المكبلة له.. تحركت (إيشارا) معه لتظل ملصقةً قبضتي يديها المضمومتين على كتفيه تمتص قوته امتصاصا.. أفلتت صيحات ألم هادرة من حلق (إنليل) اهتزت لها صخور الزقورة.. شعر (أمورو) بالرهبة وهو يرى بعينيه سحر الكينونة يعمل بأقصى طاقته ليسحب من جسد (إنليل) قوته المميزة.. اهتز جسد (إنليل) وصرخاته لا تتوقف.. بدا جسد (إيشارا) يهتز معه وكأنها تحاول السيطرة على قوة لا يمكن ترويضها بسهولة.. كان مشهدا لا يمكن أن ينساه (أمورو) أبدا.. جسدان متلامسان تنتقل طاقة كاسحة من أحدهما للآخر.. طاقة تجعل ذرات الهواء بالأثير ترتجف.. وصرخات (إنليل) تصاحبها صيحات أنثوية ل(إيشارا) التي بدا أنها تتألم بدورها.. وقطرات الماء الراقصة في شكل دائري من النوافير الأربعة تغلف المشهد كله بحاجز سرابي قبل أن تسقط على الجسدين وتجلدهما بتؤدة لا تملّ..

لاحظ (أمورو) أن بريق عيني (إيشارا) يخفت بسرعة.. إنها

لا تفقد كينونتها فقط.. الأمر أكبر منها.. ولكنها لم تتوقف رغم إدراكها لهذا.. أصرت على استنزاف طاقته مهما كلفها الأمر.. وكان جليا أن الأمر سينتهي بفقدانها لكينونتها للأبد، وربما ينالها من الإيذاء الجسدي نصيب.. ولكنها لم تتوقف.. وفي نفس اللحظة التي كفت فيها عيناها الخفيتان عن إظهار اللون الأحمر وفقدت كينونتها بالكامل، كان جسد (إنليل) يسقط أرضا خامدا كجثة بلا روح.. بينما استعادت (إيشارا) يديها لتبرز بين أصابعها كتلة من ضوء فضي ساطع يغشي الأبصار اضطر (أمورو) معه لإغلاق عينيه متألما.. حركت (إيشارا) الكتلة الساطعة مبهمة الحدود والشكل لترسلها نحو جسد (أمورو).. اندفعت نحو (أمورو) كأشعة مضيئة متفرقة قبل أن تصله في لحظة واحدة وتتحد بجسده.. اتسعت عينا (أمورو) بنهم وقد صارت تشعان بلون فضي، ثم ظهرت شرارات كهربية كصواعق صغيرة تخللت جسده لثوانٍ قبل أن تختفي تماما.. شعر (أمورو) بالطاقة تمر بجسده بلا حدود قبل أن تخمد بمرقدها بروحه وتصير ملازمة له كسيد جديد للصواعق.. بينما سقط جسد (إيشارا) بدوره أرضا تئن بألم وضعف..

اقترب (أمورو) ببطء من (إيشارا) ليطمئن عليها، ملقيا نظرة خاطفة على جسد (إنليل) لاحظ من خلالها انتظام حركة ارتفاع وهبوط صدره، ما زال حيا يتنفس.. لسوء

حظه.. انحنى بجسده نحو جسدها الملقي أرضا فجاءه صوتها يقول بضعف:

- لا تقلق عليّ يا سيدي.. سأكون بخير..

تراجع خطوة للخلف ليتركها تقوم ببطء، قال لها بنبرة تموج بالأسف:

- لقد خسرتِ كينونتك..

قالت بعد أن استوت واقفة ولكن بجذع منحني متضرر:

- لم أخسرها بشكل تام.. ما زالت حية في قوتك الجديدة كسيد للصواعق..

ثم أضافت بصدق:

- وإن امتلكتها فقط من أجل هذه الغاية فلن أندم مطلقا..

ابتسم (أمورو) قائلا لها:

- لن أنسى تضحيتك هذه ما حبيبت..

مالت بصعوبة لتلقي نظرة على جسد (إنليل) فاقد الوعي بركن الغرفة، ثم استدارت لتسأل (أمورو):

- ماذا نفعل به؟

قال ببرود:

- دعيه.. لم يعد يمثل أي خطر على أي كائن حي.. لم يعد من الأسياد ولن يستطيع التكيف مع وضعه الحالي كأحد العامة.. ربما يكون جسده حيا ولكن روحه ماتت منذ الآن..

وافقته (إيشارا) بإيماءة من رأسها انثنى على إثرها الطرف القماشي العلوي، ثم سارت خلف (أمورو) ليخرجا من الغرفة حتى ارتقيا ليصلا لسطح الأرض، تأمّل (أمورو) الشرارات الفضية التي تنطلق بين الحين والآخر من أصابعه بإعجاب وهو يتمتم لنفسه:

- سأعتاد هذا قريبا.. ولكن إلى أن أعتاده سيظل النظر إليها مذهلا!

قاطعته (إيشارا):

- هل انتهينا من أمر (نيبور) الآن؟ هل حان وقت إبادة قاطنيها بعد انتهاء مخططنا مع (إنليل) الذي باء بالنجاح؟

أخذ (إمورو) نفسا عميقا ثم أجاب متفكرا بعمق:

- أعتقد أن (إنليل) لم يكن مخطئا.. الإبقاء على حياة المدنيين والحفاظ على كلمتنا سيكون مفيدا أكثر بكثير من قتل العامة.. وربما يجعلنا بالمستقبل القريب سادة بصفة رسمية ل(نيبور) بالأخذ بالاعتبار محافظتنا لوعدنا..

بالإضافة لحب أهل (نيبور) لنا إن أحسنا معاملتهم..

قالت (إيشارا) باستنكار:

- هل تريدنا أن نقوم بحكم العامة بالعدل حقا؟ ونرى مظالمهم وندعم اقتصادهم وننظم جيوشهم ونبني معابدهم ومرافقهم؟ لابد أنك تمزح! نحن مرتزقة.. لا نتبع أي نظام ولا نقوم بعقد أية اتفاقات.. نهاجم على حين غرة وننال مبتغانا ثم نغوص بقلب الأرض لنختفي مرة أخرى..

قال لها (أمورو) بهدوء:

- وما يضيرنا إن قمنا بالاستقرار وغيرنا من طريقة معيشتنا؟ أليس من الأفضل أن نكتفي بهذا الانتصار ونرضى ب(نيبور) وطنا نهائيا إلى جانب مدينة العقارب موطنا لأطفالك الوحشيين؟

ترددت كثيرا والأفكار تتلاطم على سفح ثنايا عقلها وهي تقول ببطء:

- ليس من السهل تغيير نمط حياتك..

رفع يديه محركا إصابع يديه ذات شرارات الصواعق المحدودة وهو يقول محدقا بها بفخر:

- لقد تغير نمط حياتي بالفعل وصرت أحد أسياد الصواعق..

لا يوجد مستحيل.. سنستقر ب(نيبور) ونبدأ حياة جديدة..

لم تعارضه هذه المرة.. وافقته تماما على عدم وجود ما يسمى بالمستحيل.. لأنها وفي هذه اللحظة شعرت بشعور كان يستحيل عليها أن تظن أنها ستشعر به بعد نجاح سعيها في نقل قوة أسياد الصواعق ل(أمورو).. شعرت بالندم..

٩- معركة السيف المكسور

(أوما) البشرية..

تراضّ جيش (أوما) النظامي -أو ما تبقى منه- في خطوط عرضية متوازية، متأهبين لبدء الزحف السريع نحو منطقة الحدود الخصبة، بعد أن وصلتهم أخبار انكسار جميع الجنود الذي تم الزجّ بهم هناك، والاستيلاء على الأرض الخصبة كلها بجميع معسكراتها الأربعة.. كان الحاكم العسكري (شارا) يسير متواثبا يمينا ويسارا كالمحموم خلف خطوط الجيش وهو لا يستطيع كبح جماح غضبه الواضح.. طويل القامة عريض المنكبين بدروع ولباس حرب مماثل لألبسة الجنود، ولكن تميز عنهم بخوذة مستدقة الطرف العلوي منقوش عليها رمز أفعى ملتفة حول نفسها، وامتلك ملامح وجه قاسية وفك عريض ولحية مجدولة قصيرة وزوج من عينين صغيرتين ضيقتين آسرتين، كان قد وضع الخطة بنفسه بعد النجاح في زرع جاسوس بمنتهى الصعوبة بقلب مجتمع (لكش) الحربي.. كان ولاء أهل (لكش) خرافيا مما جعل من مهمة اختراق صفوفهم ووضع عميل ينقل لهم التطورات عن بُعد شيئا مستحيلا.. ولكنهم استطاعوا بجهد وانتظار من فعلها.. جاءته أخبار قدوم قائد عسكري وسياسي مخضرم قام لتوحيد صفوف أهل (لكش) وتدريبهم لإخراج كتيبة

حربية متميزة.. وهذا ما حاول (شارا) بنفسه وأده بقلوب أهل (لكش) باستيلائه على المنطقة الخصبة وتقنين وصول الماء لهم.. لم يكن يعترف بحقهم في الزراعة والتجارة، بل كان يؤمن بأنه لا يرى لحياتهم سببا أو دافعا.. ولو كان الأمر بيده لقام بتجريد السلاح وأغار على (لكش) وحرق بيوتها على قاطنيها، وجعلها مجرد مستعمرة تتبع (أوما) كامتداد زراعي فقط لا أكثر، ولكن قرار دموي يضج طغيانا كهذا لم يكن مُبَرَّرًا حتى وقت قريب، ولم يكن سيقابَل بالترحاب من العامة والكهنة رغم تهميشه لدور المعبد وتحويل (أوما) لبلد عسكري الطابع، خاصةً في ظل خنوع أهل (لكش) ورضيانهم بالذل والظلم، ولكن جاءه خبر بدء استعدادت انتفاضة (لكش) لتحيي آماله القديمة وتحرّك صفحة الماء الراكد منذ سنين، وصله نبأ تحرُّك الفرقة الحربية بالكامل لشنّ هجمة خاطفة على المعسكرات الحدودية، استحسن الفكرة في باطنه ولكنه فكر مليا في كيفية استغلالها لقلب الأمور لصالحه وتبرير القيام بحملة عسكرية شاملة كاسحة يبيد فيها (لكش) بسلالتها الحاكمة من الكهنة، وينهي سلسلة الحروب بين البلدين والتي لا يعلم أحد لها بداية وكأنها بدأت مع بداية التاريخ نفسه..

وهكذا قام بوضع الخطة الماكرة لاجتذاب الفرقة الحربية المميزة للأرض الخصبة، ثم الهجوم عليهم بنصف قواته وكل

ما يملكه من رماة أسهم، فإن كانت نقطة تميز هذه الفرقة هي القوة القتالية في النزال ليجردهم إذًا من هذه الميزة ويقتنصهم بدون أن يقترب منهم بسيول الأسهم القاتلة.. جاءته الأخبار بما لم يتوقع على الإطلاق.. لقد تم إبادة نصف الجيش بما يمتلكه من الرماة قبل أن يستولي أفراد كتيبة (لكش) على المعسكرات الحدودية بالكامل.. وتحدث الكشافة عن سلاح غامض يطلق نور وبرق كان له الأثر الأكبر في الهزيمة.. سلاح لم يرَ له أحد من قبل مثيلا تمت رؤية أضوائه من مسافة بعيدة وكأنها شمس ليل مؤقتة.. جن جنونه.. نحر عنق الرسول الذي جاءه بالأخبار.. سارع بحشد جميع الجنود والاندفاع نحو منطقة المعسكرات.. لن يسمح بخسارة الأرض الخصبة مطلقا والتي تعطي ممتلكها القوة العظمى في التفاوض.. أعلن له بعض قواده بأنه ليس من الحكمة الهجوم على منطقة محصنة كالمعسكرات فقام بإعدامهم جميعا.. أطاعه الجميع بخوف وقد علموا أن قائدهم لا يمزح حقا.. لم يكن (شارا) جاهلا أنّ دافِعَ جنوده ومن تبقى من قواده في الحرب هو الخوف، ولكنه لم يبالي، فالخوف يقطع الطريق على نية التمرد بشكل جذري، ويعطي الجنود دافعا للقتال حتى الموت لعلمهم بأن عودتهم مهزومين تعني الموت أيضا..

كان (شارا) يمثل ذلك الطراز من الحكام الذين يجمعون

بين الحكم السياسي والبطش العسكري، يكره وجود الكهنة بنفوذهم المتغلغل بين العامة ويقوم بتقويضه وتحجيمه على الدوام.. رأى في قائد (لكش) خصما يستحق الاحترام لمجرد إحيائه لفكرة المقاومة وعدم الاستسلام، وزاد احترامه له أضعافا بعد قدرته على السيطرة على المعسكرات الحدودية، ولكن بدءًا من الآن سيقوم بسحقه بكل قوته ويكفيه ما نجح في تحقيقه من انتصار سيذكره التاريخ كأول بادرة إيجابية تنجم عن (لكش) منذ عقود..

وها هي الآن الجيوش الزاحفة تقف أمام منطقة المعسكرات.. ما يناهز المئة وخمسين جنديا يقفون صفوفا.. كان قد خسر مثلهم بالفعل عددا بالإضافة للرماة، ولكن أنّى لخصمه أن يعرف مثل هذه المعلومات، كما أن عدد محاربي (لكش) في أفضل التوقعات لن تزيد عن الخمسين جنديا كما ذكر له جاسوسهم، بالإضافة لمن سقط صريعا أثناء المعركة السابقة..

قام بتنظيم الجيش لثلاثة أجزاء كالمتوقع في حالة مواجهته لثلاثة معسكرات، بينما تجاهل تماما المعسكر الرابع والواقع خلف المعسكرات بمحازاة الجرف المنحدر.. خمسين جندي بالتقريب بكل قطعة من الجيش من القطع الثلاثة التي ستتحرك بالتزامن في وقت واحد ويهجمون

على المعسكرات.. ميمنة وميسرة وقلب، وسيبقى هو كامنا خلف القلب متابعا سير المعركة وموجِّهًا الجنود حسب سير المعركة..

مع خيوط ضوء الصبح الأولى أصدر الأمر بالهجوم الشامل الكاسح.. صاح الجنود لتنطلق الجيوش الثلاث مندفعة للأمام نحو المعسكرات.. ولكنهم استطاعوا بوضوح رؤية ثلاثة فرق من المحاربين تخرج من حدود المعسكر لتقابلهم بهجوم مضاد بدلا من الدفاع والتمركز خلف الدفاعات الحصينة..

شعر (شارا) بالدهشة رغم ثقته بنفسه، ليس محاربوا (لكش) مضطرين للهجوم، هذا سيفقدهم نقطة القوة المتمثلة في قوة دفاعات المعسكرات، هل بالغ حقا في تقدير قوة خصمه قائد (لكش) أم أن في الأمر أمورا خفية؟ لم يجد ما يمكن أن يمثل له ما يخيف، وسارع بإعطاء الأوامر للقواد بأن يحملوا عليهم بكل قوتهم، فلقد أخطأوا وخرجوا لهم بأنفسهم رغم فارق القوة الخطير الذي يصب نحو جنود (أوما)، وكان عدد كل فرقة من محاربي (لكش) لا يمكن أن يتجاوز العشرين رجلا إن لم يكن أقل..

كانت **ميمنة مهاجمي (لكش)** تتقدم بسرعة فاقت سرعة الفرقتين الأخرتين.. تقدّم عدد من الجنود أقلّ بقليل من

نصف جنود ميسرة (أوما) المواجهة ليواجهوهم مباشرةً وبسرعة.. وبمجرد التحام الفرقتين تيقّن جنود (أوما) أنهم يملكون بالفعل ضعف عدد محاربي (لكش).. انتابتهم الحماسة وحملوا على محاربي (لكش).. كانت نزالات قوية استبسل فيها محاربوا (لكش) وإن لم تقل عنهم حماسة جنود (أوما).. تقدّم جيش ميمنة (لكش) القائد (لوكالندا) الذي كان يتحرك بسرعة خارقة وينازل ثلاثة جنود في آنٍ واحد.. كان من الواضح تفوق مهارة جنود (لكش) في النزالات الفردية، ولكن لم يصبّ العدد ف مصلحتهم، خاصةً وأن حماس جنود (أوما) كان نابعًا من خوفهم من الموت وهو مصيرهم إن عادوا لملكهم (شارا) مهزومين، لذا امتلأوا بحماسة من يريد الفرار من الموت..

كانت حركة **قلب محاربي (لكش)** أقل سرعة من حركة الميمنة.. ولمّا تواجهوا مع قلب جيش (أوما) أدرك قائد (أوما) السبب.. لقد كان عددهم قليلا جدا.. استطاعوا بوضوح أن يعدّوا تسعة من المحاربين تميّزوا جميعا بأجساد ضخمة وكأنه قد تم انتقاؤهم بطريقة مدروسة ليمثلوا قلب الجيش.. زاد جنود قلب (أوما) من سرعة زحفهم مع انتباههم لأن عددهم يفوق عدد خصومهم لحدّ قد يقارب الستة لواحد.. هجموا بحماس موقنين من النصر.. بينما قام المحاربون التسعة بصدهم والاكتفاء بمنازلات أشبه

بالمناوشات للدفاع عن أنفسهم وليس للهجوم، وكأنهم يدركون قلة عددهم والتي لا تسمح لهم بالمغامرة والتوغل بوسط خصومهم مهما بلغ تفوقهم الفردي والجسدي.. كانت الأجواء جنونية بهذه المعركة بالذات.. يهجم ثلاثة أو أربعة جنود من (أوما) على محارب (لكش)، وأحيانا يؤازرهم خامس.. يقوم المحارب بالصد والدفاع عن نفسه باستخدام سيفه ودرعه وأطرافه.. يقوم الواحد بصدّ ثلاث ضربات ثم يقوم بشن ضربة خاطفة سريعة مميتة قبل أن يعاود الوضع الدفاعي.. وحده قائدهم وأضخمهم جسدا القائد (نينكرسو) شخصيا كان يتحرك كالشبح ليجندل في كل ضربة خصما..

ضيّق (شارا) بين عينيه مع رؤيته ل(نينكرسو).. يا له من ساذج أهوج تحركه عواطفه، ليقوم بقيادة جنوده بنفسه معرضا جيشه لخطر خسارة الحرب كلها إن خسر حياته.. ولكنه لم ينجح في كتم إعجابه بقوته وسرعته والتي برزت جلية في كومة الجثث التي كان يخلّفها خلفه بحد السيفين الذين كان يقاتل بهما.. فارق العدد يجعل من سحق قلب جيش (أوما) لقلب جيش (لكش) مسألة وقت لا أكثر.. ولكنه تحرّك بذهنه لمعركة ميمنة (لكش) وميسرة (أوما).. لم يعجبه عددهم شبه المتكافئ واندفاعهم بسرعة تبدو وكأنها مقصودة عن باقي جيش (لكش).. كان قد وضع كشّافا حاد البصر سريع الحركة والاستيعاب بخلف كل جيش ليعطيه

التطورات عن قرب.. هرع إليه مستطلِع الميسرة ليهتف به منفعلا:

- سيدي، المعركة تبدو متكافئة.. هم بارعون حقا ولكن حماسة جنودنا أفلحت في مواجهتهم.. ولكن الملاحظ أن قائدهم يندفع بكل قوته نحو مؤخرة جيشنا بالميسرة ضاغطًا عليها وكأنه يتحاشى الهجوم على مقدمة ميسرتنا عمدًا..

غمغم (شارا) بهدوء:

- سيجعله هذا يُحاَصر بوسط ميسرتنا في ظل نقصهم العددي..

هز الكشاف كتفيه بدون أن ينطق فصرفه (شارا) ليأتي له بالمزيد من الأخبار مع ظهور مستطلع القلب..

قال له على الفور مبتسما:

- سيدي.. نفوقهم عددا بشكل كاسح.. تم انتقائهم بعناية ليتحملوا هذا الفارق العددي ولكن الغلبة للكثرة دائما.. سينال منهم التعب عاجلا أم آجلا ولن يستطيعوا المواصلة.. ولكن..

صمت لحظات قبل أن يطرق أرضا مضيفا:

- قائدهم الضخم هذا يبدو كالشيطان.. لم يستطع أحد أن

ينجو ليقوم بوصفه.. إنه يقتل كل من يقترب منه..

جزّ (شارا) على أسنانه غضبا رغم وضوح نصره بهذه المعركة الصغيرة اليائسة بين قلبي الجيشين، وقال:

- بعد أن تسحق ميسرتنا ميمنتهم سأنضم شخصيا لقلب جيشنا وأقوم بمواجهته شخصيا..

ردّ المستطلع على الفور:

- لن ينجح في قهره أحد غيرك يا سيدي..

صرفه (شارا) وقد بات موقنا من نصر قلب جيشه على قلب جيش (لكش)، برغم اعترافه أن سيخسر كثيرًا من جنوده على يد هؤلاء الثلة الأقوياء المختارين بدقة..

تطلّع باهتمام لـ**ميسرة محاربي (لكش)**.. كانت الجنود متوقفة لا تحرك ساكنا.. تناقل الجنود خبر أن ميسرة (لكش) كانت كلها من قاذفي الرماح فقط، تقودهم محاربة تضع بجبهتها عصبة زرقاء مميزة.. استهجن (شارا) وجود أنثى تقود الكتيبة.. لا يوجد جندي واحد منهم يحمل سيفا.. وبالرغم من هذا كانوا يتقدمون ببطء نحو ميمنة (أوما) وكل منهم يحمل رمحا بيده.. رمحا واحدا فقط.. زادت حمية جنود ميمنة (أوما) محاولين الاقتراب من قاذفي الرماح بأقصى سرعة ليتجنبوا سيل الرماح الأول والذي لن يخطئ

فيه رمح واحد بكل تأكيد، ولكنهم سيصبحون بعده بلا أسلحة، وسيتحولون لطرائد لنصال سيوفهم..

تعجّب (شارا).. يبدو الأمر وكأن قاذفي الرماح يريدون الظفر بميتة شريفة لا أكثر، فكل منهم أقصى ما يمكنه فعله هو سحب روح جندي مقابل له برمحه قبل أن ينتهي أمره.. لماذا يتلكأون في الحركة إذًا وكأنهم لا يتعجلون الموت.. أعاد النظر لجسد (نينكرسو) المقاتل وقام بالتساؤل بصوت مسموع:

- ما الذي خططت له أيها الماكر؟ لا يبدو أنك من النوع الذي يهاجم ليموت ويخسر معركته هكذا بسهولة..

كان (لوكالندا) يضرب ويتقدم للأمام مشجعا باقي الميمنة على التوغل في مؤخرة ميسرة (أوما).. لتبدأ المفاجأة المذهلة لجنود (أوما) بظهور خمسة من قاذفي الرماح قد شكّلوا الصف الأخير، أُميط عنهم اللثام مع تقدم مَنْ أمامهم من الجنود للأمام وتوغلهم بمؤخرة ميسرة (أوما)، بادروا بقذف الرماح بدقة على خطوط مقدمة الميمنة.. ثلاثة أفواج متتالية من الرماح إذ كان كل منهم يحمل رمحا بيده ويعلق اثنين آخرين بظهره.. أصابت الثلاثة موجات من الرماح مقدمة ميسرة (أوما) وسحقت خمسة عشر مقاتلا في ثوانٍ.. وهكذا انسحقت مقدمة ميسرة (أوما) بينما وجد جنود باقي

الميسرة (لوكالندا) ورفاقه يعملون فيهم الضرب بقوة وكأنهم يدفعونهم دفعا للموت..

لم يحتاج (شارا) لمستطلع ليستكشف الفاجعة.. لقد قضت الرماح على ثلث ميسرته الأمامية، بينما وجد باقي جنود الميسرة أنفسهم مدفوعين بقوة هجوم ميمنة (لكش) للتراجع نحو القلب رغما عنهم، إذ أصبح عدد الجنود متكافئا الآن وهو ما لا يصب في مصلحة (أوما).. أيقن (شارا) هذا على الفور.. وكقائد مرن سارع بتوجيه الأمر لمن تبقى من جنود ميسرته بالتقهقر نحو القلب.. عض على شفتيه مع تيقنه أن تقدم ميمنة (لكش) السريع والذي بادر بالضغط على مؤخرة ميسرته كان مدروسا لإتاحة الفرصة لقاذفي الرماح بسحق جنود المقدمة.. وهكذا لا يوجد اتجاه آخر للتقهقر سوى جهة القلب.. وأدرك (شارا) أن خصمه يدفعه دفعا لسحب ميسرته لتمتزج بالقلب.. ولكن لماذا؟ كان قلب جيش (لكش) القليل عدديا على وشك التعرض لهزيمة منكرة بالفعل.. ومع تنفيذ جنود (شارا) للأمر والعودة للامتزاج بجنود القلب أكمل جنود ميمنة (لكش) هجومهم ليؤازروا هجوم قلب جيشهم، وهكذا تكتّل ميسرة وقلب (أوما) ببقعة واحدة بالمنتصف، بينما هجم عليهم جنود (لكش) من جهتين، من اليمين ومن الأمام عن طريق اتحاد فرقتي الميمنة والقلب.. ولكن ما زالت الكثرة العددية مع

(أوما) خاصةً مع نفاد رماح الخمسة رماة.. وهنا غيّر (شارا) وجهة نظره نحو ميمنته التي كانت على وشك سحق ميسرة (لكش) من قاذفي الرماح، ستعتمد نتيجة المعركة بشكل كبير على عودة ميمنة (أوما) ودعمها للمنتصف المضغوط فيه ميسرته وقلبه..

لم يفهم ما الذي يحدث في البداية.. ظنّ أنه يرى موجات متعاقبة من الرماح تطير بالفضاء تنبع من ميسرة (لكش).. ارتج عليه.. من أين أتت كل هذه الرماح؟ تعددت الموجات الطائرة القاتلة.. أربع موجات متتالية سحقت أغلب ميمنة (أوما).. وقبل أن يأتي (شارا) بأية رد فعل كانت الرماح قد قضت على كل جنود ميمنته، تاركة اثنين أو ثلاثة يفرون برعب للخلف قبل أن تقتنصهم ثلاثة رماح صائبة.. واتسعت عيناه بذعر لما رأى قاذفي الرماح يلوون ألويتهم نحو قلب (أوما) المتكتل تتقدمهم المحاربة ذات العصبة الزرقاء.. وهكذا فوجئ جنود (أوما) الممتزجين من ميسرة منسحبة وقلب مندفع بالهجوم عليهم من ثلاثة محاور.. الميمنة بقيادة (لوكالندا) من جهة اليمين.. والقلب بقيادة (نينكرسو) من الأمام.. وقاذفي الرماح من جهة اليسار بقيادة (نانشي).. تراجع (شارا) للخلف غريزيا وقد أدرك أن المعركة قد انتهت فعليا، وأنها ستكون مذبحة لا مفر منها لجنوده، خاصةً في وجود قاذفي الرماح والذي يبدو وكأن لديهم مخزونا سحريا

لا ينضب.. وكاد أن يجن مع إدراكه أنه لو امتلك عشرين رامي أسهم فقط لَمَا استطاعوا النيل منه بهذه السهولة.. ولكنه كان قد خسرهم جميعا في معركة المعسكرات الثلاثة التي كان يظنها كمينا ل(لكش)، ولكنه صار متأكدا الآن أنهم هم -جيش (أوما)- من تعرضوا للكمين بحقّ..

ظهر أمامه مستطلِع الميمنة مذعورا وهو يصيح برعب:

- سيدي.. لقد كان فخا.. الأمر كله كان معدا منذ البداية.. كل هذه الرماح لا يمكن أن تأتي إلا عن طريق إمدادت متصلة طيلة الليل من (لكش) عبر المنحدر.. تسلقوا المنحدر وكوّنوا جسر إمدادات من الرماح.. ثم تكفّل اثنان من قاذفي الرماح بحمل كل هذه الرماح متحولين لوسيلة بشرية لنقل وحمل العتاد وقاموا بجرها بعد أن تخفوا بقلب تشكيلة ميسرتهم.. تحركت كتيبة ميسرتهم لتكوّن غطاءً بشريا للمحاربين الاثنين الذين عملا كمخزن رماح متحرك خفي بقلب ميسرتهم.. وهكذا وعند اقتراب مهاجمينا تمّ فك أسر الرماح ليتم استخدامها في الفتك بميمنتنا.. والكارثة أنهم ما زالوا يمتلكون المزيد من الرماح..

ألقى (شارا) نظرة تفوح بالبغض على (نينكرسو) الذي استطاع هزيمته بعقله قبل قوته.. جرّد سيفه وقام بإغماد نصله حتى المقبض بصدر المستطلع المذهول، ثم صاح

بوحشية مندفعا نحو (نينكرسو) مباشرةً فتبعه من تبقى من قواد وجنود وصورة المستطلع الذي يحتضر تفزعهم أكثر من الحرب التي تدور رحاها أمامهم، أدركوا أنها اللحظة الأخيرة والحاسمة في الحرب، آملين أن يقلب ظهور (شارا) كفة المعركة الدائرة..

كان عدد جنود (أوما) يتناقص بوتيرة ثابتة.. الهجوم من ثلاثة محاور جعل منهم فرائس لسيوف ورماح جنود (لكش).. اقتحمت صيحة (شارا) المعركة وهو يلوّح بسيفه مقتربا من (نينكرسو)، فأفسح له الجنود طريقا وقد شعروا ببصيص أمل في أن ينجح قائدهم في قتل (نينكرسو) وقلب الميزان.. مسح (نينكرسو) دماء ضحاياه التي أغرقت وجهه وابتسم ابتسامة مخيفة وهو يقف لينتظر خصمه رافعا سيفيه للأعلى.. لم يتوقف (شارا) عن الصياح وهو يندفع بسرعة وقوة نحو (نينكرسو).. اشتهر (شارا) بقوة ضربة سيفه والتي لم يوجد من استطاع صدها من قبل.. أدار سيفه مرتين في الهواء قبل أن ينقض بسرعة ضاربا بسيفه رأس (نينكرسو) من الأعلى.. فاجأه (نينكرسو) بأن قابل انقضاضته بأخرى مماثلة لها.. وقام بضم سيفيه معًا كسيف واحد تلقى به ضربة خصمه لتصطدم السيوف الثلاثة بمنتهى القوة مصدرةً شرارات ذهبية.. فوجئ جنود (أوما) بسيف قائدهم (شارا) يطير للخلف من قوة دفع ذراعي

(نينكرسو) وكأنه سيف من ورق، وبينما ارتد جسد (شارا) نفسه للخلف عاجله (نينكرسو) بانقضاضة أخرى بسرعة البرق وضرب بمقدمة سيفيه عنق (شارا) ليفصل رأسه عن عنقه في ضربة واحدة خرافية القوة، فتطايرت الرأس بعيدا لتتدحرج أرضا بزوج من عينين يطلان بذعر أبدي، بينما تدفقت الدماء كالشلالات من عنق الجسد الذي سقط أرضا كجذع شجرة اجتثت من الأرض فصارت جمادا لا ينبض بالحياة..

سارع جنود (أوما) برمي أسلحتهم شاعرين بالارتياح لزوال سبب اضطرارهم للقتال حتى الموت، فسارع (نينكرسو) بالصياح في جنوده:

- أوقفوا القتال.. لقد انتهى أمرهم.. خذوهم جميعا أسرى ولينضموا للأسرى السابقين المكبلين بالمعسكر الخلفي..

هلل الجنود محتضنين بعضهم البعض، في حين قام جنود (أوما) بالاصطفاف في صف رأسي خافضي رؤوسهم بذل، ليتجهوا نحو المعسكر الخلفي يقودهم اثنان من محاربي (لكش)..

نال (نينكرسو) النصيب الأكبر من ضربات الذراع المشجعة على النصر، فقام بالمرور على الجنود فردا فردا يربّت على كتف كل منهم مباركا لهم نصرهم، ولما قابل (ننشي) أمامه

أشارت له بضيق مفتعل وهي تقول ساخرةً:

- ظننت أننا سنواجه قليلا من المقاومة..

هز (نينكرسو) رأسه وهو يردد:

- لقد باغتناهم فلم يجدوا الوقت الكافي لاستيعاب هجومنا الكاسح..

ولما رأى (لوكالندا) أمامه ابتسم له هازا رأسه قائلا بامتنان:

- أديت دورك كما يجب أيها القائد العظيم..

قام (لوكالندا) بالانحناء نصف انحناءة باحترام وهو يقول:

- سيدي.. لولا مهارتك في وضع الخطة لما نجح عددنا الضئيل في القضاء على جيش يفوقه عددا أضعافا مضاعفة..

قال له (نينكرسو) ببساطة:

- هزمهم غرور قائدهم لا أكثر.. ما كان له أن يدفع بالقسم الأكبر من جيشه من أجل كتيبة المحاربين المتسللين.. وأخطأ مرة أخرى بالدفع بكل رماته بالمعركة الأولى..

سأله (لوكالندا) بفضول:

- وكيف لك سيدي أن تعرف أنهم لم يعودوا يملكون رماة بجيشهم؟ لقد اعتمدت خطتك على عدم وجود رامي أسهم

واحد بجيشهم، وإن أخطأت مقامرتك هذه لاختلف مسار الحرب..

أجابه (نينكرسو) ببساطة بعد أن تبادل نظرة خاطفة باسمة مع (نانشي) متذكرا الخطة التي قاما بوضعها سويا:

- لم تكن مقامرة غير مدروسة وليس هذا بالاستنتاج المبني على حدسي فقط.. لقد قمت أثناء فترة راحتكم السابقة ليلا باستدراج أحد الجنود الأسرى واستخرجت هذه المعلومة الثمينة منه بعد أن كسرت أغلب أصابعه وإحدى ركبتيه وحطمت أنفه وأغلب أسنانه وبعض ضلوعه، وأعتقد أنني فقأت إحدى عينيه.. لا يمكن الاعتماد على شهادته بشكل تام ولكني أشك في كذبه بهذه الإصابات كلها فقد ظل صامدا لفترة جعلتني أحترم ولاءه.. لذا أمكننا الاعتماد على عدم وجود رماة أسهم أو حتى أسهم لديهم..

لم يكن (لوكالندا) أو أي من الجنود يعلم بهذه الحادثة، ولكنهم كانوا يولون قائدهم الأسطوري (نينكرسو) ثقة عمياء في قدرته على جلب النصر لهم عن طريق تسريب ما يقتضيه الموقف فقط من معلومات.. شعروا أخيرا بمذاق النصر بعد سحق جيش (أوما) بالكامل وإزالة عقله المدبر - حرفيا- من الوجود.. وهكذا انتصرت (لكش) على (أوما) واستعادت حق الانتفاع بالمنطقة الحدودية الخصبة بعد

أن صارت ملكا لها بالكامل، وتم إرسال رسول لإبلاغ الكاهن الأعلى بنتيجة المعركة، والإتيان به ليبارك معابد (أوما) التي ستصير منذ الآن تابعة ل(لكش).. وليسقط حكم (أوما) العسكري ويعود حكم الكاهن الأعلى ليسيطر على المدينتين معًا كدويلة واحدة متحدة.. واتفق جميع أهل (لكش) مدنيين ومحاربين على صنع تمثال يمثل الإله المحارب (نينكرسو) رمزا للقوة والدهاء العسكري لتتم عبادته بهذه الدويلة الجديدة، استعدادا لنشر عبادته بين المدن المجاورة كتقدير للنصر الذي جلبه لهم هذا المحارب الجبار ذو الألف عقل..

١٠- الرقيم الأول

(الوركاء) السماوية..

جلس الحكيم (ماندانو) بغرفته المنعزلة بقصر (إينانا) أرضا ساندا ظهره للجدار، يقرأ بمنتهى التركيز رقيما قديما قدم التاريخ نفسه إبان عصور الأسياد الأوائل.. رقيما نادرا لا يوجد مثله بالعالم السماوي.. رقيم لم تنقشه يد كائن حيّ.. رقيم يحمل تحذيرا في أول سطوره بعدم قرائته إلا عندما يطل فناء العالم جليا فربما يملك بين نقوشه الحل الأخير لإنقاذ العالم.. أرسل في طلبه بمنتهى السرية بمجرد استقباله لرسالة (إينانا) الذكية عبر الطائر الأرضي، الرسالة التي تخبره فيها أن هذا الرقيم الأول -الذي لطالما أخبرها عنه وعن أن احتمالية وجوده كفكرة مشكوك بها- موجود بالفعل وليس مجرد محض خيال، انفعل بشدة حينها مبتهجا لكون وجود هذا الرقيم حقيقي وليس بأسطورة أو نتاج شائعات متناثرة انتقلت بين الألسنة على مر العصور، وكان حظه جيدا ليستطيع الحصول عليه قبل أن يسيطر مرتزقة الأسياد على (نيبور) ويدكوا مكتبتها العظيمة دكا بمنتهى الهمجية..

يحاول قدر الإمكان قراءة الماضي لعله يفيد الحاضر.. لعله يستطيع إيجاد خيط يصله بالسيدة (إينانا) المفقودة بدون مقدمات أو أدنى أثر لوجودها.. ولعله يصل لنقاط ضعف

يتحدث الرقيم عن تاريخ العالم السماوي عن طريق **أحداث جِسَام** تُعَدّ بمثابة علامات تأريخ فارقة للعالم السماوي.. ما أشبه اليوم بالبارحة.. لقد مرّ على (سومر) السماوية حينا من الدهر لم تكن حواجز الدهر موجودة.. كانت نسيا منسيا.. أرض قفر بلا كائنات حية أو نبات أو تضاريس.. بدأ الخلق ب(سومر) العالم السماوي كامتداد خفي للأرض البشرية.. صاغتها يد مهندس الكون لتصبح نسخة طِبق الأصل من مثيلتها الأرضية.. شاء الأسياد أم أبوا فإن الأرض الأدنى هي أصل وجودهم.. ثم تلا وجودها الجغرافي انتقالُ عدد من أهل الأرض لأرضها البكر الوليدة برغبة مهندس الكون في خلق عالم جديد يحمل مزيدًا من الفرص والاحتمالات التي لن تتواجد بالأرض.. عالم تستعمره كائنات هي امتداد للبشر.. كان الانتقال أشبه بالحلم.. كانوا نائمين بعالمهم الأرضي فقام مهندس الكون الأعظم بالقبض على أرواحهم بدون أن يفلتها ثم نقلها للعالم السماوي وهم نياما غافلين.. استيقظوا ليفاجَؤوا بعالمهم السابق وقد أصبح خاويا.. كل منهم استيقظ على فراش يطابق فراشه وبيت يطابق بيته وبلدة تطابق بيته ولكن، بدون باقي أهله.. لم يجد الأب زوجته ولم تجد الأم أولادها ولم يجد الأخ أخته.. ذكرياتهم مشوّهة تضرر أغلبها.. اختفت جميع الحيوانات

والزواحف والطيور بشكل مربك.. كان أمرا جنونيا ففقد بعضهم عقله من هول الأمر وقد ظن أنها القيامة، بينما تشوشت ذكريات من احتفظ ببقايا عقله لتختلط عليهم حقيقة العالمَيْن.. صار ماضيهم وعالمهم الأرضي مجرد ذكرى باهتة منسية تزورهم أحيانا بقلب أحلامهم بطريقة مراوغة وكأنه عالم لم يعيشوا فيه يوما من قبل.. ساروا مستكشفين العالم الجديد موقنين أنه عالمهم الأصلي.. سرى بينهم إيمان لا تشوبه شائبة أنهم أول قاطني هذا العالم الذي وقر في مؤخرات ذاكرتهم المعطوبة أنه عالم سماوي وليس أرضي.. علوي وليس سفلي.. آمنوا بهذا جميعا بدون أن يدركوا لهذا الإيمان المشترك القوي سببا.. ما وقر في مخيلتهم هو أن كارثة عالمية دمّرت عالمهم وتركتهم فاقدي الذاكرة وبلا أهل.. وهكذا عمّروا العالم السماوي، أقاموا بيوتا وزرعوا الأرض ليقتاتوا على ما تخرجه كطعام حصريّ في غياب مصادر غذاء أخرى حيوانية مُحِيَت من ذاكرتهم.. وحدها فقط تلك الحيوانات السابحة بشتى أنواعها والتي استعمرت مياه النهرين مثّلت نوعا مختلفا من الطعام.. أعجبهم طعمه وفضّلوه عن ما سواه، واطلقوا عليه اسما لم يختلفوا عليه بغرابة.. أطلقوا عليه اسم الأسماك..

بطريقةٍ ما تم اختيار بعضهم ليتميز عن الآخرين.. وكان هذا هو **الحدث الجسيم الأول..** نفخة سحرية إلهية

أصابت عقولهم فصارت أكثر تعقيدا، وأجسادهم فصارت أكثر ضخامة وقوة واختلافا تشريحيا طفيفا ولكن مؤثرا، وأرواحهم فأعطت كل منهم ميزة وقوة وطاقة لا مثيل لها بكل العالم.. منهم من وجد نفسه يملك قوة صواعق السماء.. ومنهم من وجد نفسه يتحكم بالماء وآخرون تحكموا بالنار واستطاعوا خلقها.. منهم من يستطيع التحكم بالرمال وصنع الأعاصير، منهم من تسبب في أمطار رعدية مهلكة، ومنهم من وجد في نفسه قدرة جسدية خارقة على الوثب والقتال وتحطيم الصخور وتفتيتها بيديه العاريتين.. وهكذا تم خلق الأسياد بالوجود برغبة مهندس الكون والتي لا يفهم مغزاها إلا هو..

توقف الحكيم عن القراءة مبهوتا.. يا لها من حقيقة مذهلة.. يتحدّر جميع الأسياد من الأرض البشرية.. البشر ليسوا إلا أسلافا لكل قاطني العالم السماوي.. وما الأسياد الذين ينظرون للأرض كمكان أدنى إلا بأبنائها.. أبناء الأرض..

تابع الحكيم القراءة بانفعال وقد بدأت تنتابه هواجس مخيفة بشأن هوية من قام بنقش هذه الأحداث على هذا الرقيم النيزكي..

رغم ملاحظة خلوّ هذا العالم السماوي من الحيوانات فقد نبت من الفراغ حيوانات هجينة مخيفة لها قدرات خارقة

مختلفة بالتزامن مع تطور الأسياد للوجود، يقول كاتب الرقيم الأول إنه قد حدث انتقال لعدد نادر من الحيوانات والطيور أعقب انتقال البشر نياما، ولكنه اختلف عنه في كونه عشوائيا لم يحافظ على وحدة تركيب الفصيل المنتقل بين العالمين كما حدث مع انتقال البشر، فاختلطت أرواحها وأجسادها أثناء المرور بالبرزخ، فنى أغلبها وتفككت بنيته الحيوية ولكن نجا القليل ليكوّنوا وحوش الأسياد الهجينة المخيفة..

وجد البعض من البشر المنتقلين للعالم السماوي أنفسهم وقد صاروا آلهة بلمح البصر.. لم يمر الأمر بسلام.. تعايشوا فترة قصيرة وتناسلوا وتكاثروا فيما بينهم لينشأ مزيد منهم، نسلا ورث قوى أسلافه فازدادت الأطماع.. أرادت كل سلالة الانفراد بقوتها بعد أن اكتشفتها واستكشفتها.. ظن كل منهم أن قواه وحده هي القادرة على دحر جميع ما عداها من قوى خارقة.. وهكذا نشأت شرارة حرب الأسياد الدموية الأولى.. **الحدث الجسيم الثاني..** كانت حربا ضروسا اضطر العامة معها للفرار للجبال والصحاري ليقوا أنفسهم بطش الأسياد الجدد، والذين عاشوا بينهم سنينا كأخوة مسالمين من قبل.. تصادمت النيران مع الصواعق مع الماء مع الرمال الضارية.. تقاتلت عناصر الحياة من أجل الموت.. اصطدم أسياد أشباه البشر بأسياد مثلهم، وطغت الأسياد الحيوانية

الهجينة العجيبة على بعضها البعض.. كان صراعا من أجل البقاء وليس السيطرة فحسب.. عمّت الفوضى العالم العذري.. أفسده الأسياد وسفكوا به الدماء.. كانت حربا مدمرة انتهت بسيطرة السيد الشاب (أنو) سيد الصواعق على جميع الأسياد غير الوحشيين فدان له بالولاء من ظل حيا وكانوا كُثُر، بينما قضى أغلب الأسياد الوحشية على بعضها البعض فلم ينجو منهم سوى الوحش (خومبابا) والوحش (موشوسو)..

يذكر الرقيم الأول أن سلالة أسياد الصواعق صارت هي حاكمة للعالم السماوي، بينما انسحب كل من الوحشين (خومبابا) و(موشوسو) لتنقطع أخبارهما بعد ذلك لفترة طويلة.. ومع احتدام أحداث حرب الأسياد الدموية السابقة نشأ الجحيم وكأنه ردّ فعل غاضب للعالم الناقم مما يفعله زواره الجدد من مجازر بحقه، عالم سفلي لم يدرِ أحد بوجوده، قبع منتظرا اللحظة المناسبة لإعلان ظهوره كمقرّ أبديّ تستقر به أرواح كل من فنى من أسياد وعامة العالم السماوي، اللحظة التي حان وقتها بانتهاء حرب الأسياد الدموية ليبدأ **الحدث الجسيم الثالث** وهو استدعاء الجحيم..

توقف الحكيم عن القراءة وهلة متفكرا حكمة مهندس

الكون.. كان لابد لهؤلاء الطغاة من جزاء مستحق إن كان العدل هو الأساس، ففناء أرواحهم بعد موتهم وامتزاجها بالبرزخ وفقدانها هويتها لتصبح نسيا منسيا ليس بالجزاء المناسب لبطشهم.. العقاب الموجع هو الخلود.. استمرار حيواتهم لهو أشد عقاب يمكن أن يكونوا قد نالوه دون أن يدروا عنه شيئا.. مزيج أبدي لا ينفد من الحياة والشقاء والكبد لهو أمر شديد الوطء كان الفناء بديلا رحيما له، إلا من استطاع التمتع بحياة أبدية بلا ألم، وهو ثواب لابد وأن يتم السعي لنيله، ثواب يحتاج بالتأكيد لشروط خاصة في الحياة وربما بعد الموت، ثواب لم يستحقه جميع من فنى بحرب الأسياد الدموية الأولى..

أكمل الحكيم قراءة الرقيم الأول.. ناجية وحيدة شديدة القوة من هذا الصراع العنيف تم اختيارها بواسطة العالم السفلي لتصبح ملكته والقائمة بجميع أعماله.. استدعتها روح الجحيم الناطقة برغبة مهندس الكون ليتم عمل اتفاق بينهما بموجبه تقوم بتحقيق العدل في الحياة وبعد الموت، وتملك سلطات مطلقة على عالمها السفلي يمكّنها من تحقيق هذا التوازن العادل بمقتضى هذا الاتفاق.. لم تعد أرواح الموتى من الأسياد والعامة تتوه بالبرزخ وتفنى كالسابق، صارت تُقبَض بيدٍ قاسية لتجتاز ما بين العالمين العلوي والسفلي لتستقر بالأخير حيث تبدأ حياة جديدة أبدية لها قوانين

وقواعد، سنّتها كلها الناجية شديدة البأس وملكة العالم السفلي (إرشكجال).. حياة مختلفة يصبح فيها الأسياد عبيدا بلا حول أو قوة، يستحيل الطغاة فيها لمتسولين لا يجدوا قوت يومهم ولا بيتا يسكنون إليه.. حياة من عذاب أبديّ باقٍ..

فوجئت (إرشكجال) بعد فترة قصيرة من حكمها بأرواح وحوش الأسياد تأتي لها تباعا، ظنت أنهم قد أفنوا بعضهم البعض في معارك طاحنة، لم تكن تدري أن لوحوش الأسياد عمرا زمنيا افتراضيا قصيرا مقارنةً بالأسياد غير الوحشيين نظرا لخلل وراثي نجم عن تداخل الهجين الحيواني الأرضي ووعاء خلقهم.. كان وجود هذه الوحوش التي لا عقل لها عبثيا بالجحيم.. هي لم ترتكب جرما ليتم محاسبتها.. إنها حيوانات بلا عقل، كائنات همجية مسيَّرة وليست مخيَّرة كالسماويين.. وبمرور السنين ضج الجحيم بوجودهم، وجودهم الذي لم يكن ذا قيمة نظرًا لعدم امتلاكهم عقلا يجعلهم يتألمون ويتفكرون في أنهم بدار عقاب ، ناهيك عن عدم مسؤوليتهم عن ما فعلوه من جرائم ارتكبوها بغريزتهم فقط لا غير.. وجدت لهم الملكة استخداما مناسبا.. قامت ببعث أرواح بعض قاطني الجحيم من الأسياد أو العامة ممن قُتِلوا غدرا ويحملون مشاعر ثأر وغضب على العالم كله -في صورة هذه الوحوش الجسدية التي كانت بلا روح عاقلة

سابقا.. بعثٌ من جديد لوحوش الأسياد في محاولة من الملكة لإعادة التوازن بالعالم السماوي والذي كان لها مطلق الحرية في محاولة تحقيقه.. وهكذا تسللت للعالم السماوي العلوي وحوش أسياد بقوة خارقة وذكريات أرواح مضطربة ناقمة لا تبتغي من وجودها إلا التدمير والقتل وسفك الدماء.. ولأول مرة يصير لوحوش الأسياد نوع من وعي عاقل مستقل متفرد.. لم تعد حيوانات منذ الآن وصاعدا..

مع تناسل الأسياد بين بعضها البعض نشأ المزيد من الأسياد بقدرات متفاوتة القوة.. وبتزاوج الأسياد مع العامة نشأت للوجود فصائل أقل قوة من الأسياد ولكن تميزت بقدرات متفردة اختلفت عن قدرات الأسياد الأساسية المعروفة من صواعق وماء ورمال ونار وقوة جسدية.. فصائل كالأنوار والسحرة والمفكرين.. ومع تشعّب نظام العالم السماوي وبدء توجّه بعض أسياده لعالم الأرض الأدنى والأضعف تم **الحدث الجسيم الرابع** بيد مهندس الكون شديد الحكمة والعدل، نشأت حواجز الدهر والتي تربط قدر كل من العالمين السماوي والبشري ببعضهما البعض، في محاولة عادلة من مهندس الكون لمنع بطش بعض طامعي الكائنات الأقوى بكائنات الأرض الضعيفة بجعل أي محاولة لتدمير الأرض تنعكس على السماء..

ثم يلمّح الرقيم عن ثلاث نقاط بإيجاز وغموض..

النقطة الأولى هي وجود ارتباط باقٍ أبد الدهر بين البشر والسماويين، نوع من الطاقة الأثيرية التي تمزج بين أفضل الصفات بكل من الفصيلين، يمكن الحصول عليها بقنص مصدرها من البشري المتفرد بمجرد موته إذ تنفصل حينها عن روحه لتأخذ طريقها للبرزخ لتتلاشى.. ثم يتم مزجها جسديا بأحد الأسياد ليصبح لهذا السيد زوج من الأرواح يصاحبان جسده، ويصير بمقدوره استدعاء روح هذا البشري المتفرد بعد أن اكتست بعنصر الحياة المميز لهذا السيد.. إنها الهالة الإلهية والتي هي مصدر القوة الأسمى بكلا العالمين، والتي يمكن اعتبارها عَرَضًا جانبيا عن اختلاط العرقين أثناء الانتقال الأول الأصلي، تسللت بيد خفية من العالم السماوي لتستقر بحكمة بداخل شخصيات بشرية يتم انتقاؤها بمنتهى الحكمة على مر الزمان..

النقطة الثانية هي **حدث جسيم خامس** سيأتي قرب نهاية الدهر ستتصدع فيه هذه الحواجز وتعم الفوضى العالم السماوي بعد أن يتم انفصال قدري العالمين الأرضي والسماوي، سيتسبب فيه نقل جزء من حكمة العالم السماوي -الملقبة بالسحر- للأرض، وسيؤول العالم السماوي كله للفناء إن لم تعثر يد حكيمة على هذا الرقيم وتستخدمه بما يفيد

بقاء العالم..

والنقطة الثالثة هي تحدثه عن طفرات ستحدث على مر العصور بين الأسياد، سينتج عنها أجيال جديدة منهم تمتلك قدرات استثنائية تختلف عن القدرات الأساسية الأصلية التي انبثقت عنها كل سلالات الأسياد على مر التاريخ، أسياد طافرة يمكن اعتبارها جيلا جديدا متطورا أكثر تقدما من أجيال الأسياد المعتادة..

توقف الحكيم عند هذه النقطة بعد أن وقر بذهنه أن تحطيم حواجز الدهر كان مدبرا.. هناك من استطاع الحصول على هذه المعلومات التي بين يديه بقرائتها من الرقيم -أو كان يعلمها بطريقة ما- وقام باستخدامها لنوايا شريرة غير عابئ بمصير العالمين الأرضي والسماوي.. وبربط النقاط كلها ببعضها البعض استنتج أنه لابد وأن يكون هناك ساحر قام بنقل المعرفة، علما منه بأن هذا سيغير من قواعد العالمين ويجعل عالم البشر عرضة للدمار على يد أي من الأسياد بعد انفصال قدري العالمين.. ولكن فكّر الحكيم بأن طمعا بهذا الحجم لن يخرج من عقل أحد من فصيل السحرة بمفرده مهما عظمت قوته وزاد طموحه، فكرة استعمارية ينتج عنها تغيير قواعد العالم السماوي وإثارة الفوضى بعالم البشر باجتياحه بالسحر لن تخرج إلا من عقل أحد

الأسياد الباطشين، وسرح بخياله قليلا بعد أن وجد أن نوايا هذا السيد الدموية تتعدى الحدود التي يمتلكها أي من أسياد العالم السماوي المعروفين، فهل هناك سيد طافر قام بالتخطيط خفيةً بذكاء لنيل مراده مستعينا بساحر أريب؟ يحاول جميع الأسياد الآن الاستفادة من تصدع حواجز الدهر في محاولة فرض سيطرتهم على العالم السماوي وكأن التاريخ يعيد نفسه، ولكن لم يكن أي منهم هو المتسبب في فصل قدر العالمين، هم مجرد مستفيدون من الوضع بينما يرقد مخطِّط الأمر الغامض كله كامنا منتظرا نجاح مسعاه، فهل سيظل ذلك السيد الغامض الطافر صامتا بعد الآن أم أنه سيبادر بالتحرك وتنفيذ خطته بعد أن نجح ما سعى إليه بالفعل ولم يعد هناك داعٍ لركونه للاختفاء والعزلة؟

سيد غامض طافر متخفي تنطق أفكاره بالطمع المتعدي للحدود ويملك قوى استثنائية مجهولة.. وساحر قوي قادر على تنفيذ مخططات سيده.. لا يحتاج الأمر لكثير من الذكاء لربط الأمر بمدينة (بابل) السماوية وسيدها الجديد الغامض (مردوخ) الذي لا يُعرَف عنه شيئا سوى اسمه، ولا يعرف أصله وسلالته أحد.. كما أن ذلك الحاجز السحري الذي يجعل ما يحدث بداخلها يبقى سرا عن الجميع يؤكد هذا التخمين ويفسره أيضا.. وليس بالأمر الذي يحتاج حدسا قويا لاستنتاج أن هذا الحاجز السحري من صنع يد الساحر الذي

نقل السحر السماوي لعالم البشر..

لقد اقترب من مراده كثيرا.. قام بتخطي مراحل التاريخ بحثا عن نقاط قوة وضعف كل سيد من الأسياد الوحشيّ منها وغير الوحشيّ بحسب نوع عنصر الحياة الذي يمتلكه كعنصر قوة..

كنز من المعلومات التي لا يمكن أن تقدر بثمن.. ومع قرائته المتأنّية أدرك الحكيم صدق المقولة التي افتُتِح بها الرقيم والتي تحذر من فك أسرار الأسياد قبل الأوان، الأوان الذي يبدو أنه قد حان الآن بالفعل.. بدأ في تعدّي الحروف باحثًا عن موضوع بعينه، الأسياد الوحشية وكيفية ترويضها، شاعرا بندم شديد يكتنفه متذكرا (نينشوبور) والتي قام بإرسالها في مهمتها الانتحارية لترويض وحش تقول الرقم التاريخية نفسها أنه لا يمكن ترويضه رغما عنه، فكيف إذًا يمكن ترويضه؟ وودّ لو يعود به الزمن قليلا فقط ليستطيع إرسالها بعد إيجاد هذا الرقيم بما يحتويه من أسرار قديمة قدم التاريخ نفسه، فلربما كانت مهمتها أكثر سهولة حينئذ، ولكنه الآن يشعر وكأنه قد أرسلها لحتفها بانفعال أناني طائش يتعلق برغبتها -أو بالأحرى رغبتهما- في استعادة سيدتهما الأثيرة (إينانا)..

(أيها الحكيم!)

أجفل الحكيم مع سماعه لصوتها الرقيق يأتي من خلفه، التفت للخلف وقد انتابته ظنون بأنه يهلوس أو يحلم مستيقظا، ولكنه تيقّن من أنه بكامل وعيه وعقله لمّا رآها بأم عينيه، الجميلة (نينشوبور) واقفة تبتسم له بإنهاك وصدرها يتسابق في وَثَبَاتٍ مجنونة صعودا وهبوطا، حال من انتهى لتوه من مجهود يتعدى الحدود، ولكنها استطاعت أن تقول من بين أنفاسها المحمومة بلهجة منتصرة:

- لقد تم ترويض الوحش بنجاح..

١١- آشـــــــور يضرب

(كيش) السماوية..

تجسد (زابابا) بقلب معبده وكأنه نبع عن الفراغ، كان قد عبر لتوّه البرزخ وقام برحلة قصيرة للأرض لجلب بعض من معدن الحديد المؤثر بأجساد الأسياد، كان يقوم بهذه الرحلات كثيرا بمنتهى السرية ثم يخزن ما يأتي به من سيوف ودروع بمكان سري لا يعرفه إلا هو و(نينازو) فقط لا غير، لضمان استمرار تفوقهما المعرفيّ على كل الأسياد بامتلاك هذا العنصر الأرضي النادر، لا أحد من الأسياد يعرف كيف يبدو هذا المعدن الأرضي الفتّاك بالعالم السماوي، لا يعرف له أحد اسما أو شكلا أو ملمسا أو حتى تأثيرا، وحده (أنو) بدا عليه أن قد تعرّف عليه ولكن بعد فوات الأوان، وبعد أن ساهم بشكل جذري في اغتياله، كان (نينازو) يقوم بإعادة قولبة الأسلحة التي يسرقها (زابابا) للتماشى مع ضخامة جسديهما مقارنة بأجساد البشر، (نينازو) محارب بارع وكذلك لديه حسّ حدّاد بارع فيما يتعلق بتصنيع وتشكيل وإعادة تهيئة الأسلحة، في الواقع كان (نينازو) متخصصا في أي شيء يتعلق بالحرب وما تتطلبه، وهو من اكتشف تأثير معدن الحديد بعد تجريبه لعدة معادن أرضية بغرض الاستكشاف إذ كانت جهوده لا تتوقف يوميا للتطوير

من قوته، سواء كانت جهوده بدنية بالتدريب العضلي أو معرفية بإجراء التجارب التي لا تتوقف لاكتشاف نقاط القوة والضعف لدى الأسياد بغرض استخدامها يوما ما، وكثيرا ما كان (زابابا) يغبط (كيش) لامتلاكها سيدا محاربا لا يشق له غبار مثل (نينازو)، جبار متحدر من نسل ملكة العالم السفلي ذاتها أتى من مدينة (أشنونة) شمالا تاركًا أهله وحياته هناك ليستقر ب(كيش)، التي واكبت قدراته وطموحه للسيادة والقوة والسيطرة بعد اقترانه ب(زابابا) الحاكم شخصيا، كما أنه يمتلك سيدا وحشيا، التنين (موشاسا) والذي يعمل كملاكه الحارس بعد أن أخضعه بيديه العاريتين وأجبره على احترامه كخصم ثم كسيد..

انطلق (نينازو) في مهمة غامضة للعالم السفلي أرادها أن تكون سرية عن العالم السماوي كله، تناقش مع (زابابا) كثيرا قبل أن يقوم بهذه الرحلة بعد أن اقتنع الأخير بجدواها، والآن عليه كحاكم ل(كيش) أن يبدأ بتثبيت قواعد حكمه بالعالم السماوي بعد إعلان نفسه سيدا لكل الأسياد، وستكون الخطوة الأولى هي التخلص من أي ذيول لأي وريث محتمل من سلالة أسياد الصواعق قد يأتي مطالبا بالشرعية، مجتذبا حوله زخما شعبيا عريضا جارفا.. ثم تأتي الخطوة الثانية بإخضاع جميع المدن المحيطة، سواء سلميا وهي الوسيلة المفضلة، بأن يعترف السيد بسلطة (كيش) عليه ويأتمر بأمره

ويحرك جيوشه من أجل (كيش) ويصدّر موارده من أجل أهل (كيش)، فإن تعثرت الطرق السلمية فلابد من اللجوء للطرق العنيفة الحربية والتي سيلجأ فيها حصريا لفريق السيدين (نينازو) والتنين (موشوسو) لإخضاع الرافضين لسلطان (كيش)..

فيما يخص سلالة أسياد الصواعق فقد انتهى أمر (أنو) أقدمهم وأقواهم وأشدهم بأسا وعلما وحكمة.. ثم استطاع تحالف المرتزقة -بتشجيع من (نينازو) بإعطائهم الشرعية من الملك الجديد (زابابا)- القضاء على (ماراد) ثم (نيبور)، ليفرّ من بعدها (نينورتا) ولا يسمع أحد عنه حتى الآن، بينما ما زال (إنليل) أسيرا بقبضة يدي (أمورو) و(إيشارا) والذين لن يبقيا على حياته طويلا، سيقوم بإرسال رسالة ل(أمورو) يأمره بالتعجيل في إنهاء حياة (إنليل)، ولكن سيبقى لغز اختفاء (نينورتا) مؤرقا لحكم (كيش) مهما طال الزمن، سيظل ذيلا خفيا للسلالة الحاكمة السابقة لابد من البحث عنه والعثور وعليه واجتثاثه من الوجود، حتى يستطيع أن يطوي صفحة أسياد الصواعق التي تؤرقه من تفكيره للأبد..

يعتمد في توطين سلطانه على حليفيه المرتزقة (أمورو) و(إيشارا) في المحافظة على استقرار (نيبور) و(ماراد)، موقعهما حيوي للغاية ويقع بمنتصف الرافدين، يصلح

كشوكة بحلق كل من يحاول التجرؤ والاقتراب من (كيش) من جهة الجنوب حيث يوجد عدد لا يستهان بهم من الأسياد المحتَمل رفضهم لحكم (كيش) الجديد.. استبعد (الوركاء) التي صارت بلا سيد، والتي بدأ يفكر جديا في استغلالها كمستعمرة تابعة بشكل مباشر ل(كيش) حيث أن احتلالها سيكون شديد السهولة بل أشبه بنزهة لطيفة للجنود.. هناك مدينتا (لكش) و(أوما) واللتان لا تكفا عن محاربة بعضهما البعض منذ أبد الدهر، إبقاؤهما في هذه الحالة المتوترة دائما يصب في مصلحة استقرار (كيش)، ورغم استمرار الحروب فيما بينهما فقد ظلت حروب أشبه بالمناوشات، لا تمتّ بصلة للحروب الوحشية التي كان يشنها قاطنوا المدينتين الأرضيتين على بعضهما البعض، لدرجة تندّر بعض السماويين بذكر أن (أوما) و(لكش) الأرضيتين أكثر قوة وعنفا من مثيلتيهما السماويتين، ربما يرجع هذا لأن أسياد المدينتين كان كل منهما مختصا بالزراعة والحبوب والكتابة وما إلى ذلك، مما جعل الحروب بين المدينتين السماويتين تقوم بين العامة من السماويين فقط بدون أدنى تدخل من السيدين الحاكمين المسالمين.. ولكن فكر (زابابا) بأنه لا مانع من إبقاء الوضع كما هو عليه بإمداد المدينتين بالسلاح سرا لضمان انشغالهما ببعضهما البعض، في حين يرسل رسالة شديدة اللهجة للسيدين المسالمين ليعترفا به سيدا للأسياد، وهو ما

لا يظنه سيقابل بالرفض من جهة كل منهما..

ستكون المعضلة الحقيقية في ثلاثي المدن السفلية شديدة القوة.. (لارسا) حربية الهوى والمنشأ وسيدها (شمش) شديد القوة والمكر.. (أور) والتي صار يحكمها الآن السيد (سين) مجددا مما جعلها تمثل ضمنيا تحالفا غير معلن مع (لارسا)، بالإضافة لقوة (سين) التي لا يمكن التشكيك بها، يعيبه فقط اندفاعه الطائش أحيانا الذي يكبحه على الدوام أخوه (شمش) بحكمة.. ثم تقبع (إريدو) والتي صارت مؤخرا قبلة لجميع السماويين- بأقصى الجنوب الغربي لتمثل أقوى تحدٍّ لسلطاته، فالسيد (إنكي) لا يشق له غبار سواء في القوة أو في القدرة على استعادة مجد مدينته القديم منذ ما قبل الطوفان، والذي يبدو وأنه سينجح في استعادته إن ظلت موجات الهجرة تسير نحو (إريدو) بنفس الوتيرة المحمومة الحالية..

وماذا عن الغرب؟ مدينتا (بابل) و(بورسيبا)؟ (بابل) التي صارت محاطة بجدار سحري خفي جعلها بمنأى عن جميع العالم السماوي، وصارت عرضة للإشاعات التي تمجد في السيد الغامض (مردوخ) الذي يحكم المدينة بيد من حديد، ويقال أن المدينة تعج بجميع أنواع السحر الذي لا يعرفه أحد من السماويين، لا يعرف أحدا مصدرا لمثل هذه

الشائعات، وعلى الأرجح أن من أطلقها هم أهل (بابل) نفسهم لمنح مدينتهم المهابة اللازمة، ولكن يظل كونها عصيّة عن الدخول والاستقصاء أمرا لا يحبذه أي ملك يريد السيطرة على جميع أرجاء ومدن مملكته.. أما عن (بورسيبا) فقد نالها ما نال (بابل) من غموض لقربها الشديد منها، وإن ظل دخولها بالإمكان حتى الآن، يحكمها السيد المسالم (نابو) شديد الحكمة والذي لا يتدخل في شؤون غيره على الإطلاق مكتفيا بتسيير أمور مدينته.. فكّر (زابابا) في التعجيل بإرسال رسالة الإخضاع لهذا السيد الخامل لسرعة ضم (بورسيبا) لنطاق سيطرته، والتي ستكون نقطة انطلاق ملائمة لاستكشاف (بابل) الغامضة الواقعة شمالها..

ماذا عن الشمال؟ أقصى الشمال؟ وكأنما أتاه الرد على الفور سمع طرقا على باب المعبد فأذن للحارس بالدخول، دخل الحارس يقول بانفعال:

- سيدي.. الوزير آتٍ على عجل.. إنه يتسلق الزقورة قادما للمعبد.. يبدو وأن لديه أمرا خطيرا..

صرفه (زابابا) وقد انتابه قلق مبهم.. كان لتوّه يفكر بقلق بخصوص الشمال حيث تقبع عدة مدن صغيرة بلا أسياد، باستثناء مدينة (آشور) والتي تم تسميتها تيمنا باسم سيدها رامي الأسهم الجبار السيد (آشور)، والذي يكتفي

بحكم مدينته كدولة مستقلة، لا يتدخل في حكم باقي الأسياد ولكن يعلم الجميع أنه لن يسمح لأحد بالتدخل في شؤونه الخاصة، فاعتبره الجميع ملكا على مملكة مجاورة يستفيد الجميع من العلاقات التجارية معه، وإبقاء حالة السلم بين جميع الأطراف.. ولكن ما رآه اليوم أثناء تواجده بالأرض لجلب الحديد لم يكن مبشرا.. لقد تغيرت (آشور) البشرية عن آخر زيارة.. زاد حجمها وعتادها وجيوشها.. رأى جيوشها تتوغل بين الرافدين وخارجهما بطموح بلا حدود.. إن (آشور) البشرية تخلق مملكة جديدة تنافس بها (بابل) البشرية وتود الإطاحة بها.. لاحظ هذا بوضوح بزيارته الأخيرة للأرض واجتذبه الأمر لدرجة أنه جال بين المدن ليتقصى الأمر بفضول، ففوجئ بتواجد (آشور) الفعلي بأغلب مدن الرافدين.. لقد تغيرت الأرض كثيرا، ولكنه لم يقف كثيرا ليتعجب، فمن الواضح أن كلا العالمين يمر بأحداث تاريخية فارقة، البشري والسماوي رغم افتراق قدريهما بالفعل..

دلف وزير (كيش) بخطوات أشبه بالعدو بعد أن أعطاه الحارس الإذن متعجلا حاملا بيمناه رقيما صغيرا بحجم الذراع، وقف بين يدي (زابابا) منحنيا فأشار له الأخير ليقف ويسرع بإلقاء ما عنده من مفاجآت، توقف الوزير لحظات يأخذ أنفاسا متسارعة قصيرة ثم سارع بالقول:

- سيدي وسيد أسياد مملكة (كيش) السماوية.. إنه السيد (آشور)..

أيقن (زابابا) من صدق إحساسه والذي ربطه بتقدم (آشور) البشرية ولكنه صمت مستحثا الوزير اللاهث على الإفصاح عن المزيد:

- لقد قام ساحر مجهول باغتيال ابن السيد (آشور) والذي استغرق سنينا طويلة يقوم بإعداده لتولي الحكم بجانبه.. ثار السيد (آشور) وصمم على الانتقام من القاتل حتى ولو اضطر لقتال المدن السماوية كلها.. لقد قام بإرسال رسالة موحدة لجميع حكام مدن المملكة تحمل نفس الكلمات..

قرن قوله بأن أخرج رقيمه وقام بقراءة نقوشه على (زابابا):

- إلى كل مدن المملكة السماوية.. تجنبتكم دهرا على أن تتجنبوني للأبد.. كفيتكم شري وسمحت لكم بتبادل خيراتي.. ولكني لن أترك جريمة اغتيال ولي عهدي تمر مرور الكرام.. هناك ساحر قام باغتياله هو والمعلم الأكبر في نفس الهجوم الخاطف الغادر.. ليكونن انتقامي كاسحا بلا هوادة إن لم يتم تسليم هذا الساحر لي ليتم الثأر منه على الملأ.. لن أنتظر ردا.. سأقوم بسحق جميع المدن السماوية التي تقف بطريقي.. لن يوقفني إلا تقديم هذا الساحر لي وإن اضطرني

الأمر لسحق جميع مدن المملكة السماوية وجعلها مجرد أطلال مملكة غابرة.. لن أهتم لوجود مظلومين، تعاونوا جميعا من أجل بقاء العالم السماوي.. من أجل عدالة الانتقام..

صمت (زابابا) مشدوها.. هذا تطور جديد ومفاجئ ولم يكن ينقصه حقا في هذا التوقيت.. نظر للوزير يسأله:

- وهل بدأ (آشور) التحرك بالفعل؟

هز الوزير رأسه إيجابا مطرقا أرضا وهو يجيب بعد تردد:

- لقد بدأت جيوش جرارة بالتحرك نحو الجنوب.. جيوش لا أدري من أين استطاع المجئ بها.. لم يكن خاملا كل هذه الفترة كما كنا نعتقد..

أضاف (زابابا) سرا أنه لم يكن خاملا بكل العالمين، فكما كان يعدّ الجيوش بالعالم السماوي تحسبا للحظة مثل هذه، كان كهنته شديدوا النشاط يقومون بإعداد الأرض لجعل (آشور) وريث الرافدين الجديد والأقوى، وهو ما يبدو وأنه قد بدأ بالفعل بالأرض وبنجاح، ويريد تكراره بالعالم السماوي أيضا مستغلا اغتيال ابنه كدافع شرعي..

أضاف الوزير بعد تردد:

- لقد سحقوا (إشنونة).. تمت تسويتها بالأرض.. يقال

أن السيد (آشور) وحده دمرها بسيل من سهامه المدمرة بدون اللجوء لجندي واحد.. لا يوجد هناك من مبرر لهذه الوحشية، لقد فنت (أشنونة) ولم يعد بها رجل أو امرأة أو طفل أو شيخ.. لم يعد هناك مبنى يرتفع فوق سطح الأرض.. استحالت أطلالا متهدمة كما توعّد في رسالته كل المدن السماوية..

أخذ (زابابا) نفسا عميقا ثم سارع بالقول بحزم:

- مدينة (أشنونة) ليست بالمدينة القوية ليتم أخذها كمثال على قوته، ولكن ما يؤرقني شيء آخر..

ثم أضاف ببطء ناظرا للسقف وكأنه يوجه الكلام لنفسه:

- إنها مسقط رأس (نينازو).. ما زال أغلب أهله وأقاربه هناك.. لقد تخطى (آشور) الحدود وقام باستفزاز السيد الخطأ استفزازه.. لربما صبّ هذا في مصلحتنا إذ أنه ليس هناك من يستطيع الوقوف في وجه (نينازو) وتنينه خاصةً إن حرّكهما الانتقام..

تنحنح الوزير فعلم (زابابا) أن لديه ما يضيفه، وأن ما لديه ليس بالشيء الجيد ليسمعه، فنقل نظره إليها بصمت ليقول الوزير بهمس:

- لقد كان للسيد (أداد) دورا في مؤازرة السيد (آشور)..

صمت (زابابا) يستوعب الصدمة المخيفة، السيد (أداد) هو الشقيق الثالث للأخوين (شمش) و(سين)، الشقيق الذي لقي حتفه طفلا في أعقاب حرب الأسياد الدموية، والذي تدخّل -بعد أن بعثته (إرشكجال) من العالم السفلي- بقوته لإجبار (سين) على ترك (أور) عندما ثار شعبه عليه، ولكنه قضي جل وقته بعدها ينتحي جانبا مكتفيا بممارسة حياة برية بسيطة عازفا عن الحكم وأعبائه، ولولا بعثه من الجحيم وتدخله القوي ضد (سين) لما تذكره أحد، وبدا الأمر وكأنه منفذ العدالة الذي استجاب لتواصل كاهن (أور) الأعلى وقام بمؤازرته هو وشعبه ضد الطاغية (سين)، الذي اشتهر بحب مدن الأرض وتفضيلها على مدينته السماوية وإهماله لأهلها.. تركته (إرشكجال) حرا طليقا بعد تنفيذ مهمته ليشعر (أداد) أن دوره أصبح ممارسة نوعا من عدالة القضاء، يريد أن يصبح القاضي العادل للعالم السماوي، القاضي والمنفذ للأحكام في نفس الوقت، يقضي بالحكم بحكمته ثم ينفذها بقوته، وهو ما نجح في فعله بأرض الواقع في تجربة خلع (سين) عن (أور).. ولكن ما الذي يربط (أداد) ب(أشور)؟ (أداد) الجبار سيد الأمطار والعواصف ب(آشور) جبار الحرب وأبرع السماويين في الرمي بالسهم؟ ولكنه كان يعرف الجواب جيدا.. الأمر لا يحتاج لكثير من التفكير والتخمين.. (أداد) معروف بحبه لاتخاذ دور القاضي العادل.. (آشور)

لديه مظلمة.. مظلمة حقيقية بالفعل.. (آشور) يلجأ ل(أداد) كقاضي طالبا منه مشاركته في الاخذ بثأره.. يستجيب (أداد) وينضم لجيوش (آشور) الجرارة في حربها الشرسة ضد العالم السماوي بأسره..

قال الوزير وقد زاد انفعاله:

- بينما كان السيد (آشور) يسحق (أشنونة)، كان السيد (أداد) يقوم بإغراق مدينة (سيبار) وأهلها بأمطاره وسيوله قبل أن يقوم بتحطيم معابدها وزقوراتها بعواصفه الساحقة.. لقد أنهى وحده أمر (سيبار) مدينة السيد (شمش) المدللة..

تطور الأمر كثيرا مما ينبئ عن أحداث دموية على المحك، لقد سحق (أداد) مدينة أخيه (شمش) المفضلة وثاني مدنه بعد (لارسا)، يبدو هذا لأول وهلة جزء من خطة (آشور) في الانتقام من جميع المدن السماوية، ولكن يبدو جليا أن هدفه الخفي هو الانتقام من (شمش) بعد أن نجح في إعادة تنصيب (سين) لمدينة (أور) بطريقة ناعمة ماكرة.. ولكنه اكتسب عداوة (شمش) ورغبته المباشرة في الانتقام.. هذان السيدان يثيران عاصفة بالعالم السماوي ولا يقيمان بالا للأخطار المحدقة بهما.. لقد صار لكليهما الآن ثأرا مشتركا ضد (نينازو) و(شمش)، ودخول (نينازو) سيتبعه تدخل (موشاسا) و(زابابا) كما سيعني دخول (شمش) انضمام

(سين).. لقد تم سحب فتيل حرب دموية عالمية ثانية بين الأسياد، ولكنها حرب تبدو أكثر عنفا من الحرب الدموية الأولى بمراحل.. حرب قد يفنى معها العالم السماوي بالكامل..

أطرق الوزير أرضا وكأنه يخشى لفظ كلماته التالية، تحرك لسانه عبثا لفترة قبل أن ينجح أن يقول بصوت مبحوح:

- وجهتهم المقبلة نحو الجنوب أكثر..

أراحه (زابابا) عناء الحديث وقال له:

- لم يعد أمامهما سوى (كيش) الآن.. نحن من نقف عقبة في طريق اتجاه جيوشهما نحو (بابل) غربا أو (نيبور) و(الوركاء) ثم (لارسا) و(أور) جنوبا و(أوما) و(لكش) شرقا.. (كيش) هي مفتاح (آشور) للتوغل بقلب العالم السماوي..

ثم أضاف بصوت أطل الوعيد متجسدا بنبراته:

- ولكن هذا ما لن يحدث.. سندفنهما بمقابر (كيش) ونجعل من تمردهما عظة لجميع الأسياد.. وسيتيقن الجميع أن (كيش) هي عاصمة المملكة السماوية الوحيدة والتي لا تقبل تعديا على حدودها..

ثم صاح بخشونة للوزير:

- قم بتجميع الجيوش وإفراغ مخازن الأسلحة وتهيئة

جميع الدفاعات.. الحرب قادمة فأهلا بها..

١٢- أمورو سيد الصواعق

وقف (أمورو) أمام تمثال (إنليل) الضخم بقلب معبده، واضعًا يديه بجانبي جذعه، وبدا الامتعاض جليا على وجهه وهو يركز في تفاصيل ملامح الوجه المنحوتة قسماتها بدقة، اضطره مستوى ارتفاع الوجه لرفع رأسه للنظر للأعلى، توقفت (إيشارا) قليلا تحدق في هذا الموقف العجيب من (أمورو) والذي لاحظت تكراره عدة مرات على مدار اليوم، قبل أن تطرق بأظافرها على رقيم طيني راقد بجانب كرسيّ العرش وهي تقول منبهة:

- ماذا سنفعل بشأن هذه الرسالة التهديدية؟

بدا (أمورو) لا مباليا وكأنه لم يسمعها، رفع ذراعيه مشيرا بأصابعه لوجه (إنليل) المنقوش بدقة تبعث فيه الروح وكأنه حيا جاثما أمامه، وقال وكأنه يحادث نفسه هامسا:

- لا جدوى من وجود هذا التمثال هنا.. لم يعد ل(إنليل) سطوة هنا أو بالعالم السماوي كله.. لم يعد حتى سيدا للصواعق..

رددت (إيشارا) باعتراض:

- سيد (أمورو)!

أشار نحوها مشيرا بالصمت وقد ركز كل حواسه مع التمثال الحيّ أمامه، خفضت (إيشارا) ذراعها لتبتعد عن الرقيم مع رؤياها لما يفعله (أمورو)، كان يشير بسبابته للتمثال قائلا وكأنه يحدث شخصا واقفا أمامه:

- لنزيل التمثال من الوجود كما فعلنا بصاحبه الذليل..

انطلقت من أطراف أصابعه مجموعة من شرارات تضاعفت واتحدت في صاعقة واحدة سميكة متعرجة، انقضت على التمثال عدة انقضاضات متتالية قاسية لتحوله لأثرٍ بعد عين في لحظات.. تناثر تراب الصخر المهشم ليفترش الأرض بمكان التمثال السابق، وأصاب بعض من الغبار الصخري ملابس (أمورو) ووجهه، فَعَلَت وجهه ابتسامة قاسية ولم يعبأ بإزالة الغبار عن وجهه وهو يقول بخيلاء:

- لقد ولت أيام (إنليل).. انتهى عصر أسياد الصواعق الأوائل.. وليبدأ عصر جديد.. عصر (أمورو) سيد الصواعق الجديد..

تأملته (إيشارا) من خلف ردائها الأبيض السميك الأشبه بالكفن، لم يذكر اسمها حتى رغم كل ما فعلته من أجله بدءًا من تجنيد (عسق) ثم الاستيلاء على كينونة المشعوذ ،مرورا بمعركة (ماراد) ثم استخدام كينونتها والتضحية بها من أجل تحويله لسيد للصواعق، ليس هذا (أمورو) الذي عرفته

ردحا من الزمن، صحيح أنه أحد مرتزقة الأسياد -مثلها- ولكن لم تكن علاقتهما ببعضهما البعض علاقة منفعة بشكل أساسي، كانت أشبه بعلاقة تكامل، كلاهما امتلك قوة الأرض، تميز هو بالسيطرة على ما فوقها من أعاصير ورمال بينما سيطرت هي على ما تحتها من مدن وأنفاق تعج بعقاربها، تقابلا ذات يوم بعيد أثناء فرار (أمورو) من ساحر كاد يتمكن منه ويفتك به، كان (أمورو) حينها غرا لا يجيد التحكم في قوته، يكتفي بنهب ما يريده من القوافل وأطراف المدن ويلوذ بالفرار، يعرفه الأسياد خفية ولكن لا يجرؤ أحدهم على الاعتراف بأنه يتعاون معه في تحقيق بعض من الأهداف القذرة، حتى أساء اختيار هدفه ذات مرة وانسل ليسرق أغراضا من قافلة ليهبها لأحد الأسياد ممن يدفعون له كثيرا، بوغت بساحر شديد القوة يكشف وجوده ويطارده، حاول (أمورو) اللجوء لمتاهات الصحاري التي يحفظها عن ظهر قلب ويشتت مطارديه بقلبها ولكنه اكتشف أن الساحر يفوقه معرفةً وسرعة، وهكذا كاد أن ينتهي وجوده لولا تدخُّل (إيشارا)، كانت تكره السحرة بشكل عام ولطالما رددت بجنبات العالم السماوي أنه ليس عدلا أن يمتلك فصيل معين وحده قدرات سحرية تجعل منه ندا للأسياد، فإن كان تواجد السحرة أمرا مفروضا عليهم فيجب عليها أن تتزود بسحر قويّ كسحرهم، ولم يكن سرا على الجميع إعجابها بكينونة

المشعوذ والتي ستزيد من قوتها أضعافا مضاعفة بتمكينها من رؤية ما بعد المسافات فوق الأرض لتكمّل قدرتها على رؤية كل ما أسفل الأرض..

ولكنها رأت في (أمورو) بديلا للكينونة، سيدا يحفظ تفاصيل ما فوق الأرض ويستطيع التحكم في عناصر الرمال ويثيرها زوابعا وعواصف بإشارة من بنانه، وهكذا تدخلت بجيش من العقارب لتسحب الساحر لعالمها تحت الأرض وتدفنه وتجعل عقاربها تلتهمه حيا، وهكذا تم التعارف بينها وبين (أمورو) كزوج متعاون يقوم بتنفيذ ما يطلب منهما كمرتزقة سويا، أرشدته لتطويع قدراته واستخدامها بكامل قوتها حتى صار سيدا جبارا لا يمكن مباراته فيما يخص الصحاري والرمال، وتدريجيا ومع نمو قدراته تضاعفت أطماعه واستطاع التأثير عليها وأقنعها بضرورة التحرك والاستيلاء على إحدى المدن السماوية وكفاهما حياةً منبوذة بالصحاري، وليصير لهما مُدُنًا باسمهما وتحت سيطرتهما.. وافقت على مضض بشرط ألا يكون استقرارهما بأي مدينة نهائيا وإنما قصيرا بقدر يسمح لهما بنهب كل ما يمكن الحصول عليه من خيرات.. وهكذا بدأ أمر الزحف نحو (ماراد) و(نيبور) والذي ساعدهما في تحقيقه بسهولة تحالف (عسق) ثم (نينازو) و(زابابا)..

تنهدت عند وصولها لهذه النقطة، فقد كانت الرسالة التهديدية تحمل ختم (زابابا) سيد (كيش) عاصمة العالم السماوي الجديد.. حليفهما السابق يريد تأكيد سيادته وخضوعهما له، نظرت نحو (أمورو) بقلق لا تدري كيف سيتقبل بشخصيته الجديدة المتسلطة كأحد أسياد الصواعق تهديدا مثل هذا.. لذا حاولت قدر الإمكان تقديم الأمر بطريقة ودية بدون أن تقرأ كلمات الرقيم شديدة اللهجة، مخافة اختلاف وخيم العواقب على مدينتي (ماراد) و(نيبور) حديثتي العهد معهما..

انتبهت له يقف أمامها مباشرةً يحدق بمكان وجهها بصمت، تركت الرقيم محاولة تشتيت انتباهه عنه وهي تقول بسرعة:

- سيد (كيش) يرسل تحياته ومباركته لنا.. لك سيد (أمورو)..

سألها (أمورو) باحثا عن المزيد بين كلماتها:

- تحيات فقط؟

فكّرت بسرعة لتنتقي ألفاظها قبل أن تندفع لتقول:

- يذكّرك بأمر (إنليل).. يريد تنفيذ ما يخصه من اتفاق.. يريد جثته..

قال (أمورو) ببطء وبلهجة مستفزة:

- هذا كان اتفاقنا حقا..

لم تنطق (إيشارا) محاولةً سبر أغوار تفكيره، لم تعد تدري فيما يفكر سيد الصواعق والرمال الجديد، وتمنّت ألا يتملكه العناد ويقوم بتحدي سيد (كيش) مدفوعا بقوته الجديدة، تراجع (أمورو) ليجلس بكرسي العرش قائلا بلا مبالاة:

- لقد انتهى (إنليل) بالفعل.. ولكني لا أريد أن يعلم أي من الأسياد بأنه لم يعد سيدا للصواعق.. أريد كتم أمر قدراتي الجديدة سرا لحين إيجاد الوقت الأمثل لاستخدامها..

سألته (إيشارا) بتردد:

- ما الذي تأمر به سيدي (أمورو) إذًا؟

أجابها ملوحا بيده باستهانة:

- اقضي عليه.. مزقي جسده.. مثّلي بأطرافه.. لا أريد أن يكون التعرّف عليه من خلال جثته ممكنا.. لتتفرق أعضاؤه وأطرافه بين أحشاء عقاربك العملاقة فلن يعود بالإمكان معرفة هل عاش يوما ما بالأساس من قبل أم لا..

قالت (إيشارا) بهدوء:

- ولكن سيد (كيش) سيريد تأكيدا بموته.. يريد جثة سليمة

يمكن التعرف عليها..

ثم أضافت بلهجة حاولت جعلها مقنِعة:

- لنقتل (إنليل) بطريقة هادئة ونرسل جثته ل(زابابا).. وهكذا نمنحه ما اتفقنا عليه مع تأكيد بصري عليه.. لن نستفيد شيئا من تمزيق جثته نهائيا إذا كنا سنقتله في جميع الأحوال..

هدر (أمورو) وقد جحظت عيناه الواسعتين:

- لن أقتل سيد الصواعق بدون التمثيل بجثته.. هذا أمر غير قابل للنقاش..

ثم أضاف بوعيد:

- وإن لم يعجب هذا سيد (كيش) ليأتي هنا ويكون أول شاهد على امتلاكي للصواعق القاتلة..

أكملت (إيشارا) بعفوية:

- لن يعجبه الأمر بكل تأكيد..

حدق (أمورو) بها قائلا بسخرية:

- عزيزتي (إيشارا).. أتخافين سيد (كيش)؟

ردت على الفور:

- لا أخشاه ولا أخشى أيا من الأسياد ولكن..

أخذت خطوتين جانبا لتتخطى جسد (أمورو) وتقف في مواجهة التمثال المهشم وترفع رأسها قائلة باسترسال:

- لا أفهمك حقا سيدي.. كنت تصر منذ قليل للميل للحل السياسي وعدم الفتك بأهل مدينة (نيبور) من أجل أن نصبح سيدين لهما كلمة يتم احترامها من قِبل الجميع.. الآن تصرّ بقوة على تحدي الملك الجديد للعالم السماوي في تناقض صارخ لكل معاني الدهاء السياسي..

قال (أمورو) مفسرا:

- لا تقلقي عزيزتي ملكة الصحاري.. لا يوجد تحدٍّ هنا.. موضوع جثة (إنليل) لن يكون له أثرا قويا قد يصل لتخطي قواعد السياسة من جهة سيد (كيش) وإعلان الحرب علينا.. الأمر أقل مدعاة لرد فعل عنيف مثل هذا من جهته.. فقط سيعلم أننا لسنا مرتزقة نعمل بأمره بعد الآن.. أو كنا من قبل ولم نعد كذلك.. نحن الآن سيدان لنا كلمة ولنا مدينة نحكمها ومدنيون نرعاهم.. وقبل كل هذا لنا هيبة لابد أن يحترمها الملك قبل صغار الأسياد..

صمتت (إيشارا) تهضم هذا المنطق الذي لا يبدو عاريا تماما من الصحة، لديه وجهة نظر بالفعل ولا يتصرف

اعتباطا، وسواء اقتنعت بفكرته بشكل تام أم لم تقتنع فمجرد كونه يعتمد خطة عقلانية وسياسة مدروسة لهو سبب يدعوها للارتياح بالفعل.. ورغما عنها وجدت نفسها تقول لنفسها أنه قد تغيّر حقا ولم يعد ذلك السيد المرتزق التائه الذي يجوب الصحاري هربا من مطارديه، لقد صار سيدا بحقّ مهيب الطرف سيجبر جميع الأسياد على أن يضعوا لوجوده حسبانا.. ووجدت نفسها تمعن في التفكير لتتساءل بعمق، هل لهذا التحول علاقة بسريان قوة الصواعق بدمه؟

١٣- كهنة النــــار



كهنة النار

جبل (سابلان) بأرض البشر..

انتصبت سلسلة الجبال المهيبة إلى الشرق من الرافدين، تزين قممها تكتلات سميكة من ثلوج ناصعة البياض، ضربت الريح بمنتهى القوة والإصرار -عبثا- تلك القمم محولة أعلى المرتفعات لجحيم فعليّ لا يمكن حتى التفكير في التواجد به ولو لدقائق قليلة، تزوم وتعوي كوحوش ضارية ساخطة لعدم قدرتها على النَّيل من هذه القمم المكللة بالثلوج، فاكتفت بتكرار جلدها كسياط لاهبة بمنتهى العزم، لا تدري أنها بمحاولاتها هذه تقوم بنثر نتف الثلوج المتساقطة من قلب السحب المتراكمة، فتزيد من كثافة طبقة الثلوج التي تودّ سحقها..

ووسط هذه الجبال برزت ثلاث قمم ارتقت أعلى من غيرها، كمنارات نحتتها الطبيعة وجعلتها شاهدا على قدرتها التي فاقت البشر في البناء والنحت.. إنها القمم التي تكوّن جبل (سابلان) والتي تتكلل أوسطها ببحيرة صغيرة من مياه حرارية طبيعية تصب مياهها الزائدة لتتساقط على المنحدرات الجليدية..

كانت مياه البحيرة دافئة، وتزداد درجة حرارتها باستمرار لحد يوحي بوصولها للغليان قريبا، وبالاقتراب أكثر يمكن رؤية مصدر هذه الحرارة التي تناقضت بشكل صارخ مع برودة الأجواء الأقرب للصقيع.. سبعة من الأجساد طويلة

القامة المسربلة بأردية فاقعٌ لونها يفوق ضياؤها ضوء الشمس، وكأنّ الأردية الطويلة تشع بذاتها ضوءً يفيض بحرارته على المكان كله، بالإضافة لتلك الكرات النارية التي كان كل فرد منهم يمسك بها بين أصابعه، يتلاعب بها وكأنها كرة مطاطية غير مؤذية، مما خلق نطاقا من حرارة مقيمة طالت ماء البحيرة وكادت تتسبب في فورانه..

وجوه مربدة قاسية تموج فيها التغضنات الناجمة عن كثرة التقطيب والعبوس أكثر منها ناجمة عن السنين.. بدوا كرجال تتراوح أعمارهم ما بين الثلاثينيات والأربعينيات.. شاردةً نظراتهم مرفوعة رؤوسهم نحو السماء، ينتظرون بصمت لا يبتره سوى أجيج نيران الكرات المتراقصة، والتي انعكست شرارتها على صفحة مياه البحيرة الرقراقة بتأثير الريح..

أضاء المكان كله بغتةً بضياء يعمي الأبصار، وحدهم السبعة استطاعوا النفاد عبر النور الغاشم ليروه متجسدا فوق الرؤوس.. بهيئته الضخمة السوداء المكسوة بالشعر والعضلات، ووجهه الحيواني الكريه المنفر.. سيد السحرة (النمرود) شخصيا يتنزل للأرض مغادرا العالم السماوي في حدثٍ فريد من نوعه..

خفضوا أنظارهم ومالت أيديهم مع انطفاء جذوات نيرانهم، استقر (النمرود) بينهم وقد خَفَتَ ضياؤه بالتدريج حتى

اختفى تماما، ثم جال بصره بين وجوههم بصمت هادر قبل أن يقول بنبرة فاقت حدتها هزيم الريح الهادرة:

- أيها الكهنة.. كهنة النار.. ستكونون أنتم سلاح (بابل) السماوية الخفي والأكثر قوة وتأثيرا.. ستمكثون هنا بين قمم الجبال الجليدية حتى حين.. هنا لا يمكن لبشري أن يتطفل عليكم.. وهنا لا يمكن لأي سماوي أن يعلم بوجودكم.. ستدينون بالولاء دائما وأبدا للسيد الأعظم (مردوخ).. وستكونون طوع بنانه ولن تخيبوا لي ظنا فقد قمت باختياركم وتدريبكم سنينا طويلة.. لتكونوا جديرين بمثل هذه الثقة الثمينة الغالية شديدة الوطء.. كونوا جديرين بحمل اسمكم يا كهنة النار..

همهم الكهنة السبعة بأصوات شبه حيوانية في ما يبدو وكأنه موافقة حماسية لحديث سيدهم ومعلمهم سيد السحر (النمرود)..

سمع (النمرود) عبر حاسة سمع خارقة دبيب خطوات.. خطوات بطيئة ولكن واثقة.. اتسعت عيناه بدهشة ندر ما تشكلت على وجهه المنفر وهو يتمتم بدون تصديق:

- غير معقول!

نظر ببصره عبر الحدود والتلال ليرى بشريا متوسط الطول

والبنية يجاهد ليتسلق إحدى التلال المجاورة.. اخترق عقله بقوة ليقرأ ما يجعله يُقْدِم على فعل أخرق مثل هذا.. قرأ بوضوح عقلا يصلح ليكون لرجل كثير التفكير والتفكر.. زاهد ناسك ترك زوجته وأهله ليبحث عن أسباب الحياة والموت والحقيقة والكذب.. ولكن أكثر ما اهتم بقرائته هو أن هذا الناسك قد رأى بالفعل نيران الكهنة كما رأى ضياء تَنَزُّلِ (النمرود).. رآه وتعجب.. رآه وسيتحدث به بين الناس.. وهكذا تهدد هدفه من إقامة كهنة النار وتم خرق جدار السرية منذ اللحظة الأولى.. لابد من التخلص من هذا الرجل، وهو شيء سيكون شديد السهولة ولن يتطلب منه سوى استحضار كرة نار واحدة تحرقه حيا.. ولكن..

ماذا لو اخترق عقله بصورة مراوغة وكأنه كيان علوي.. وكأنه إله.. البشر يؤمنون بشدة بمثل هذا الهراء.. سيظن نفسه نبيا مختارا وسيصدق كل ما يتلى عليه.. لا بأس إن قام بتلاوة قواعد دين جديد عليه ليقوم بنشره بين البشر.. دين يقتضي بأنه يجب تقديس عناصر الطبيعة جميعا، ولكن ليظل للنار والشمس الشأن الأعظم.. ليقوم بنشر بيوتا للنار يتم فيه عبادة آلهة جديدة للبشر.. آلهة تتصل كلها به -(النمرود) شخصيا- وبكهنته كهنة النار.. مما يعزز من قوته وقوتهم بشكل لافت، فمن قوة إيمان البشر وولائهم تتضاعف قوة السماويين كثيرا.. فما بالك بعدد رهيب سيعتنق دين

جديد ومذهب عادل متوازن.. وليكن هذا البشري المفكر صاحب العزيمة هو نواة هذا الدين الجديد ونبيه.. ليوسوس في أذنه بمعسول الكلام المنطقي ليؤسس دين (النمرود) المراوغ.. ليتحدث (النمرود) فيظن الناس أن من تحدث هو الناسك ومن سيتبعه من بعده.. سيتمتع حينا بأن يحلّ بجسده ويستخدمه كوعاء.. الناسك الذي سيعرف طويلا في الأرض كنبيّ يملك عدة أسماء أشهرها (زوروستر) و(زرادشت)..

١٤- الملكة الأم



إرشكيجال

(عالم إرالو السماوي البابلي السفلي)

تعدى (نينازو) البوابات السبعة ممتطيا تنينه (موشوسو)، لم يتم تطبيق قواعد العالم السفلي معه بخلع متاعه وملابسه مع مروره بكل بوابة، مما ينتهي به عاريا كيوم ولدته أمه أمام الملكة (إرشكجال) والسيد (نيرجال) والرسول (نمتار)، وأعضاء مشاورة العالم السفلي والذين تلجأ لهم الملكة في اتخاذ القرار النهائي بشأن الروح القادمة للجحيم للحساب الأبدي..

انتهت به الرحلة بعد تخطيه البوابة الأخيرة للوقوف أمام قصر مظلم كانت أبراجه تضيء بين اللحظة والأخرى بلسان برق فضي منبعث من بين السحب الرمادية التي تعج بها سماء هذا العالم، تبعه اثنان من الحراس ليدخلاه القصر عبر بوابة ضخمة سوداء أفضت لبهو شديد الاتساع كان يمثّل القنطرة المؤدية للقاعة حيث الحساب الأبدي، ولكنه لم يكن مضطرا لدخول هذه القاعة إذ وجد الملكة (إرشكجال) شخصيا تقف بمنتصف البهو الفسيح تنظر له بإمعان..

طويلة القامة معتدلة القوام، وجه شديد البياض كالثلج أشبه بوجه سيدة غادرت الثلاثينيات ولكنها ما زالت تتمتع بكثير من جمال الشباب، مع لمحة قسوة في نظراتها وتقلُّص ملامح وجهها الدائم، ترتدي ثوب طويل مفتوح الصدر حالك السواد، تتمنطق بنطاق فضي تعلقت به جمجمة بالمنتصف،

على جبهتها تاج فضي تبرز منه ثلاثة أطراف حادة تنظر للسماء كالسيوف، ويغطي رأسها شعر أسود ناعم ينسدل حتى أسفل ظهرها، رفعت ذراعها اليمنى ليبرز بياض بشرتها بتناقض تام -لكن محبب- مع أظفار سوداء طويلة، وعلى سبابتها المفرودة يستقر صقر جارح أسود اللون عظيم طول الجناحين..

قال (نينازو) ساخرا:

- أماه!

بادلته سخرية بأخرى وهي تقول:

- أهلا بالابن العاق!

اكتسبت نبرته خشونة وهو يقول:

- العاق هو من يقذف بابنه أرضا ويغادر العالم بأكمله..

- لم أقم بقذفك ولا التخلص منك.. لقد تركتك بين يدي أبيك السيد (نرجال)..

- وكانت أيادٍ أمينة بالفعل.. لم يستغرق منه الأمر تفكيرا للحظة واحدة في إمكانية الإبقاء عليّ.. تركني بوسط أهالي (أشنونة) أعاني حتى الموت لولا أن رقّ على حالي مجموعة من العامة السماويين البسطاء، وقاموا بالاهتمام بتربيتي

وتنشئتي وسطهم كأحد أفرادهم رغم كوني أحد الأسياد.. لقد صاروا لي أهلا ونجحوا في جعلي ما أنا عليه الآن..

زادت (إرشكجال) خشونةً وهي تقول:

- لقد نجحت التجربة معك لأقصى حد.. نموت وسط غرباء صاروا لك أهلا.. ترعرعت بلا أب أو أم فلم يعد هناك شيئا تخشى فقدانه وصرت لا تخشى شيئا.. السيد الرهيب الجبار (نينازو) لم يكن ليبرز للوجود لولا فقدانه لوالديه طفلا.. اشكر ظروفك ولا تكن جاحدا أيها الجبار الصغير..

- إذًا فعليّ أن أشكرك في النهاية؟

- إن كنت فطنا بما يكفي لفهم أي نعمة أنت تتقلب فيها الآن..

ثم سألته مباشرةً:

- لمَ جئت يا (نينازو)؟ بالتأكيد لم تخترق العالم السفلي من أجل معاتبتي على الماضي..

ترجّل (نينازو) من على متن تنينه واقترب من (إرشكجال)، وقف أمامها وقد تقاربت قامة كل منهما رغم طول (نينازو) الفارع، قال لها بهدوء:

- لقد صارت (كيش) هي عاصمة العالم السماوي الآن..

قالت ببرود:

- أعلم هذا.. لا تحدث شاردة أو واردة بالعالم السماوي إلا وتأتيني أخبارها على الفور..

- سينقلب أسياد العالم السماوي جميعهم على بعضهم البعض فردا فردا.. ستعم الفوضى..

- ماذا تريد تحديدا أيها الجبار الصغير؟

أخذ نفسا عميقا ثم خلع خوذته وأمسكها بقبضته اليمنى لتظهر ملامح وجهه القاسية ولكن المليحة في نفس الوقت، وأطلت عيناه الواسعتان بحزم نحو (إرشكجال) وهو يقول:

- أعرف ولعك الشديد بإبقاء توازن ما بين العالمين العلوي والسفلي..

صححت له:

- واجبي الذي اتخذته عهدا على نفسي مقابل إعطائي سلطات التحكم في هذا العالم السفلي بما يفيد الأفضل للعالمين..

لوح بيده بلا اكتراث معترضا على تغير المعنى وهو يقول:

- لا أجيد ولا أحب المراوغة الكلامية.. لقد اكتسبتِ قدرات خارقة جعلتك فوق كل الأسياد جميعا.. صار بيدك الأمر كله،

تحيي وتميتي، تخلقي وتفني بإشارة من يدك.. أنتِ إلهة حقا بالعالمين..

سألته بإيجاز:

- ماذا تريد يا (نينازو)؟

أجابها بسرعة شأن من أعد الإجابة مسبقا وحان وقت نطقها:

- أريد دعمك لسيد (كيش).. لن يجرؤ أحد على الثورة على ملك يحظى بتأييد ملكة العالم السفلي..

قالت ببرود شديد شأن من شعر بالإهانة:

- هل قطعت كل هذه المسافة فقط لتهينني؟ لا أعتقد أنك أحمق لهذه الدرجة.. من أقدم قواعد العالم السفلي وأكثرها ثباتا عدم مغادرة الملكة له مطلقا وعدم اشتراكها في نصر طرف بعينه في حروب العالم السماوي العلوي.. لن أتجاوز الحدود من أجل شخص من دمي لا أعرف عنه شيئا سوى اسمه.. لن أتجاوز الحدود مطلقا بدون استثناءات.. ظننت هذا واضحا لجميع السماويين عامةً كانوا أم أسيادا..

قال (نينازو) ببرود:

- لا توجد قاعدة لا يتم خرقها.. بل إن القاعدة هي خرق

القاعدة!

- لن أخترق قوانيني التي قمت بسنها بنفسي..

ثم أضافت هامسة بلهجة مختلفة وكأنها أرادت أن تجعلها سرا بينهما:

- لن أغامر بفقدان كل هذه القوة.. من أعطاني إياها بلمح البصر قادر على نزعها مني بين عشية وضحاها..

تفهّمها (نينازو)، وحدها الصراحة هي الحل الأمثل لوأد الجدال قبل تفاقمه، وها هي الملكة تقول باختصار ما يُفْهَم منه أنها لن تشارك في أية حرب سماوية مهما بلغ الدافع، إلا إذا..

صمت (نينازو) يفكر ويدير بعقله ما رآه حلا لهذه المعضلة، ثم قال لها ببطء مفكرا أكثر منه متحدثا:

- إذًا فاهتمامك بالإبقاء على قوانينك هو الأساس..

لم تردّ (إرشكجال) واكتفت بالنظر نحوه منتظرة القادم، فأضاف:

- وأهم هذه القوانين هو المحافظة على ميزان القوة والضعف..

بدأ شبح ابتسامة يلوح على شفتي الملكة مع استمرار

(نينازو) في الاسترسال:

- وهذا يشمل الدفاع عن عالمنا السماوي من أي خطر خارجي..

فهمت (إرشكجال) مقصده وسارعت بالقول بلهجة حاسمة:

- اعطني سببا يهدد وجود العالم السماوي وأعدك حينها سيكون دعمي لك ولمدينة (كيش) غير محدود..

تنهد (نينازو) بارتياح مغمغما:

- وأخيرا توصلنا لاتفاق..

ثم أضاف وهو يتجه نحو تنينه منهيا الحوار:

- أتمنى أن تفي بوعدك حقا حينها، فلن أعدم وسيلة لإيجاد أي خطر محدق بعالمنا بعد انهيار حواجز الدهر.. لابد أنه موجود يترصد.. بمجرد أن أجده ستجدي اسمك يتردد على لساني..

أنهى حديثه بسخرية وهو يثب ليمتطي متن (موشوسو):

- أمي العزيزة!

راقبته (إرشكجال) وهو يلكز التنين ليخفق بجناحيه ثم يلوي عنقه ليميل للأعلى عائدا للبوابة الأخيرة ليبدأ رحلة

العودة للعالم السماوي مجددا، ابتسمت وهي ترفع يدها اليمنى محركة أصابعها ذات الأظافر السوداء مبتسمة متمتمة:

- حفل توديع للابن الضالّ!

مع حركة يدها انفصلت عن السحب كتلة سوداء كثيفة، تحركت ككتلة سميكة منقضة على التنين وراكبه، تراجع التنين بفزع رافعا أطرافه الأربعة بتحفز مدافعا عن نفسه وعن راكبه، استل (نينازو) سيفه بحركة غريزية مع رؤيته لآلاف آلاف من الطيور السوداء الدقيقة القبيحة، طيور وادي (سجيل) ذائعة الصيت والتي هي ذرية (إرشكجال) الحامية والمهيمنة على العالم السفلي كله، انقض سرب الطيور لينجم عن تحركها زعيق صفير حاد مؤذي للسمع، كان موقف (نينازو) و(موشوسو) يائسا وبدا أنهما سيلاقيان حتفهما في لمح البصر، ولكنهما فوجئا بالطيور تكف عن الانقضاض وتتراجع مع حركة أخرى من يد (إرشكجال) مكتفية بالبقاء جاثمة بكبد السماء تتربص للسيدين المغادرين، فأدار (نينازو) وجهه نحو الملكة لتطالعه ابتسامتها العريضة الساخرة، فنخر بقسوة وهو يهمس لنفسه:

- لو لم تكوني أمي فقط!

ثم عاد لينظر نحو البوابة الأخيرة مستحثا (موشوسو)

للخروج من هذا الجحيم، أو الفرار بمعنى أدقّ..

١٥ - سيد الشمس

دخل (بونيني) بخطوات مسرعة قاعة معبد (شمش) الرئيسي، يتبعه الكاهن الأعلى وكبير المهندسين وكبير الوزراء، كان (شمش) جالسا على كرسيه متقلدا كامل لباسه الحربي في إشارة لتطور الأمور الجارية الخطير رغم علم الجميع بعزفه عن الحروب العسكرية وسفك الدماء إلا للضرورة، توقف (بونيني) قائد الجيوش وقد تراص بجانبه أكبر ثلاث رجال المدينة مقاما، الكاهن الأعلى بجسده الضامر وظهره المنحني وعينيه اللامعتين، وكبير المهندسين بجسده الضخم ونظراته التي تفوح بالنشاط رغم تقدمه بالعمر، وكبير الوزراء الشاب الوحيد بينهم والذي تميز بقوام معتدل وشعر قصير بخلاف أهل العالم السماوي والأرضي حتى، بالإضافة لنظرات ماكرة تنم عن كيفية تقلده منصبا هاما مثل هذا بمثل هذا العمر..

اكتفى (شمش) بالصمت ناقلا نظراته القوية فيما بين وجوههم الأربعة، لم يشأ التحدث قبل أن ينقل له كل منهم تلخيصا عن آخر المستجدات بالعالم السماوي المضطرب.. بدأ الكاهن الأعلى بالحديث لما له من مهابة بقلوب الباقين:

- سيدي الأعظم (شمش).. عبادتك بين البشر تسير على قدم وساق محققة نتائج باهرة، لا نزال متخلفين عن عبادة

السيد (سين) والذي هو سيد الآلهة بالأرض، ولكن هذا لايضيرنا في شيء كون السيد (سين) هو شقيقك وحليفك.. كما أن انتشار عبادتك ملحوظ ولا يمكن إنكاره..

لم يعلّق (شمش)، فأمر عبادته بالأرض لا ولم يشغل تفكيره من قبل بشكل محموم، يكتفي بأمر مدينته الرئيسية بالعالم السماوي كأولوية مطلقة تاركا كل ما يخص عالم البشر الأدنى للكاهن الأكبر وكهنته وسدنته والمعبد بشكل عام..

انتقل بنظره لكبير المهندسين فقال الأخير مدركا أن عليه الحديث الآن:

- إنشاء المعابد مستمر.. أعداد المعابد في (سيبار) تكاد تناهز عدد معابدك هنا ب(لارسا).. وقد وضعنا خطة لنقل مياه (الفرات) ل(سيبار) عبر قنوات جديدة بعالم البشر، سيليها حفرنا لهذه القنوات بعالمنا مما سيساهم في تطور (سيبار) لتصبح منافسة قوية لباقي المدن السماوية..

قاطعه كبير الوزراء باندفاع:

- لم تعد (سيبار) موجودة على الخريطة منذ اليوم!

داهمته نظرة لوم من (بونيني) فاضطر لابتلاع لسانه ندما مطرقا أرضا، ليتجنب النظر لوجه السيد (شمش) بعد أن تجاوز الحدود وقاطع كبير المهندسين أثناء حديثه، كفّ كبير

المهندسين عن الكلام وقد جحظت عيناه غير مبالٍ بمقاطعة كبير الوزراء الشاب، والتفت نحوه مصدوما يسأله بمنتهى الفزع:

- ما الذي تعنيه؟

بدا الاهتمام على وجه (شمش) بعد أن تجاوز ما حدث من خرق للقواعد السياسية -بسرعة وهو يسأل رافعا حاجبيه كثيفي الشعر للأعلى:

- كن أكثر دقة يا كبير الوزراء..

نظر كبير الوزراء ل(بونيني) نظرة سريعة فهز له قائد الجيوش رأسه مشجعا إياه على سرد الأخبار شديدة الوطء على (شمش) و(لارسا):

- لقد جاءتنا الأخبار المؤكدة الآن فقط.. لقد تم سحق مدينتي (أشنونة) و(سيبار) بعد هجوم مباغت وكاسح من الآشوريين بقيادة تحالف السيدين (آشور) والسيد (أداد)..

نطق اسم (أداد) بحروف مرتجفة موقنا من تأثير هذا الجزء من الخبر بالذات على (شمش)، اتسعت عينا الأخير بذهول وكأنه يسمع ما لا يمكن أن يصدّق، كانت صدمة الفاجعة مزدوجة فتضاعف تأثيرها، لقد تم محو مدينة (شمش) الثانية من الوجود بكل قاطنيها من محبي (شمش)

وكل مبانيها ومعابدها ومرافقها التي اجتهد مهندسوا (لارسا) في تشييدها على مر السنين، ثم كان كل هذا بيد أخيه (أداد)، الشقيق الأصغر الذي بُعِثَ حيا بعد مماته فقط ليقهر أشقائه، أولًا (سين) والآن (شمش).. ولكن هذا الفعل المشين لن يمر مرور الكرام، سيكون له من الأثر مما قد يتسبب في تداعي العالم السماوي بأكمله..

استعاد (شمش) هدوئه بسرعة خرافية، لم يدع الغضب يؤثر عليه أو في اتخاذ قراره، بدا هدوؤه أسطوريا وهو يسأل كبير المهندسين:

- هل لديك ما كنت ستضيفه قبل أن يقاطعك السيد كبير الوزراء؟

ارتج على كبير المهندسين وبدا شكله مثيرا للرثاء بسبب نظرة الهلع التي أطلت من عينيه ولم تتناسب مع جسده الضخم أو مكانته، حاول نطق قليل من الكلمات فخرجت همهمة غير مفهومة من بين شفتيه سارع بتحويلها لكليمات تقول:

- لا يوجد المزيد يا سيدي..

تحوّل (شمش) نحو الشاب كبير الوزراء ورجل السياسة الأول ب(لارسا) العسكرية ليبادره بسؤال مختصر:

- هل هناك ما تريد قوله غير تدمير (سيبار)؟

كان كبير الوزراء أول من استعاد جأشه من الرجال الثلاثة وهو يجيب برصانة مبالغ فيها:

- لا يوجد سيدي.. وتم التكتم على الأمر حتى لا يتسرب للعامة وإن كنا نعتقد أن الأمر سيصلهم عبر ثرثرات أهل المدن الأخرى خلال بضعة أيام.. تمكّنّا من معرفة الخبر بأقصى سرعة ممكنة عبر شبكة سرية من أنوار المدن المختلفة، ولكن حتى بهذه الطريقة لم يصلنا الأمر بالسرعة الكافية، نعتقد أن تدمير المدينة قد مر عليه يوم كامل بالفعل حين وصلنا الخبر..

هز (شمش) رأسه مؤيدا ومتفهما الشاب الطموح، ثم قام بصرفه هو والكاهن الأعلى وكبير المهندسين زائغ النظرات بإشارة من يده، ولم ينطق حتى أصبح بمفرده مع قائد جيوشه (بونيني)، فقال يحدّث نفسه بصوت مرتفع مسددا نظراته نحو (بونيني):

- تبدو في أحسن حال عزيزي (بونيني).. طبول الحرب تطربك..

ابتسم (بونيني) رغما عنه وهو يقول بأكثر قدر ممكن من اللباقة:

- الحرب شر لا مفر منه..

أشاح (شمش) بنظره بعيدا نحو إحدى نوافذ المعبد المربعة الواسعة المرتفعة وهو يقول شاردا:

- دائما ما أحاول تجنب الحرب وويلاتها، لم يكن ما حدث بالعالم السماوي من دمار شامل إبان حرب الأسياد الدموية الأولى لهو بالشيء الذي يدعو أي كائن حي لتكرار التجربة.. من رأى الكارثة وكان أحد أطرافها ليس كمن يسمع عنها كقصة تاريخ مسلية.. كنت أنجح دائما ودوما في تجنب الحرب ولكن هذه المرة..

أطلّ تألّق مخيف من عينيه وكأن زوجا من شموس مبهرة تودّ التحرر من عقالها بداخل المحجرين مع قوله المخيف:

- هذه المرة سأكون أنا الداعي للحرب الجديدة.. ولن أرضى بأقل من رأس شقيقي الصغير العادل (أداد) ثمنا لإنهائي هذه الحرب..

صمت (بونيني) قليلا ليعطي سيده بعض الوقت للتنفيس عن غضبه والذي لاحظ أنه لم يقم بإظهاره أمام رجال المدينة الثلاثة الكبار، ثم قال له بهدوء محاولا فتح نقاش هام ودّ الوصول منه لغاية محددة مدروسة:

- المسافة بيننا وبين الشمال بعيدة.. لن يستطيع جيشنا

التحرك بسرعة تضاهي سرعة الأسياد.. سنحتاج أياما لنصل لما يقارب نصف المسافة، سيكون الجيش حينها مرهقا بشدة ولن يكون قادرا على خوض معركة بفعالية كما يجب..

أعاد (شمش) نظره إليه وهو يسأله بفضول:

- هل لديك حل آخر؟

أجاب (بونيني) بسرعة:

- كما سمعت فجيوش تحالف (آشور) تزحف من أقصى الشمال متجهة نحو الجنوب، ولا أعتقد حقا أن هدف هذا التحالف هو تدمير مدينتك الثانية فقط..

- بالتأكيد لمْ يتم لمُّ شمل السيدين من أجل إثارة غضبي فقط..

- لقد كان السبب هو تلك الرسالة التي بعثها السيد (آشور) لكل المدن، والتي وصلتنا وكانت محل تندّر وسخرية لأيام..

- لم يتخيل أحد أن السيد كان يتحدث جديا فيما يخص الزحف نحو كافة مدن العالم السماوي..

- أتخيل أنه ربما كان مجرد تهديد أجوف بادئ ذي بدء، أو على الأقل حتى انضمام السيد (أداد) له مما ضاعف من أطماعه وطموحاته.. وربما سبق تحالف (أداد) إرساله لرسائل

التهديد الانتقامية لاغتيال ابنه.. لن يعرف أحد الحقيقة أبدأ.. ولكن الأمر الوحيد الذي لا شك فيه هو أنهما سيضطران للتحرك ببطء جنوبا، سواء لمجاراة سرعة زحف جيوشهما أو بسبب مقابلتهما لعدة مدن قوية لا يمكنهما تجاوزهما بسهولة.. وأعني هنا بالتحديد (كيش).. تلك المدينة التي يدعي سيدها (زابابا) أنه قد صار ملك العالم السماوي بمجرد اغتياله لسيد الصواعق الأكبر (أنو)..

- ما زلت أتذكر أيضا رسالته التهديدية المطالِبة لنا بالاعتراف به ملكا لجميع الأسياد.. سخرت منها بشدة كما سخرت من قبل من دعوة (أنو) الذي جن بأواخر أيامه..

ثم اعتدل في كرسيه قائلا ل(بونيني) وفكرة ما تتشكل برأسه:

- لعلك لا تعني أن ندع غيرنا يقوم بعملنا في تأديب (أداد) مقابل الاعتراف بسيد (كيش) ملكا للأسياد؟

قال (بونيني) محاولا إبراز فكرته بشكل مقنع:

- لدينا حرب لابد منها ضد السيد (أداد).. لا نفكر أبدا في تجنبها.. سنهزمه عاجلا أم آجلا وسينال عقابه على ما ارتكب من جريمة شنيعة بخصوص مدنيي (سيبار) مدينتك الثانية.. ولكن.. ماذا لو اكتفينا بعدم فعل شيء والمراقبة

فقط.. لن نعترف بأي من الأسياد كملك للعالم السماوي بالطبع، ولكن الحرب وشيكة بين تحالف (آشور) وبين مدعي سيادة العالم السماوي.. بمجرد زحف جيش التحالف سيصطدم السيدان مدعيا المثالية والرغبة في الانتقام بالسيدين مدعيا استحقاق حكم العالم السماوي بأكمله.. لذا لندعهما يتقاتلان، ليس بغرض القتال بدلا منا ولكن بغرض تكسير المجاذيف.. حربهما هذه سيخرج منها أحد الطرفين مهزوما مدحورا، بينما سيخرج الطرف المنتصر وقد تضاءلت قوته كثيرا وضعفت جيوشه.. حينها نضرب بكل قوة وبجيش طازج لم يتأذى أو يتضرر.. لن نتحصن ب(لارسا) وننتظر خصمنا ولكننا أيضا لن نزحف بسرعة تضعف من جيوشنا.. سنتحرك بسرعة متوسطة نحو الشمال تحافظ على كامل عتادنا وقوتنا وجاهزيتنا للقتال..

بدا (شمش) مقتنعا بما سمعه، فهز رأسه عدة مرات مستحسنا ما سمع قبل أن يقول ل(بونيني) مادحا:

- لست بمجرد قائد جيوش أهوج ينبري للحرب بشكل أعمى إذًا..

ابتسم (بونيني) رغم صيغة المدح العجيبة وشد قامته بقوة قائلا بلهجة حاسمة:

- من أجل (لارسا)!

١٦- سيدة الوحش

فرغت (نينشوبور) من قصّ قصتها العجيبة والمذهلة مع الوحش (خومبابا) ذي الجسد الواحد وزوج الأرواح المتنافرة المتألمة، ربّت الحكيم (ماندانو) على ظهرها بأبوية وهو يبتسم بفرحة لعودتها سالمة والتي أسعدته أكثر بكثير من نجاحها في مهمتها المستحيلة وترويض وحش غابات (الوركاء) الرهيب..

أخبرها عن الرقيم الأول وعن ما كشفه له من أسرار، قال لها:

- أصبح الأمر واضحا لي الآن بشكل كبير.. لقد أسأنا فهم الجملة التي تعني عدم قابلية الوحش للترويض رغما عنه، اعتقدنا أنها جملة تعجيزية تفيد باستحالة ترويضه، ورغم أن هذا لم يردعنا عن المحاولة من أجل (إينانا) وأهل (الوركاء) ولكن يمكنني الآن فهم معنى هذه الجملة بوضوح، إنها تعني أنه لكي يتم ترويضه لابد من إقناع الروح الدخيلة المسيطرة على الروح الهمجية والجسد الوحشي، هي من يجب التحدث معه وترويضها ودّيا إذ أنه لا يمكن عمليا إخضاع قوة الوحش التي لا مثيل لها بالقوة..

ثم وضع يده على يدها مكملا بحماس:

- عزيزتي.. لقد قادك حبك لسيدتنا في النجاح في ما لم يستطع الاقتراب منه أعتى رجال عالمنا السماوي قوة.. تفوق قلبك على أحد أقوى الأسياد الوحشية في تاريخنا بأكمله.. وفي النهاية فيمكن لقطرات ماء عنيدة أن تحفر أشد جلاميد الصخر قسوة.. كم أنا فخور بكِ يا بنيتي..

لم يبدو على (نينشوبور) الحبور مما تسمعه من مديح، بدت شاردة بفكرةٍ ما تؤرقها، فأطال الحكيم النظر إليها قبل أن يقول لها بحنوّ:

- تفكرين فيها..

تنهدت جمرا وهي تقول مؤيدة لكلامه:

- لا أجرؤ على التفكير في احتمال إصابتها بمكروه..

قال لها الحكيم:

- أعتقد أنني أصبحت أكوّن فكرة عن مكانها الحالي بعد قراءة أسرار الرقيم الأول..

سارعت بأن أمسكت كتفه بكلتا يديها بلهفة وهي تهزه مرددة:

- أخبرني بكل ما توصلت إليه..

لمعت عيناه لحماستها وقال لها مفسرا:

- ما فهمته من خلال قراءتي السريعة لمقدمة الرقيم الأول أن المتسبب في انهيار علاقة ما بين العالمين هو زوج مكوَّن من أحد الأسياد الطافرة مع ساحر قوي..

رددت (نينشوبور) تحاول استساغة اللفظ:

- الأسياد الطافرة؟

أوضح لها الحكيم:

- إنه جيل متقدم من الأسياد لا يتكرر إلا مرة عبر عدة أجيال ويمتلك قوى متفردة غير مطروقة.. لا أعتقد أن أي من أسياد العالم السماوي المعروفين مهما شطح به الخيال والطمع قد يلجأ لتحدى حواجز الدهر، ناهيك عن عدم معرفة أي منهم لكيفية تحقيقه لهذا.. ولكن لو افترضنا وجود ساحر لديه هذا العلم ولاقى تشجيعا من طمع أحد الأسياد الطافرة، سيكون بديهيا أنهما هما المحرك الرئيسي لكل الفوضى التي تجتاح العالمين الآن..

ابتعدت (نينشوبور) عنه تدريجيا وقد بدت مشدوهة بما تسمعه من معلومات مخيفة، ثم وجدت نفسها تسأله:

- وما علاقة هذا بالسيدة (إينانا)؟

أجابها الحكيم شارحا نظريته:

- لقد اختفت السيدة عقب أن وصلتها رسالة دنوّ موت (حمورابي).. مجرد ردها بإرسالها لرسالة وجود الرقيم الأول لهو دليل على أنها قد تلقت رسالتنا بالفعل.. وهذا يعني أنها بادرت من فورها وانتقلت لعالم البشر لاقتناص هالته الإلهية.. ثم اختفت.. الأمر واضح وضوح شمس منتصف النهار.. لاختفائها علاقة بهالة (حمورابي).. (حمورابي) ملك مدينة (بابل) البشرية.. بينما يقطن السيد الطافر والساحر ذي المعرفة -بحسب حدسي- ب(بابل) السماوية.. هل هي مصادفة؟ لا أؤمن بالمصادفات على الإطلاق، وأؤمن أن من يؤمن بالمصادفات لهو غر ساذج لا يرى نصب عينيه..

صمتت قليلا تهضم منطقه، لم ترَ فيه إلا استنتاجا مبنيا على حقائق، ولكنه يظل استنتاجا في النهاية..

سألته بتمهل:

- هل تعتقد أن السيدة ب(بابل)؟

- لا أشك في هذا.. وهي من قدمت لنا الدليل مسبقا عندما أتاحت لنا الحصول على الرقيم الأول والذي أمدّنا بكل ما لدينا من معلومات بشأن أصل عالمنا وحقيقة أسياده..

- ربما تريد العودة ولكن ذلك الحاجز السحري يمنعها..

- ليس من المنطقي أن يكون للحاجز طبيعة عمل بكلا

الاتجاهين.. لقد تم تصميمه لمنع الدخول فقط ولا يوجد مبرر لجعله يمنع الخروج..

بدا القلق متجسدا بملامح وجه (نينشوبور) وهي تقول:

- منطق حديثك يفضي لمعنى مخيف..

تنهّد الحكيم (ماندانو) وقد أيقن أنها فهمت ما يصبو إليه، ثم قال لها ببطء ضاغطا على حروف كلماته:

- السيدة محتجزة ب(بابل) على يد السيد الطافر وساحره القوي.. لا أشك في هذا بتاتا..

سألته منجرفة نحو أية مجازفة ممكنة من أجل (إينانا):

- وما الذي يمكننا أن نفعله؟

- نفكر أولًا في كيفية التسلل عبر هذا الجدار السحري..

- لدينا الوحش (خومبابا) الآن..

- صغيرتي.. لا نريد شنّ حرب من أجل استعادة السيدة.. لن يسير الأمر في مصلحتنا.. لسنا بأسياد ولا حتى محاربين.. ولا يوجد حاليا أي سيد من أسياد الصواعق ليقود حربا كهذه.. علينا أن نكون متعقلين قبل التقدم خطوة واحدة.. هدفنا الأول هو التيقن من وجود (إينانا) بداخل المدينة، وحين التحقق من هذا سنقوم بالسعي نحو تحقيق هدفنا

الثاني وهو استعادتها من بين براثنهما.. ولتحقيق ما نريده لن يفيدنا التحرك بعلانية، بل يجب أن نلزم السرية التامة ونسير وفقا لخطوات مدروسة نتفوق بها على قوة ودهاء خصمينا، واللذان استطاعا وحدهما التسبب بخلل بين عالمين..

لما رآها تزمّ شفتيها بضيق ضمها لصدره وهو يقول مطمئنا:

- سنستعيدها يا (نينشوبور).. فقط ثقي بي..

١٧- القائد ملكًا

قصر الحاكم العسكري ب(أوما)

جلس (نينكرسو) على كرسي حجري منقوش، مسندا ظهره للخلف ليغوص جسده الضخم في رحابة كرسي العرش المهيب، الكرسي الذي كان يجلس عليه الغابر (شارا) قبل أن تدور عليه الدائرة وتنجح (لكش) بقيادة (نينكرسو) في دحر جيشه بالكامل والقضاء عليه -القائد العسكري شخصيا- بعد سيطرته لأجيال على (أوما)، وقيامه بالتأصيل لمبدأ التفوق العسكري بين العامة قبل الجنود.. وكعادة أي حاكم طاغية فبمجرد سقوطه تنهّد أهل (أوما) الصعداء وسارعوا بالترحيب بالحاكم الجديد عدو الأمس بمنتهى الصدق والحرارة، وكأنه لم تدور بينهما معارك من قبل قطّ سقط بها ضحايا من الجانبين.. رحّبوا ب(نينكرسو) وكاهن (لكش) الأعلى ترحيبهم بأيّ كائن كان قادرا على تخليصهم من سيطرة (شارا) ثقيلة الوطء.. ولم يجد (نينكرسو) غضاضة في السماح لهم بحريتهم العقائدية والسياسية وحتى الاجتماعية، مطمئنا إياهم أن ما حدث ل(أوما) ليس باحتلال وإنما مجرد إعادة وضع الأمور في نصابها الصحيح..

مالت المحاربة العشرينية (نانشي) نحو (نينكرسو)، لم تعد محاربة الآن كما كانت منذ ساعات أثناء معركة السيف

المكسور بالمنطقة الحدودية عندما كانت تقود فرقة قاذفي الرماح، أصبحت بابليةَ المظهر بردائها الأنيق المدرج ذي القطعة الواحدة وشعرها شديد السواد المجدول في دوائر حول رأسها، وملامح وجهها الدقيقة الآسرة والتي كانت الغلبة فيها لزوج من عينين واسعتين مكحولتين تنطقان بذكاء وجاذبية شديدتي الوضوح والبهاء، لقد تحولت لمفسرة الأحلام الهادئة بعد أن كانت المحاربة الثائرة ذات العصبة الزرقاء والخناجر المزينة لنطاقها.. همست في أذن (نينكرسو):

- أصبحت إلهًا يا سيد (نينكرسو).. كيف تشعر الآن؟

ابتسم (نينكرسو) وهو ينظر لوجه (نانشي) مليًا، مفسرة الأحلام والتي لها دور لا يمكن إنكاره في مشاورة صاحب الرأي أو في الحرب في نفس الوقت، محبوبة من أهل (لكش) بجنون ويعاملونها معاملة تقارب معاملة الآلهة، بسبب ما نما حولها من شائعات بشأن أحلامها التي هي أشبه بنبوءات صادقة لم يصدف وأن لم تتحقق يوما بحذافيرها، لم يكن قد رآها أحد تحارب من قبل لذا فقد ذاع أمر مشاركتها جنودها المعركة الأخيرة على الألسن ليُكْسِبُها مكانة خرافية، وبرغم منزلتها الإلهية وشيوع كونها تتصل بشكل مباشر مع آلهة (بابل)، ولكنها كانت تنزل الأسواق

وتخالط العامة ببساطة لا تتناسب مع مكانتها بقلوب أهل (لكش)..

قال لها (نينكرسو):

- أحتاج وصف هذا الشعور منك أنتِ شخصيا فأنتِ من يعامله الجميع كنصف إله على الدوام..

قالت له عابثة:

- أحيانا أعامَل كإلهة.. لا تعلم هذا..

اتسعت ابتسامة (نينكرسو) ولم يعقب، فقد بدأت بالفعل حقبة جديدة يتم معاملته فيها كأحد الآلهة، بدأ النحّاتون في العمل على تماثيل نصفية وكاملة له تمهيدا لبدء نشر عقيدة عبادة الإله البشري (نينكرسو) -إله الحرب- بين مدن (بابل)، بعد ما سرى على الألسنة من قدراته الرهيبة وقوته التي تتماشى مع قدرات إله يسير على قدمين، هبة الآلهة ل(لكش) والتي مكّنتها من استعادة حقها المسلوب منذ سنين، بل وأكثر من هذا دحر جيش (أوما) المهيمن وضمّ المدينة نفسها ل(لكش) كمستعمرة تابعة لها تأتمر بأمرها، وتصب خيراتها بمخازنها وتأخذ منها جنودا متى شاءت..

سألها جادا:

- رفض الكاهن الأعلى الانتقال ل(أوما) ومشاركتنا احتفال النصر..

- يثق بنا نحن الاثنين ثقة عمياء.. لا يحب مغادرة بلده إلا لضرورة ويرى أننا سنستطيع معا إرساء قواعد حكم جديد ب(أوما)..

- وهل سنستطيع فعل هذا؟

قالت (نانشي) بغموض:

- ليس هذا ما تريده في النهاية..

أمال رأسه جانبا حيث كان مرجل حديدي ينفث دفقات من دخان بخور خلاب الرائحة، أخذ (نينكرسو) عدة أنفاس عميقة ملأ بها صدره وانتعشت لها روحه وصفا ذهنه، وسما بقلبه ليشعر بلذة لم يستطع الشبع منها بعد وهو يغمغم هامسا:

- يا له من سحر الذي تبعث به أدخنة أرض البشر هذه..

صححت له (نانشي) بسرعة:

- تعني أدخنة (أوما)..

قام بلكزها بكتفها ممازحا وهو يهتف:

- أيتها المتزمتة لا يوجد سوانا هنا.. بالإضافة لانتهاء الأمر وانتصارنا على خصمنا..

لم تجاريه المزاح وقالت تسأله بجدية:

- سأكرر السؤال الذي لم تجيبه.. هل أفلح الأمر وحققت مرادك؟

ألقى نظرة سريعة على قبضتيه المضمومتين قبل أن ينتابه سخط مفاجئ وهو يقول بيأس:

- ليس بعد..

قالت (نانشي) محاولة استفزازه:

- ربما لأنك بدأت تركن لهذا العالم وأحببته..

لم يشعر (نينكرسو) بمحاولتها لإثارة غضبه بل على النقيض جارى كلامها وعاد ليقحم منخريه بقلب غابة الدخان العطريّ ويأخذ عدة أنفاس متتالية ليعود جالسا مغمض العينين مغمغما وابتسامة واسعة تزين وجهه:

- ومن يودّ مغادرة عالم به كل هذه الممتعات الحسية.. أشعر وكأنني إله بهذا العالم بالفعل لا مجازا أكثر مما كنت أشعر به بعالمي..

ثم انتبه لخاطرة ملحة فسارع بالقول:

- هل سنجد بهذه المدينة أنواعا جديدة من الحيوانات والطيور والزواحف والحشرات؟

أطلقت (نانشي) ضحكة مجلجلة رغما عنها مع سؤاله الأخير قبل أن تهز رأسها بأسى مصطنع قائلة:

- لن تمل هذا العالم أبدا إن وقعت في غرام حيواناته.. يفوق عددها عدد البشر وتمتاز عنه في تنوعها..

قال (نينكرسو) حالما:

- تلك الخيول.. يا لروعتها وجمالها وقوتها أيضا التي يمكن تسخيرها في الحروب..

صمتت (نانشي) قليلا لما لاحظت جديته في وصف مشاعره العامرة فسارعت بالقول:

- هذا ما يعيق هدفك إذا.. لقد تعلقت بهذا العالم بالفعل ولا تودّ مغادرته..

ثم اقتربت منه وأمسكت رأسه بيديها لتنظر في عينيه مباشرةً تسأله مؤنبةً:

- أنسيت ثأرك؟

أزاح (نينكرسو) يديها بشيء من الخشونة هو يزفر بضيق

متمتما:

- لقد أفسدتِ تأثير البخور الروحيّ يا مفسرة الأحلام..

ثم التفت نحوها قائلا بسخط:

- كيف أنسى وقد قضيت كل الفترة السابقة لشهور وأعوام أقوم بالتخطيط معك وأحارب بنفسي من أجل حرب لا تخصني في شيء..

- ربما لهذا لن تنجح مطلقا في تحقيق هدفك.. قم بإزاحة هذه الأفكار من عقلك.. أنت لا تساعد هؤلاء البشر من أجلك وإنما من أجلهم..

- ولكني أساعدهم بالفعل من أجل تحقيق هدفي لا أكثر..

- هكذا لن ينجح الأمر..

- ما الذي عليّ فعله إذًا؟

بدأت (نانشي) تسير حول كرسي العرش وهي تصفق ببطء وهي تطرق أرضا تفكر بعمق في كيفية حل هذه المعضلة، فلابد ل(نينكرسو) أن يكرّس جهوده من أجل البشر وليس من أجل تحقيق هدفه الشخصي، فكيف السبيل لتغيير طريقة تفكير هذا الفتى المدلل الذي لا ينتمي لهذا العالم؟

نظرت نحوه فجأة لتسأله:

- هل تتابع ما يحدث بهذه المنطقة من تغيرات جذرية؟ هل تعلم بحروب البشر بينهم وبين بعضهم البعض من أجل النفوذ والسيطرة؟

تردد لحظات قبل أن يقول:

- قصصتي لي عبر أحلامك عن عالمي.. لم تقصي عليّ أي أحلام تخص البشر..

قالت بسرعة:

- الأمر لا يحتاج لتفسير أحلام.. إنه تاريخ يحدث حاليا..

قام (نينكرسو) وقد فقد بالفعل ميله لشمّ عبق البخور الفواحة، وبدأ يتمشى متجها نحو إحدى نوافذ القصر العديدة الضخمة، تطلع ببصره عبر التجويف الذي يطلّ على العالم الخارجي لمدينة (أوما)، تشبعت حواسه بأصوات ومشاهد وروائح لم يختبرها بعالمه، سرح بخياله بعيدا وهو يسترسل:

- من المثير للمشاعر حقا معايشة حياتكم -حياة البشر- بعد رؤيتهم من علوّ.. لقد تطورتم حقا عن الفكرة الأولى البدائية التي كنت أظنكم ما زلتم عليها.. تلك الحالة البدائية التي يسودها الإذعان للآلهة بشكل كامل.. لقد بدأ بعض

من حكامكم في خرق هذا القانون العرفي وقاموا بتحقيق الإنجازات التي جعلتهم في مصاف الآلهة.. بدأ الناس يفكرون أنهم قد يبجلوا بشرا يمكنهم رؤيته ولمس أثره وليس بالضرورة إلها خفيا.. استغل رجال الدين هذه النقطة كونهم نقطة الاتصال مع الآلهة ليقبضوا على الحكم.. وازاهم طمعا رجال الجيش الذي جاهدوا لصبغ شخصياتهم بصيغة رجل الدين ليصير الكاهن الأعلى هو قائد الجيش والحاكم في آن واحد.. يتصارعون على الحكم فيما بينهم سلميا وعسكريا في نفس الوقت..

أضافت (نانشي):

- لا تنسَ تقدمنا العلمي والطبي والفلكي والهندسي.. نسير بخطى سريعة للأمام رغم تخلفنا عنكم..

ثم قالت له:

- أفكر في إمكانية تحقيقك لهدفك بطريقة مراوغة.. طريقة ليست شريفة ولكنها مضمونة النتيجة..

نظر لها (نينكرسو) متسائلا بلهفة فقالت:

- رأيت ملكا عظيما يتجهز تاريخ البشر بشوق لكتابة سطور حياته وإنجازاته..

برقت عينا (نينكرسو) بظفر قائلا:

- هل سيكون من سلالة الآشوريين المسيطرين على الرافدين حاليا؟

- سيكون ملكا بابلي كلداني.. آخر سلالة حكم بابلي لهذه المنطقة..

تطلّع نحوها بدهشة متسائلا:

- ولكن كيف سيكون الملك العظيم بابليا؟ دولة (آشور) تسيطر على البلاد بالدم والحديد..

- الأمير الحالي لمدينة (بابل) الكلداني (نبوبولاسر) تراوده الأحلام والأطماع في إعادة هيبة الحكم البابلي الذي اغتصبه الآشوريون قسرا.. سيستغل انقسامات (آشور) الداخلية التي ستحدث قريبا جدا ليتحالف مع ملك مملكة (ميديا) الواقعة شرق الرافدين، ليشتبك تحالفهما ضد الآشوريين في حروب طاحنة بالفعل تنتهي بسيطرة الميديين على شمال الرافدين والبابليين على جنوبها.. هنا أستطيع أن أراه بوضوح في أحلامي، قائد جيوش البابليين الذي سيتولى أمر مطاردة فلول الآشوريين، ابن الملك (نبوبولاسر) والملقب ب(نبوخذ نصر) الثاني والذي سيستطيع بجيوشه القضاء على آخر معاقل (آشور) بمدينة

(حران) ويسقط الدولة الآشورية من التاريخ تماما..

صمت (نينكرسو) مأخوذا، فما زال رغم كل شيء ينبهر بقدرة (نانشي) على سرد أحلامها المستقبلية والتي ليست إلا رؤى واقعية.. وكأنه يسمع قصة تاريخ المستقبل وهو شيء يربكه بشدة ولا يستسيغه بشكل تام حتى الآن رغم معاشرته للمفسرة (نانشي) لسنين..

كانت تكمل وقد انتابها حماس:

- سيتوغل غربا ويستولي على جميع مقاطعات (آشور) السابقة، سيصطدم بالفرعون المصري (نخو)، والذي كان حليفا مخلصا ل(آشور) وقام بتحريك جيوشه من أقصى الغرب ب(مصر) القديمة ليعبر المسافات الشاسعة شرقا حتى الرافدين.. سينكسر الجيش المصري ويتراجع حتى حدود بلاده..

صمتت (نانشي) ليختفي حماسها بغتةً وقد بدت مقطبة تحدق لما خلف دخان بخور المرجل بشرود استحال فزعا، اقترب منها (نينكرسو) ببطء محيطا كتفيها بذراعيه، نظرت إليه وكأنها تراه للمرة الأولى ثم دفعته برفق لتبعد عنه وهي تسير مبتعدة عنه تقول كالحالمة:

- لمّا امتد الحلم ليدخل حدود (مصر).. رأيت نهرا عظيما

وأهرامات شامخة.. رأيت معابد وكهنة وسحرة و.. ورأيت آلهة!

انتفض (نينكرسو) مصعوقا مرددا بذهول:

- آلهة؟!

أكملت (نانشي) بنظرات زائغة:

- آلهة تتنزّل من السماء.. متخفية لا تستطيع الأعين أن تراها ولكنها ترى البشر.. كانت تهبط على مناكب الملوك والسحرة وكبار الكهنة والمهندسين ورجال السياسة وتقوم بلتقينهم أمورا غيبية.. علوم.. أسرار.. خطط.. وأحيانا شذرات مستقبلية..

زم (نينكرسو) شفتيه بقوة هامسا:

- هذا مفاجئ.. هذا يغير كل شيء.. هناك آلهة ب(مصر) كما ب(بابل)..

هزت (نانشي) رأسها كمن يستيقظ من غفوة لتُكمِل بطريقة آلية، كما لو كانت قد نست ما قد قالته منذ قليل لتستكمل الجزء السابق له بخصوص (نبوخذ نصر) الثاني:

- سيكون ملكا عظيما.. سيشيد أجمل معمار شهده تاريخ (بابل).. أرى مدرجات من حدائق غنّاء ترتقي فوق أعمدة

من رخام تفوح بفواكه الصيف والشتاء معا في آن واحد.. أراه يبني قصرا بكل ولاية يأسرها ويقضي فيه بعض الوقت بصورة دورية.. يتنقل من ولاية لأخرى مقيما بقصوره المتناثرة.. بكل قصر كوكبة متكاملة من خدم وحشم للإدارة وللتسلية وإدامة القصر، وبالطبع لن يعرف المحليون إن كان متواجدا بقصره أم لا، ولكن يكفي وجود القصر بكامل عمّاله وخدماته شاهدا لعظمة الملك وسطوته.. أرى تماثيله ترتقي لتنتصب بجميع بلدان (بابل) تناطح تماثيل الآلهة العظيمة..

اضطرب (نينكرسو) وقد تنازعت بداخله فكرة آلهة (مصر) مع فكرة الملك القادم، ولكنه لما لاحظ صمت (نانشي) التام وعدم ذكرها لمسألة آلهة (مصر) أو حتى التلميح لها أيقن أنه نوع من تفسير الأحلام الذي يحدث بلا وعي، فلا تتذكر بعده ما قالته من كلمات، لذا تجاهل (مصر) بآلهتها وتطرّق للملك المستقبلي متسائلا:

- إذًا لننتظر حتى يتم تنصيبه ملكا ثم نتقرب منه.. نحتاج لملاصقته شخصيا لحين مماته..

قالت (نانشي) معارضة إياه:

- ولماذا الانتظار؟ لنبدأ نزرع وجودنا بقصر (بابل) منذ الآن، فيصير وجودنا حين بلوغه سدة الملك مدعوما بتاريخ غني وليس مجرد شخصين تواجدا فجأة بالقصر مع تنصيبه ملكا..

أمّن (نينكرسو) على فكرتها هازا رأسه لأعلى وأسفل، ثم قال بعمق:

- ومن يدري.. لربما نجحت في تحقيق هدفي قبل لقاء هذا الملك العظيم..

١٨- طاعون إيريدو

(أور) السماوية..

قرفص سيد الأشكال (ميرميكال) بقلب المعبد، بعد أن شدد على الحراس عدم السماح لأي مخلوق بالدخول عليه مهما كان السبب، اتخذ هيئته الأصلية الأشبه بقرد منتصب الظهر، رفع سبابتيه للأعلى وقد ارتقى جسده قليلا فوق الأرض الرملية، تكوّنت على الفور عدة نقاط مضيئة حوله، تحركت لتلتحم ببعضها البعض لتتشكل دائرة براقة أحاطت بجسده، فرقع بأصابعه فانبثقت من الفراغ سبعة كيانات مجنحة صغيرة كان الواحد منها بحجم قبضة اليد، تحركت لتحيط بالدائرة من جميع الاتجاهات، ثم ضم قبضتيه بقوة وهمس بعض همسات ليتجسد بمنتصف الدائرة كيان مصغَّر عديم الوجه والأطراف مسربل بالسواد الذي يتطاير الدخان من أطرافه، حاملا منجلا ضخما بيمينه، تجسيدا نموذجيا حيا للسيد (نيرجال) شريك الملكة (إرشكجال) في حكم العالم السفلي ورسولها في إرسال أوبئة العالم السماوي العلوي، قام بترتيل التراتيل المبهمة لينفصل الرداء الأسود عن مجسد (نيرجال) ويتضخم ليحيط بالدائرة كلها والسبع كيانات المجنحة بأسفله ويخفيها تماما، ثم قام بقذف أغصان شجرة طرفاء نحيلة وقلب شجرة نخيل قد أعدهم سابقا

لتغطي الرداء من الأعلى.. ثم نظر للسماء واكتسى وجهه بشحوب مخيف وهو يتمتم بصوت رخيم:

أيها النهر.. يا مبدع الأشياء كلها

يا من حفر مجراك الآلهة الكبار

حفُّوا ضفافك بكل ما هو حسن وطيّب

وفيك أقام إله الأعماق (إنكي) مسكنه

ووهبك فيضان الماء الذي لا يقاوَم

يا من كنت بردًا وسلاما للشاربين

ليهبك السيد (نيرجال) غضبا ناريا مروِّعًا

انزع ما بجسده من طاعون وارمِ به لضفافك

دعه يغور بأعماقك وينتقل للشاربين

أنهى (ميرميكال) تعويذته شاعرًا بطاقة رهيبة تنطلق من مجسّد (نيرجال) عبر جسده ثم تنطلق نحو هدفها وهو منابع قنوات (الفرات) التي تغذي مدينة (إريدو).. زفر بارتياح مع بدء سريان التعويذة المسممة لمياه (إريدو) فرفع يديه نافضا إياهم لتختفي الدائرة السحرية وجميع الكيانات المصغرة بعد أن انتفى سبب وجودها جميعا.. ثم عاد جسده

ينخفض ليعاود الاستقرار أرضا بعد أن أنهى مهمته القصيرة بنجاح وقام بإلقاء التعويذة التي ستفني جميع من سيشرب من ماء (الفرات) المغذي لمدينة (إريدو)، أي عمليا جميع قاطني (إريدو)، في انتقام سريع من إصلاحات (إنكي) الأخيرة والتي استجلبت المهاجرين من جميع أنحاء العالم السماوي، في عملية منع مسبقة لمزيد من الازدهار لهذه المدينة العريقة، ودحر مخططات (إنكي) من قبل ازدهار (إريدو) وسيطرتها على العالم السماوي عامةً وعلى مدينتي (أور) و(لارسا) ثانيا.. وابتسم بوحشية لما تذكّر بساطة وبراعة خطته والتي اعتمدت بشكل رئيسي على قوة (إنكي) وتوسّعه في تفجير الماء بمدينته، ليستغلها في توصيل الوباء لجميع أنحاء مدينته وإفناء أهلها عن آخرهم.. وهكذا وبسبب قدرات (إنكي) وارتفاع سقف طموحه صار القضاء على مدينته أكثر سهولة.. وجاهد (ميرميكال) ليحاول استنتاج كيف سيبدو وجه (إنكي) حينما يسري طاعون الماء سريان النار بالهشيم بين أهل (إريدو)، لن يكون وجها يحب أي سماوي أن يراه حينئذ بكل تأكيد..

لابد وأنه سيعلم أنه خلف هذا المخطط الدموي ولكن ما الذي سيضيره؟ لديه السيد (سين) ومن خلفه السيد (شمش)، لديه جيوش (أور) و(لارسا)، ولديه خدعه السحرية التي لا تنضب جعبتها، لذا قام بالبدء بخطوته

مستبقا ما قد يقوم بفعله (إنكي) بعد اجتماع الكهنة الفارين معه بالقريب، لم ينتظر رد فعل (إنكي) وأجبره على القيام بدور المدافع، وهو ما سيقلل الخسائر لأقصى حد ويجعل لكفته الغلبة على (إنكي).. هذا إن كان (إنكي) طائشا بما يكفي ليهاجم (أور) منتقما..

استدعى كرته السحرية ليقوم بعمل تواصل مع (شمش)..

طلب منه (شمش) الانتظار قليلا لينهي شأنا مهما.. غاب لدقائق قبل أن يعود بوجه متجهم استشف منه (ميرميكال) خطورة الوضع الراهن..

سأل (ميرميكال):

- تمر بأمور عصيبة سيدي؟

قال (شمش) بانفعال:

- نعد حربا مضادة على تحالف السيدين (آشور) و(أداد)..

قال (ميرميكال) بقلق:

- لن يكون الأمر سهلا.. ستحتاج السيد (سين) معك في هذه الحرب.. ولا أبالغ إن اعترفت إنك ستحتاج لوجودي معك أيضا..

سأله (شمش) مفكرا:

- وهل يمكن ل(أور) أن تتحمل غيابكما معًا؟

استرجع (ميرميكال) بذاكرته الأحداث الراهنة، شعر بالتوتر مع إدراكه أن التعويذة قد تم تفعيلها بالفعل ولا يمكن عكسها، وأن استفزاز (إنكي) قد صار قاب قوسين أو أدنى، والذي يعتمد في الرد عليه على وجود (سين) وربما (شمش) أيضا إن استدعى الأمر، فها هو (شمش) يباغته بأمر حرب (لارسا) الوشيكة ضد تحالف رهيب قد يحتاج لردعه وجود (سين) أيضا.. يا لها من فوضى!

صاح به (شمش) بعصبية:

- لماذا تبدو ساهما هكذا؟

قام (ميرميكال) بشرح ما فعله بهدوء يشوبه قلق، انفجر (شمش) غاضبا من فعله وهتف ساخطا:

- ألم تفكر في استشارتي أولا أيها الساحر قبل الزجّ بمدينتينا في حرب ضد سيد الماء؟

رد (ميرميكال) مدافعا بتخاذل:

- كانت الحرب عاجلا أم آجلا ستنشب بيننا وبينه..

- ليس الآن.. التوقيت أيها الساحر الجاهل.. لقد أصبحنا نخوض غمار حربين متزامنين ضد خصمين يحتاج كل منهما

تضافر كل جهودنا من أجل دحره..

قال (ميرميكال) بتلعثم:

- لا يمكن التخلي عن حربنا المقبلة ضد السيد (إنكي)..

تضاعفت ثورة (شمش) وهو يصيح:

- لا يوجد حرب سوى حربنا ضد (أداد) و(آشور).. أو بالأحرى ضد (أداد) مدعي العدالة والمثالية والذي أفنى مدينتي الثانية بلمح البصر وبمنتهى الوحشية والبرود والجحود.. لقد بدأ زحف جيوشنا نحو الشمال بالفعل بقيادة (بونيني)، وأنا سأغادر (لارسا) الآن لألحق بهم وأبعث فيهم الحماسة..

ثم اقترب بوجهه لتبرز أطراف شعره المجدول خارج الكرة السحرية فيضطر (ميرميكال) للتراجع بفزع مع إضافة (شمش):

- وسآخذ معي (سين) أيها الساحر.. نجاحنا في هذه الحرب يعتمد على وجوده بجانبي ضد سيدين من أقوى أسياد العالم السماوي.. لذا تدبر أنت أمرك وواجه نتاج تصرفاتك الفردية غير المدروسة..

ثم أضاف بسخرية متراجعا برأسه:

- ولا أظن (سين) يأبه لأمر (أور)، سيفضّل الدخول بالحرب من أجل سفك الدماء رغبةً في تمجيد اسمه بكلا العالمين..

ثم انصرف بدون أن ينتظر الرد من الساحر (ميرميكال) الذي امتقع وجهه ليصير أكثر بشاعة بكثير من شكله الأصلي وهو يردد بذعر:

- ما الذي فعلته بنفسي وب(أور)؟!

في نفس اللحظة كان (إنكي) جالسا بقصره يقوم ببعض التعديلات الداخلية بالماء، يصنع المزيد من التماثيل المائية التي تضج بالحياة بسحره ثم يقوم بتوزيعها بجنبات القصر وغرفاته ومداخله.. حين شعر بأن شيئا ليس على ما يرام.. انتبهت غريزته بأن هناك شيئا كريها يتغلغل بالمدينة.. شيئا قاتلا يفوح برائحة موت ودمار.. سارع بالتحرك بسرعة البرق ليحلق فوق القصر ويلقي نظرة ثاقبة شاملة على المدينة.. ثم أغمض عينيه ليتحد بالماء.. صار على صلة بكل قطرة ماء تسري بالمدينة، أجرى اتصالا مع ملايين القطرات الدافقة فوق وتحت الأرض.. استطاع رؤية الوباء الكريه، الطاعون القاتل تمثّل كبقعة سوداء لطّخت نقاء الماء المندفع داخل المدينة وبدأت تنتشر بسرعة مخيفة بين الجداول والقنوات المتفرعة.. استطاع اكتشاف أن الوباء يشمل الماء القادم من جهة (الفرات) فقط.. هذا ليس وباءً عالميا إذًا، إنها خطة

مدبرة للدفع بأهل (إريدو) للانقراض.. نخر وهو يقول لنفسه بسخرية:

- من الغبي الذي تفتق ذهنه عن فكرة بثّ الوباء عبر الماء؟ عبر خلايا جسدي؟

دار جسده حول نفسه ليتحول لكتلة من ماء ثائر كالدوامة، ثم انفصلت عنه آلاف آلاف من كتل الماء الواعية والتي استهدفت كلها كتلة الوباء السوداء وما انفصل عنها من روافد قاتلة.. كان اندفاع ماء (الفرات) سريعا وطال بالفعل عددا من أهل (إريدو)، ورغم سرعة كتل الماء الشافية المنفصلة عن كيان (إنكي) المائي ولكنها لم تنجح في القضاء على الوباء بشكل كامل.. برغم كل شيء كانت الفكرة فعّالة بالفعل، ولولا سرعة تنبه (إنكي) وتصرفه لَفَنَى أهل (إريدو) خلال دقائق معدودة، ربما لو تم بث سحر هذا الطاعون عبر أية وسيلة أخرى غير الماء لانتهى أمر (إريدو) بالفعل، لذا كان خيار الماء ممتازا لسوء حظ مدبر الأمر..

لقى عدد محدود من أهل (إريدو) نحبهم بعد شربهم للماء الملوث بلحظات، انفجرت أحشاؤهم الداخلية وعيونهم وطبلات آذانهم في مشهد مقزز، ولكن لم يكن عدد الخسائر بشكل عام مؤثرا، فقط عانى عدد بسيط من الأهالي من جراء هذه الوفيات البشعة، وسارع (إنكي) بتحديد أماكنهم

بيتا بيتا ليبدأ بالمرور عليهم ومواساتهم وطمأنتهم بأن الانتقام جارٍ الإعداد له بأقصى سرعة.. ولكنه اتجه في البداية نحو الكاهن الأكبر، انتفض الأخير مع مرآه ل(إنكي) قادما مسرعا وعلامات الغضب بادية على وجهه، وقام كهنة (أور) المجتمعين معه بالتراجع بذعر مع ملاحظتهم لتعبير وجه (إنكي) المخيف، توقف (إنكي) أمام الكهنة ليخاطب كبيرهم سائلا:

- هل يستطيع هذا الساحر الذي استبدل كاهنكم الأعلى بصنع وباء وإرساله عبر الماء؟

تردد كبيرهم وهلة من المفاجأة ولكنه سرعان ما استعاد جأشه مع شعوره بأهمية الأمر وأجاب بكلمات بدأت مرتجفة قبل أن تصير مفهومة:

- سيدي (إنكي).. لا نعلم الكثير عن هذا الساحر.. ولكن سحر الأوبئة لا يمكن تفعليه بسهولة.. يحتاج لساحر قوي البأس وشديد الخبرة ومتمرس في سحره حتى يرضى ملوك العالم السفلي بالموافقة على إرسال أوبئة للعالم السماوي من أجله.. بمعنى آخر لابد وأن يمتلك شيئا ثمينا يجعله في موقف قوي لمقايضة امتلاكه لهذه الأوبئة مع ملوك الجحيم..

سأله (إنكي) بنفاد صبر:

- أريد جوابا محددا لا شرحا مطولا.. هل بإمكان هذا الساحر فعلها؟

تبادل كاهن (أور) النظر مع كاهن (إريدو) الأكبر للحظات قبل أن يومئ كاهن (إريدو) برأسه بأسف واضح، فأجاب كاهن (أور) مطرقا بنظراته أرضا متجنبا نظرات (إنكي) الثاقبة:

- بإمكانه فعلها.. لديه الدافع وأعتقد أنه يملك المعرفة..

غمغم (إنكي) باقتضاب ونبرة باردة كالثلج:

- يكفيني هذا!!

ثم توجّه نحو كاهن (إريدو) بالحديث قائلا آمرا:

- استدعِ جميع الجنود وليكونوا على أهبة الاستعداد.. لتتمركز قواتنا جميعا خارج البوابات المائية استعدادا لأي طارئ حتى عودتي..

سأله الكاهن الأكبر بقلق:

- وأين ستذهب يا سيدي؟

قال (إنكي) بنبرة جمدت الدماء في عروق جميع الكهنة:

- لقد أراد هذا الساحر المتشكّل معركة فناء.. إذًا لأحقق له

مراده.. سأذهب لأسحق (أور) وأقتله هو وسيده سيد القمر!

١٩- سيد بابل



مردوخ

(بابل) السماوية..

ارتقى (مردوخ) مرتفعا من قلب هيكله الواقع بقمة معبده، تلاه (النمرود) على الفور يتبعه كظله، كانت قدما (مردوخ) مستقرتين على القرص الأرجواني المحاط بنطاق الجماجم الرمادية والذي كان يرتفع للسماء حاملا سيده، بينما كان جناحاه اللذان اختلط بياضهما بسوادهما مطويين لمنبتهما بمنتصف ظهره، ارتفع جسدا السيد والساحر ليطفو كل منهما فوق مستوى الزقورة المركزية التي مثّلت أقصى مباني (بابل) ارتفاعا، والتي يجثم معبد (مردوخ) وهيكله بأقصى نقاطها ارتفاعا، ألقى (مردوخ) نظرة سريعة على مدينته التي لم يراها سماوي خارجها منذ سنين، بتصميمها الأشبه بمربع ضخم محاط بثلاثة أسوار متوازية، بين السور الخارجي والأوسط انتصبت مسافة واسعة كانت مستقرا لاستراحة القادمين من الخارج لأمور التفتيش، بالطبع انتفت الحاجة لهذه المنطقة بعد عزل (بابل) عن باقي المدن السماوية، علت الأسوار الثلاثة أبراج عديدة مدججة بالأسلحة والجنود، بينما اخترقت الأسوار الثلاثة بوابات كثيرة تخطى عددها المئة بوابة، كانت تمثل ممرا مقنطرا متصلا أسفل الأسوار الثلاثة، ثم تمتد لداخل المدينة ليزداد اتساعها رحابة وتصير إحدى الشوارع المستقيمة التي تنتهي بقلب المدينة، حيث تتراص أربع قلاع حصينة لتحيط بالزقورة المركزية الضخمة إحاطة السوار بالمعصم، ثم تمتد قنوات المياه بين القلاع

لتسري للخارج نحو الأسوار ممتدة في طريقها لتخترق البيوت المتراصة في تصميمات بديعة، والتي تزينت كلها -مثلها مثل الأسوار- بنقوش ملونة زاهية تخلب الألباب.. بينما انتصب بشمال الزقورة وقلاعها قصر ضخم، اعتلى مدرجات مغطاة بالخضرة تنساب جداول الماء كالشلالات من بينها، لتصب بالأسفل بمجرى مائي عريض يفضي لجميع قنوات المدينة، كان مصدر الماء خزان ضخم من الماء أعلى القصر كان يستمد ماءه من نهر (الفرات) بواسطة مضخة ضخمة لا تكف عن سحب الماء من الأسفل للأعلى بقوة جبارة، ليمتلئ الخزان ثم يقوم بصب الماء عبر مدرجات هذه الحدائق المعلقة التي تغص بالثمار والفواكه المدلاة، ثم ينسكب الماء الفائض متجها للأسفل ليتجمع بالمجرى المائي العريض الذي يقوم بتوزيع الماء لكل أرجاء المدينة بواسطة شبكة عنكبوتية مذهلة تنم عن براعة مهندسي المدينة، فكانت جداول الماء تحيط بالبيوت الملونة وتغذي البساتين المتاخمة لها.. بينما مثّل نهر (الفرات) نفسه عائقا طبيعيا جهة الغرب خارج الأسوار، وتناثرت بعض البيوت الصغيرة بلا اتساق معين على ضفته الغربية خارج حدود المدينة الفعلية وأسوارها الحامية..

قال (مردوخ) بوجه جامد:

- لا أصدق أن هناك أحدا من الأسياد سبقنا وامتلك بالفعل هالات إلهية..

قال (النمرود) مهوّنًا:

- لا تقلق يا سيدي.. سنملك ما اقتنصته سيدة (الوركاء) من محاربين..

سأله بنفاد صبر:

- ما زالت صامدة؟

- أصدقك القول.. هذه السيدة ذكية..

سأله (مردوخ) باهتمام:

- كم عدد ما تملكه من هالات إلهية؟

- زوج من الهالات..

- هذا قليل..

- وجود الهالات نادر بشكل عام، ولا أستبعد أن تكون هذه الهالات الثلاثة هي كل ما أنتجته أرض البشر حتى الآن..

- لا أعتقد هذا..

صمت (النمرود) قليلا قبل أن يقول بتسليم:

- حتى وإن افترضنا هذا فلا أعتقد أن هناك من نجح في صيدها.. لابد وأنها انفصلت وتلاشت في الفراغ..

- ولا يوجد سبيل للبحث عن هذه الهالات الضائعة إن وجدت؟

- تختفي تماما من الوجود إن لم يتم الإمساك بها في حينها..

رفع (مردوخ) قبضتيه لتبرز الشرارات الفضية تتلاعب بأطراف أصابعه والناجمة عن هالة (حمورابي) الإلهية، ثم عاد لينزلهما وهو يسأل (النمرود):

- هل من هالات أخرى في طريقها للتكوّن؟

- أجزم أن هناك هالة قادمة خلال المئة سنة القادمة بأرض البشر..

- إذًا فليس علينا العبث باستقرار تاريخهم لحين خروج هذه الهالة..

تردد (النمرود) قبل أن يقول:

- أعتقد أننا لن نعبث بتاريخهم مطلقا..

نظر له (مردوخ) بعينين ناريتين فسارع (النمرود) بالتوضيح:

- تقنيا فكلا العالمين لا يشغلان نفس التردد الأثيري..

بدا (مردوخ) مستاءً وهو يقول:

- لا أحب التلاعب بالألفاظ.. جباروا شعب (أطلانتس) يعيشون بأرض البشر بالفعل.. ليس الأمر مشابها لوضع شعبنا السماوي مع جاره المصري السماوي الذي ظهر لنا مؤخرا..

لم يعقب (النمرود).. كان يملك معرفة كل الأزمنة والأمكنة بفعل قوة سحره.. يعرف كل ما كان وكل ما يحدث.. استعادت ذاكرته كيف كان يظن نفسه ساحرا عاديا من ضمن سحرة (بابل) العديدين لولا ما حدث.. نبت فجأة السيد (مردوخ) كطفرة بين الأسياد بمدينة (بابل)، سيد يملك قدرات لم يستطع أي من أقرانه فهمها وتصنيفها منذ أن كان طفلا.. استطاع بعقله المتطوّر استيعاب تفرده مبكرا وإخفائه عن الجميع، كان يعلم أنهم سيخشونه ويتجنبونه وسرعان ما سيذيع أمره بين جميع الأسياد ويتم فضح طفرته التي أراد كونها السرية.. استطاع الترعرع كأحد الأسياد التي لا تلفت النظر، محاولا الانتظار بمنتهى الصبر لحين اللحظة المناسبة التي يقوم فيها بالإعلان عن نفسه ووجوده وتفرده.. لم يخامره شك أنه أقوى أسياد العالم السماوي وأنه وحده الأحق بحكمه، ولكن تعدى طموحه كل حدود العالم السماوي.. أراد غزو عوالم أخرى أقوى وفرض قوته

وسيطرته على جميع الكائنات.. أيقن أنه لتنفيذ خطته لابد له من سلاح المعرفة المطلقة، لهذا كان هدف حياته الأول هو العثور على من يصلح كمصدر للمعرفة فيجعله حليفا له في استكشاف كل العوالم المحيطة قبل التحضير لغزوها جميعا، لم يرَ في العالم السماوي ندا له وأراد المزيد مما يتناسب مع قدراته..

كان لقاؤهما قدريا ولكنه قدرهما.. رأى (مردوخ) فيه ساحرا يصلح حليفا له، تواصل معه سرا وأخبره بحقيقته وبكل أطماعه.. تفجرت بداخل (النمرود) طموحات خفية لم يكن يعلم بامتلاكه لمثلها.. سافر وتنقّل بين مدن العالم السماوي ليجمع كل ما قد يحتاجه من علم وسحر.. جاب أرض البشر باحثا عن أية ذرة من علم قد ترفع من ما يملكه من معرفة.. لم يتورع عن السرقة والقتل حتى من أجل اكتساب ما يريده، يؤيده (مردوخ) بمنتهى الوحشية من أجل هدفه الأسمى والنهائي.. كان أعظم ما نجح في إنجازه هو إخفاء كهنة النار بالأرض شرق بلاد الرافدين حتى حين، ويظن الآن أن هذا الحين قد اقترب..

اكتملت خطة السيد الطافر كما كان يحلم بها.. وهنا أمر (النمرود) بعمل حاجز سحري يمنع تطفل المتطفلين، ثم تم تسريب سحر السماء للأرض من أجل تحطيم حواجز الدهر،

والتي بانهيارها صار الوصول لباقي العوالم ممكنا.. لم يكن (مردوخ) يفكر في أرض البشر على الإطلاق، كان يحلم بعوالم أكثر قوة وتطورا تناسب أطماعه الاستعمارية التي بلا حدود..

أخبره (النمرود) عن فصيل كامل يقطن أرض البشر يدعى (أطلانتس)، يملكون تقدما علميا يفوق حتى تقدم السماويين، كلا العوالم الثلاث تقع بنفس الحيز الأثيري، السماوي والأرضي و(أطلانتس)، ولكن لكلٍّ منهم تردد وذبذبة مكانية تجعل بعضهم يستطيع رؤية الآخر من موقعه ذي الأفضلية.. فالسماويون يستطيعون رؤية البشر من حيث لا يرونهم.. ولكن يستطيع الأطلانتيون رؤية السماويين من حيث لا يرونهم بدورهم.. يمثل الأطلانتيون قمة التطور في حين يقبع البشر بقاعه، ويتأرجح العالم السماوي بينهما يحمل مستوى متوسطا من التقدم.. وكأن عالمي (بابل) و(مصر) السماويين يماثلا عالمي البشر والأطلانتيين الأرضيين ولكن مع بعض الفروق البسيطة، (بابل) و(مصر) السماويين متصلان مكانيا ولكنهما لم يتقابلا من قبل قطّ، يمكن التحرك من (بابل) ل(مصر) السماوية بسهولة كمن يسافر من قارة لأخرى بالأرض، بشرط فقط معرفة الاتجاه الصحيح، هذا بالطبع صار ممكنا بعد انهيار حواجز الدهر الفاصلة بينهما من قبل، والتي تفصلهما عن باقي العوالم

السماوية الأخرى المجهولة حتى الآن.. بينما أرض البشر وأرض أطلانتس متطابقان ويعيشان بنفس المنطقة الأثيرية ولكن باختلاف التردد المكاني، في حين تقع (بابل) و(مصر) بمنطقتين مختلفتين مكانيا عن بعضهما البعض، وعن أرض البشر والأطلانتيين أيضا.. وهذا يعني باختصار أنه لا يمكن مهاجمة البشر والأطلانتيين في نفس اللحظة، يجب تحديد الاتجاه أثناء الانتقال من العالم السماوي هل سيكون لأرض البشر أم لأرض الأطلانتيين، إذ لا يمكن الاتجاه للمكانين في آنٍ واحد.. الأمر مربك قليلا ولكن يمكن استيعابه بقليل من الخيال وكثير من الأطماع الاستعمارية..

فهم (مردوخ) من (النمرود) أن العالم السماوي هو أضخم العوالم الثلاثة وأكثرهم اتساعا وتنوعا، هناك عدة فصائل سماوية تتواجد كنقاط متفرقة متناثرة تفصلها عن بعضها البعض حواجز الدهر، والتي صار التواصل فيما بينها ممكنا بعد انهيار هذه الحواجز، ما زال أمر سكان هذه العوالم غامضا ولكن عرف (النمرود) عن فصيل واحد فقط سماوي، إنهم الفراعنة والذين قاموا بدورهم بإلهام شعب نهر النيل البشري ببناء حضارتهم فقط كما فعل سماويوا (سومر) مع شعب الرافدين.. عرف بشأنهم فقط لكونهم استطاعوا الاتصال بشعب (أطلانتس) وصاروا حلفاءً سلميين لهم.. وهذه نقطة ضعف كلا الفصيلين الفراعنة والأطلنتيين..

اتفق (مردوخ) و(النمرود) بالبدء باستكشاف (أطلانتس) كون وجودها يوازي وجود أرض البشر لتشابه تردداتهما المكانية، مما سيسهل ولوجها من العالم السماوي، بينما سيكون استكشاف عالم الفراعنة السماوي أكثر صعوبة وغموضا كونه عالما جديدا عذريا لم يتم طرقه من قبل قطّ رغم وقوعه الفعلي بنفس عالم (بابل) السماوي، لجهل سحرة سماوي (بابل) بأسراره مهما بلغت براعتهم وحاولوا سبر أغوارهم.. وهكذا كان (النمرود) ينسلّ بين العالمين - السماوي البابلي والأطلانتي- خفيةً بقوة سحره ليعود لسيده (مردوخ) بأخبار عالم (أطلانتس).. أخبره عن الملك (أورانوس) وزوجته (جايا) وأولادهم المحاربين الثلاثة (ساترن) و(أطلس) و(تيتانيا).. لديهم نظام حكم وراثي أشبه بالعائلة ويحكمون شعبهم الهجين ما بين ذوات قدمين وذوات زعانف مائية -بالعاطفة والحب وغيرها من المشاعر السخيفة.. لا يسكنون بالأرض كلها وإنما يتقاسمون جزءا بريا وجزءا مائيا بحسب طبيعة الأطلانتيّ الذي كان إما بري أو برمائي.. لا يحاولون التجسد للبشر ولا يتدخلون بمصيرهم كقانون ثابت لا يجوز خرقه مطلقا.. شعب مسالم متقدم علميا يسير على قواعد الشرف والأمانة وغيرها من التوافه، فكّر (مردوخ) بأنه سيكون هدفا سهلا يستطيع اجتياحه بسهولة.. ومنه يبدأ رحلات غزوه لباقي العوالم

السماوية بعد اكتسابه ما يكفي من علم (أطلانتس)..

سأل (مردوخ) (النمرود):

- هل ثار (آشور) لاغتيال ابنه؟

أجابه (النمرود) بلهجة ساخرة:

- كان اغتياله أسهل من ذبح رضيع.. وتحقق الهدف بمقتله وثار أبوه على باقي المدن السماوية بعد أن تحقق له دافع يغازل رغبة مكتومة بداخله بأحقيته في حكم العالم السماوي وإحساسه برفعته عن باقي الأسياد..

- يختلف عنهم بالفعل في القوة..

أضاف (النمرود) مؤمنا على كلام سيده:

- كما أنه باتحاد (أداد) معه سيصير الوضع كارثيا بالعالم السماوي..

ابتسم (مردوخ) بقسوة قائلا:

- وهذا هو هدفنا الرئيسي.. شغل الأسياد بحروبهم مع بعضهم البعض وإنهاك مواردهم وتقليل عددهم بقتل بعضهم بعضا.. وهكذا يتم تصفيتهم ويصير البقاء للأفضل.. حينها سأقوم بتجنيد هؤلاء الأفضل -طوعًا أو كرها- لينضموا إليّ في حربي المقبلة ضد باقي العوالم، الحرب التي ستبدأ ضد

(أطلانتس)..

ثم التفت نحو (النمرود) قائلا:

- وبينما نتسلى بمراقبة الأسياد يدمرون بعضهم البعض عليك أن تستغل كامل وقتك لانتزاع هالات سيدة (الوركاء) من بين يديها الناعمتين.. إنها لا تعلم مدى قوتها ولا تستطيع إتقان استخدامها كما يجب بأفضل السبل.. هذه الهالات ستكون نقطة قوة لنا في حربنا لإخضاع جميع كائنات الكون..

قال له (النمرود) مطمئنا:

- لا تقلق سيدي.. أقوم بعمل تجارب سحرية مستمرة للتوصل لكيفية انتزاعها منها بالقوة، كما أبحث عن أخيها آخر سلالة أسياد الصواعق الفارّ لأرض البشر ليكون ورقة ضغط أخيرة وناجعة..

بدا (مردوخ) وكأنه يبصق قائلا:

- يفرّ لأرض البشر ليتخفى هناك؟ يا إلهي يا (أنو) أيّ حفيد بائس مكلل بالعار قد جلبت لعالمنا السماوي!

٢٠ - معركة المطر والأسهم

(الجزء الأول)

(كيش)..

مع اقترابه من الأسوار ممتطيا متن تنينه (موشوسو) لاحظ (نينازو) استعدادت الحرب التي كانت تجري على قدم وثاق حول المدينة وخارج أسوارها، لاحظ امتلاء الأسوار عن آخرها بالجنود المدججين بالسلاح، كما لاحظ تمركز عدد منهم حول قاذفات الأسهم المرتكزة فوق الأسوار مع تضاعف كميات الكنانات حول كل قاذفة.. في حين تم كشف الغطاء عن راجمات الحجارة المركزية بشكل كامل وبدت مهيئة للعمل في أية لحظة.. وتراص عدد من الجنود في صفوف أرضية أمام الأسوار بعد خندق السائل الأسود، تركّز أغلبهم بجهة الشمال وتناثر عدد بسيط منهم جهتي الشمال الشرقي والشمال الغربي، كان أول ما جال بذهن (نينازو) أن هجوما آتيا من جهة الشمال يتم الإعداد له ولكن، لا توجد مدن ذات أسياد معادية جهة الشمال بشكل عام، حتى (سيبار) مدينة (شمش) الثانية لم تكن سوى مدينة دينية لا أكثر تستقطب محبي سيد (لارسا) فقط.. بينما لا تحتوي باقي المدن الشمالية كـ(كوثا) و(أكشاك) و(خفاجة) و(رابيقوم)

و(أشنونة) على أيّ من الأسياد، فقط عامة من السماويين يقومون بتسيير الأمور بطريقة بسيطة، لا يعادون أحدا ولا تحتوي مدنهم على جندي واحد، فقط مزارعون وصيادي سمك مسالمين يعيشون حياتهم لا يبالون بمعرفة أي من الأخبار السياسية التي تخص باقي المدن السماوية.. تذكّر رغما عنه (أشنونة) مسقط رأسه والتي تمكّن بسطاؤها من التقاطه رضيعا والاهتمام به وتنئشته حتى شبّ جبارا، قبل أن ينتقل ل(كيش) التي ناسبت طموحاته التي لا حدود لها والتي لا يمكن لبلدة بسيطة مسالمة مثل (أشنونة) أن تحققها له.. انتزع نفسه من ذكرياته وهو يعلو الأسوار فيلوّح له جميع الجنود بحماسة، مهللين فرحين لرؤية أعظم محاربي العالم السماوي في وجهة نظرهم، بينما كان (نينازو) يغض الطرف عنهم وقد دهمته أفكار سيئة بخصوص مصدر الخطر الوحيد المحتمل من جهة الشمال.. (أشور)..

(أنت على حق عزيزي (نينازو)!)

قالها (زابابا) وهو يتقلد سيفه ويضعه بغمده مواجها مخاوف (نينازو) بمجرد أن قابله عند باب المعبد، كان (نينازو) قد ترجل عن متن تنينه وتركه يحلق فوق المدينة معطيا جرعة من الأمان للجنود، مطلقا زعيقا هادرا بين الحين والآخر وكأنه يثبت وجوده حاميا لمدينة (كيش)،

بينما توقف (نينازو) عند باب المعبد لما رأى (زابابا) يخرج على عجل ليقابله..

أضاف (زابابا) بلهجة خطيرة:

- وهناك ما هو أسوأ..

نظر له (نينازو) بتساؤل فأكمل (زابابا) بإيجاز:

- لقد دمر (أشور) مدينة (أشنونة)!

اتسعت عينا (نينازو) بدهشة للحظة مرددا:

- (أشنونة) تدمرت؟!

استعاد للحظة وجوه جميع من أمدّ له يد العون صغيرا.. جميع الأماكن التي ترعرع بوسطها من معابد ومدارس وساحات ممارسة الرياضة.. التلال والأشجار والجداول والزروع والتي تم حفر ذكرياته بينها.. كل هذا فنى وتم محوه من خريطة العالم السماوي بيد (أشور)..

استعاد (نينازو) توازنه وإن أطلّ المقت واضحا من عينيه وفي نبرات صوته وهو يقول:

- إذًا فليمت سيد (أشور).. السيد (أشور)!

انبرى (زابابا) يقول:

- ليس الأمر بهذه البساطة..

ثم سارع بالتوضيح:

- لقد تحالف (أشور) مع السيد (أداد) المبعوث حيا من العالم السفلي ليصبح الخطر المضاعَف عظيما على مدينتنا وسيادتنا للعالم السماوي..

قال له (نينازو) باستهانة:

- لا تقلق سيد (زابابا).. سنجندلهما الاثنين ونجعل من تمردهما عظة لجميع السماويين..

نظر له (زابابا) شذرا ثم تجاهل تعليقه وقال باسترسال:

- لقد قمت بإعداد عدة خطط دفاعية مختلفة معتمدا على تخيلي لكل السيناريوهات المطروحة.. اعتمادنا على الدفاع يعطينا الأفضلية بشكل كبير لأن (كيش) محاطة بالمرتفعات من كل الجهات.. بالرغم من علوّ هذه الارتفاعات فإنه لن يمكن للعدو استخدامها كنقطة قوة لأن أبراج الدفاع المرتقية فوق الأسوار تفوقها ارتفاعا.. كنا نعدّ العدة لمثل هذا الموقف منذ سنين..

قال (نينازو) ساهما:

- نحتاج لكل ما نملكه من مخزون الحديد..

- تم بالفعل ولدينا كمية من الأسلحة الحديدية قادرة على فعل ما هو أكثر من كثير من إصابتهما بجروح جسدية موجعة..

صمت (نينازو) يفكّر محاولا كبح جماح غضبه وميوله للثأر مما حدث لقريته مسقط رأسه حتى لا تتأثر صحة قراراته، بينما قال (زابابا) محدثا نفسه:

- السيد (أشور) محارب متمرس لا أكثر لذا لا يقلقني شأنه.. من يقلقني حقا هو سيد العواصف والأمطار.. السيد (أداد).. لا نبلو جيدا في معاركنا ضد أسياد قوى الطبيعة.. قواهم كاسحة ويمكنها فعليا سحق مدنا كاملة في لمح البصر..

سأله (نينازو) مهتما:

- ما الذي ترمي إليه؟

أجاب (زابابا) مقدما المعضلة:

- يجب تحييد (أداد) قبل بدء المعركة الفعلية.. هجومه بكامل قواته وقدراته سيكون مستنزفا لنا لدرجة خطيرة قد تكلفنا الحرب كلها..

قال (نينازو):

- اترك أمره لي وأنا و(موشوسو)..

- هذه هي المشكلة الحقيقية.. المرتفعات التي تقينا أعداءنا هي ما يحجب عنا تحركاتهم حتى اللحظة الأخيرة..

قال (نينازو) ببساطة:

- إذًا سأخرج لإجباره على المواجهة المباشرة..

- - ليس الأمر بهذه البساطة.. لن أغامر بفقدانك قبل الحرب الفعلية.. لن نتحرك بعشوائية مطلقا هذه الحرب.. ولن نعتمد على القوة فقط..

قال (نينازو) بلهجة محايدة:

- أنت تقيد حركتي تماما ثم تطالبني بجلب النصر..

ردّ (زابابا) ببرود:

- سأجلب النصر لنفسي بنفسي إن استلزم الأمر.. فقط التزم بالبقاء داخل الأسوار لحين اللحظة المناسبة..

أشاح (نينازو) ببصره عنه مغمغما:

- هذا إن لم يبادرا باتخاذ الخطوة الأولى..

ثم نظر للسماء بقلق مغمغما بتوجس:

- لماذا أشعر باكفهرار السماء؟

حدق (زابابا) بالسماء بدوره وقد شعر بقلق خفي يتسلل

لأعماقه، بدأ نور الشمس يخفت تدريجيا ليحل ظلام شحيح ببطء ولكن باستمرار.. وظهرت بالأفق كتل من سحب رعدية سوداء منذرة بأسوأ الاحتمالات.. تابع السيدان تكتلات السحب التي كانت تتجمع انتقائيا فوق المرتفعات المحيطة بمدينة (كيش) حتى غطت السماء تماما فوقها، انخفض التنين مستشعرا خطرا قادما من السماء ليحلق فوق السيدين وقد خامره ظن يقين بقرب بداية الحرب الوشيكة فأشار له (نينازو) ليقترب وهو يقول ل(زابابا):

- نحتاج لزاوية رؤية مناسبة للحدث..

حلّ (موشوسو) بينهما فوثبا على متنه بوثبتين متعاقبتين، فلوى التنين عنقه للأعلى ثم اندفع طائرا مطلقا صيحة مزلزلة، ارتقى حتى اقترب من مستوى الأبراج

فأمره (نينازو) بالتوقف ليبدأ رؤية ما يحدث فوق المرتفعات..

تفجرت الصواعق بقلب السحب فاهتزت وربت ثم ناءت بحملها الثقيل.. اندفعت المياه أمطارا غزيرة ضربت قمم المرتفعات ثم أكملت مسيرتها لتنحدر بمنتهى السرعة والعنف كوحوش مدمّرة تفني كل ما تقابله في طريقها.. كوّنت سيولا كانت تهبط كأمواج هادرة هائلة مندفعة نحو هدفها وهو الجهة الشمالية من مدينة (كيش)..

غمغم (نينازو) بترقب:

- لقد نسي وجود الخندق المحيط بالمدينة..

قال (زابابا) بقلق:

- وربما كان هذا هدفه!

لم يجد من تواجد من جنود أمام الأسوار الوقت الكافي لدخول المدينة، دهمتهم السيول وجرفت أجسادهم كأوراق مهترئة لتضرب بهم الأسوار وتحطمها قطعا ممزقة.. انتهى أمر جنود ما خارج المدينة بلمح البصر بعد أن ضربت السيول المنجرفة أجسادهم لتنكتم صيحات ألمهم واحتضارهم أسفل الماء القاتل، فلم يجد أي منهم الوقت حتى لاستيعاب موته، ثوانٍ يحاول كل منهم السيطرة على حركته تحت سطح الماء ولكن كانت قوة دفع الماء عنيفة، فأجبرت الأجساد على الاتجاه قسرا نحو صخور السور ثم ظلت تضرب أطرافهم ورؤوسهم عدة مرات متتالية في مدّ وجزر متتاليين بلا هوادة.. ثم انحسر مستوى الماء قليلا رغم استمرار اندفاع الماء عبر سيول الأمطار التي لم تتوقف، بسبب بدء تشعبها واتجاهها لجهتي شرق وغرب الأسوار بعد تكسّر حدتها الهجومية الأولى على الأسوار الشمالية وبوابتها.. وبعد أن أفنت جميع الجنود المتواجدين بالخارج..

سأل (نينازو):

- هل كان عددهم كبيرا؟

أجاب (زابابا) مراقبا سيول الأمطار المندفعة:

- أقل من رُبع الجيش.. ليس بالعدد الكبير..

- ولكنه ليس قليلا أيضا..

ثم سأله باهتمام:

- ألم تضع هذا الاحتمال ضمن خططك العديدة المحتملة؟

هز (زابابا) رأسه إيجابا قائلا:

- بلى كان بالحسبان.. ولكن لضمان تجربة أثره كان لابد من ترك بعض الجنود خارج الأسوار..

- تقامر بجنودنا؟

- الحرب مقامرة.. خاصةً ضد خصمين لا يذكر تاريخنا السماوي أي حرب سابقة لهما تحدد نقاط ضعفهما..

- هذا جيد.. أتمنى فقط ألا يفنى جيشنا في تجاربك لإيجاد نقاط ضعفهما!

ألقى عليه (زابابا) نظرة باردة وهمّ بالرّد عليه.. لولا ما حدث..

انحرف التنين جانبا بسرعة مباغتة مطلقا صيحة مبتورة.. تماسك (زابابا) و(نينازو) بعد أن كاد هذا الانحناء المفاجئ يسقطهما من علوّ، فقط ليفاجأ كل منهما بشيء ضخم لامع يفوق حجم التنين ضخامةً وينطلق كالسهم ليصيب جزء من قلعة (كيش) المركزية ومعبدها مفتتا جزءًا من صخورها، فأيقن كلاهما أن التنين قد تفادى ضربة كانت ستقتلهما الاثنين، وربما الثلاثة!

- هل كان هذا معبدا محلقا؟

- أعتقد أنه كان سهما!

ضجت السماء بعشرات من الأسهم الفضية المضيئة البراقة المدمرة.. سيل آخر هجم على المدينة ولكنه لم يكن مائيا.. كان سيلا من أسهم شديدة الضخامة تنطلق من مصدر خفي خلف المرتفعات لتصب كلها على (كيش) مدمرة كل ما تصيبه بلا تمييز.. يناهز حجم السهم حجم معبد كامل، وله قوة تدميرية تفوق قدرة الصخور العادية.. بدأت الأسوار الخارجية تتصدع، وتضررت مناطق كثيرة بداخل (كيش) أضرمت فيها النيران.. حاول التنين (موشوسو) تلافي أية أسهم قادمة تاركا قرار الخطوة التالية لسيدِي (كيش).. تعالت أصوات الذعر والآلام بين الجنود من كل مكان..

قال (زابابا) ساخطا:

- هذه هي قوة (آشور) إذًا!

ردد (نينازو) ساخرا رغم الخطر المحدق:

- وكنت تقلل من شأنها منذ قليل!

لم يتوقف سيل الأسهم.. صار الوضع فوضويا بجنون.. أيقن (زابابا) أن استمرار الأسهم سيفني (كيش) بكل جنودها ومبانيها فلن يتبقى فيها حجر أو كائن حيّ يتنفس.. كما حدث ل(أشنونة) سيحدث ل(كيش) وسيقوم السيد (آشور) بإبادة المدينة عن بكرة أبيها بدون أن يستطيعوا أن يلمحوا له طرفا..

هتف في (نينازو) بسرعة:

- خذ (موشوسو) واتجها خلف المرتفعات واقضِ على مصدر هذه الأسهم القاتلة..

تنهّد (نينازو) بنفاد صبر متمتما:

- وأخيرا!

ثم سأله:

- ولأين ستذهب أنت؟

قال بتصميم:

- موقعي بين الجنود.. سأتمركز فوق البوابة الرئيسية الشمالية.. كل ما عليك هو دفع أي منهما للظهور فوق المرتفعات وحينها سأنال منه..

غمغم (نينازو) وهو يأمر التنين ليهبط سامحا ل(زابابا) بالهبوط فوق البوابة الرئيسية:

- هذا إن لم يمزق جسدك سهم جبار!

وثب (زابابا) بحركة رشيقة ليعتلي البوابة الرئيسية صائحا بإصرار:

- هذا لن يحدث.. قم بمهمتك بنجاح فقط ودع الباقي لي!

قال (نينازو) بإيجاز:

- سأنجح! حاول فقط ألا تموت!

ثم حلّق التنين فوق المدينة قبل أن يصيح مندفعا براكبه نحو المرتفعات..

٢١- دخول بابل

(بابل) البشرية

انتهت رحلة كلا من (نينكرسو) و(نانشي) الطويلة من (أوما) ل(بابل)، ترجّلا عن متن بغلتيهما ليفرد كل منهما ساقين تيبستا من طيلة الانثناء وعدم الحركة، ورغما عنه وجد (نينكرسو) نفسه يقترب من جسد بغلته ويمسّد على ظهرها باهتمام وإعجاب مغمغما:

- يا له من حيوان قادر على التحمل..

كانت (نانشي) تفرد ظهرها وتثنيه يمينا ويسارا لتطقطق فقراته لتشعرها باللذة المؤقتة، وإن أصابتها رؤية (نينكرسو) يحدث البغلة ويبدي لها إعجابه بنوبة ضحك مفاجئة، قبل أن تهز رأسها بيأس مدركة أنه لا فائدة في هذا القادم من عالم آخر والذي يحب حيوانات الأرض لحدّ الوله..

ربّت (نينكرسو) على ظهر البغلة ليتركها متألما، ثم أدار وجهه نحو أسوار (بابل) المهيبة التي انتصبت على مرمى البصر عالية مزينة بألوان براقة متناسقة، وسأل (نانشي) بشرود:

- لقد تأخرنا كثيرا.. من حسن حظنا تحركنا المبكر نحو (بابل)..

اقتربت منه (نانشي) وهي تقول له هازة كتفيها بعد يقين مما تقوله:

- كنت أعلم من أبي أن هناك اختلاف في سير الزمن بين العالمين.. كان يقول أن الاختلاف طفيف ولكنه موجود.. ولكن يختلف قول أبي عن ما حدث لنا بالفعل في مسيرة سفرنا هذا الذي قطعنا خلاله ما بين الرافدين كله من الشرق لأقصى الغرب، لقد كان الزمن يتواثب بجنون.. تمر علينا بضعة ساعات لنمرّ بقافلة تفاجئنا بمرور شهور.. بدأنا نشعر بأننا نلهث ونحن نسابق الزمن لنصل (بابل) قبل انقضاء عهد الملك الجديد إن استمر الحال على هذا المنوال المخالف للطبيعة.. ولكن ما طمأننا إخبار ذلك الركب الذي قابلناه منذ ساعة بذيوع نبأ أن الملك (نبوخذ نصر) الثاني يبحث عن تفسير لحلم أقلقه.. هذا يعني أنه ما زال في مقتبل سنين حكمه..

نظر نحوها (نينكرسو) مليا قبل أن يقول بتفكّر:

- أليست مصادفة جيدة أن يبحث الملك عن مفسر أحلام ولدينا مفسرة أحلام خارقة مثلك؟

تنهدت (نانشي) مبتسمة وهي تردد:

- إنها تصاريف القدر الذي يعلم نبل هدفنا الأسمى..

قال (نينكرسو) مؤمنا على كلامها:

- وربما كان التسارع الزمني الذي أصاب رحلتنا يصب في سبيل تحقيق هذا الهدف..

- لا أشك في هذا لحظة.. كما لا أشك أن لهذا التسارع الزمني سببا يتعلق بوجودك بعالمنا..

صمتت قليلا وعلامات تردد جلية على وجهها، انفرجت شفتاها عدة مرات وكأنها تنوي أن تقول شيئا ثم تُثني عن هذا الفعل، لاحظ (نينكرسو) هذا فلم يود الضغط عليها وتظاهر بالنظر نحو السماء، ولكن غلبت (نانشي) على أمرها وهي تقول له بتسليم:

- في الحقيقة كنت أقوم بتعطيل مسيرتنا عن قصد عدة مرات.. رأيت أحلاما واضحة تتطلّب وجودنا ب(بابل) في توقيت معيّن.. لن أرغب في أن أقصها عليك قبل الأوان فهناك أحلام إن تم البوح بها تفسد المستقبل.. للأحلام طرقها في رؤية المستقبل ولكن يبقى الأمر كله معروف النهاية مسبقا، بما فيه كشف نقاب تفاصيل الأحلام وما ينتج عن معرفتها من تبصّر بأمور مستقبلية.. ولكن هناك بعض الأحلام كهذا الحلم الذي أعنيه لا يجب قصها وإلا تنافى سبب حدوثها.. وهذا الحلم لا يتعلق بهدف انتقالك لعالمنا.. إنه

يتعلق بشيء آخر.. شيء رأى القدر أنه أهم من هدفك في الوقت الراهن.. ولكني أرى بخبرتي في التعامل مع هذا النوع من الأحلام أنك ستعرف الغرض من كتماني هذا عند الأوان..

لم يعلّق، كان مؤمنا بها وبموهبتها وبحكمتها في استغلال هذه الموهبة بما يأتي بأقصى فائدة، لذا تجاهل ما قالته بحكمة وبدأ يجدّ السير نحو الأسوار ليسبقها مغمغما بتساؤل مغيرا الموضوع:

- كيف سنجد عذرا لدخول المدينة؟

ابتسمت مقدرة ما قام بفعله من تفهّم، وأيقنت من صحة قرارها بإخباره بأمر هذا التأخير المتعمد والمتعلق بحلمها الأخير، فأجابته ببساطة وهي تحاول اللحاق بخطواته السريعة:

- لن يكون الأمر صعبا.. لا توجد حرب حاليا تستدعي من (بابل) تقنين الدخول إليها..

اقتربا من الأسوار لدرجة برزت معها مدى ضخامتها التي فاقت ما ظنه الاثنان من النظرة الأولى السابقة عن بُعد، اتجها نحو أقرب بوابة مشرعة لينضما لصف من العامة كان يجتاز البوابة، ظهر ل(نينكرسو) مدى سُمك الجدار المحيط بالمدينة الذي يقومان باجتيازه الآن والذي كان واسعا بما

يكفي لمرور أربع عربات خيل متجاورة، كما احتوى متنزهات ومماشي، كما شعر بالإعجاب وهو يدقق النظر في النقوش الجدارية الحيوية الملونة التي زينت جدار السور الداخلي والتي مثّلت ثيران ضخمة مجنحة، أشار ل(نانشي) نحو النقوش قائلا بانتشاء:

- هذا الحيوان.. إنه يشبه ثور الجنة (لاماسو).. هل هو متواجد بالفعل بهذا العالم أم أنه مجرد أسطورة؟

أجابته (نانشي) وهي تتوقف أمام زوج من الجنود يقومون باستجواب صف العامة بطريقة ودّية روتينية:

- أسطورة بالطبع.. يحبه الملوك ويتخذونه رمزا لقوتهم..

تأمّل الجندي الصارم ملامح وجه (نانشي) الدقيقة ثم سألها بلهجة رسمية حازمة ولكن غير عدائية في توازن احترافي:

- هل أنتما من قاطني (بابل)؟

أثار سؤاله انتباه (نينكرسو) فاتجه بنظره إليه بينما أجابت (نانشي) بثبات من أعدّ الجواب مسبقا ليبدو تلقائيا:

- إنها مرتنا الأولى لنا.. أنا مفسرة الأحلام الكبرى بمدينة (لكش) وهذا هو أحد كبار جنود مدينتنا..

كتم (نينكرسو) دهشته بصعوبة من سيل الحقيقة الذي تتقيؤه (نانشي) بوجه الجندي بمنتهى الهدوء، وحاول الحافاظ على جمود ملامحه عندما رمقه الجندي بنظرة عابرة قبل أن يعيد النظر نحو (نانشي) المستمرة في الكلام:

- وقد جئنا لهدف سلمي في محاولة مساعدة ملكنا العظيم لتفسير حلمه المؤرق..

انفرجت أسارير الجندي الجامدة مع قولها وهز رأسه مبديا إعجابه وتقديره من ردها وهدف رحلتها لعلمه بمدى بُعْد مسافة (لكش) عن (بابل)، أخرجت له (نانشي) رقيما طينيا مصغرا يحوي ختم كاهن (لكش) الأعلى كإثبات هويتها ولكنه أمسك بيدها بحزم رافضا قائلا باحترام:

- سيدتي العظيمة.. سيماهم في وجوههم.. لستِ بأقل من أميرة من الوهلة الأولى..

لم يضف أن هناك ما أقلقه بشأن الجندي المصاحب لها ولكنه لم يلقِ لهذا بالا، وسمح لهما بالدخول قائلا بلهجة الناصح المخلص لها:

- المسافة بعيدة سيدتي والأخطار عديدة.. المرة القادمة عليك أن تكوني محاطة بجمع من الجنود حفاظا على حياتك الغالية..

أعطته ابتسامة رقيقة وهي تجتاز البوابة برفقة (نينكرسو) جامد الملامح، وما إن ابتعدا عنه مسافة كافية حتى أظهر (نينكرسو) ابتسامة طال كتمانه لها وهو يقول مذهولا:

- تقولين الحقيقة للمرور.. يا لها من خطة!

قالت له مازحة:

- ألا تدري أنه لا يمكن تصديق أي كذبة إلا لو تم مزجها بقليل من الصدق؟

قال وهو ويجيل النظر في أرجاء (بابل) العظيمة محاولا صبغ كلماته بلا مبالاة قدر الإمكان:

- ما لاحظته وكان صادقا بالفعل هو اهتمام الجندي بك وتحديقه المستمر لوجهك والذي انحدر لمستوى مفاتنك بعد مرورك..

أطلقت (نانشي) ضحكة جذلة وقامت بلكزه في كتفه مازحةً بدون أن تعقّب بكلمة وإن بدا احمرار وجهها جليا من شدة خجلها..

جميلة هي.. جميلة وقوية.. لا يستطيع (نينكرسو) إنكار هذا.. وتهتم لأمره بشدة وتساعده بشتى الطرق لتحقيق هدفه.. يعلم يقينا أن مساعدتها له واجبٌ عليها بموجب

اتفاق قديم يعود لزمن جدها، ولكنه شعر أن ما قامت به لمساعدته على مدار السنين المنصرمة يتعدى حدود الواجب المفروض عليها.. ووجد نفسه يتساءل هل غادر عالمه ليتعلّق قلبه بالفعل بإحدى فاتنات (لكش) البشرية في النهاية؟

امتدت البيوت على مدّ البصر.. متجاورة في تجمعات هندسية أنيقة تحيط بها وتتخللها البساتين وجداول المياه الجارية.. وتناثرت بعض المعابد بين تجمعات البيوت والتي تميزت بمعمار مذهل وألوان خلابة.. وبينما يسير بين تجمعات البيوت كان يلقي النظر على بعض العمّال الذين تواجدوا بين البيوت وبقرب المعابد، كلٌّ يقوم بعرض حرفته وبضاعته التي يصنعها بيديه، بينما كانت (نانشي) تقوم بدور دليله في هذه الجولة:

- هؤلاء هم (أومّانوتو).. عمّال الحرف اليدوية.. هذا العامل يقوم بصنع المنسوجات والخياطة والتطريز وإن كان الأكثر شيوعا هو اشتغال النساء بهذا المجال.. المتميز منهم من يستطيع صنع أثواب زاهية جذابة تصلح للكهنة، يستخدمون الصوف والكتان والأقمشة الملونة.. منهم من يقوم بصناعة السجاد.. انظر لهذا الفراء، سيتم استخدامه في صنع الثياب والأحذية.. جلود الحيوانات المعروضة هذه من الممكن أن تستخدم للكتابة.. عيدان القصب المتجمعة في حزم

هذه هي مصدر لصناعة السلال والسهام والرماح والقوارب والمراكب النهرية والأبواب البسيطة والأثاث المنزلي وبناء الأكواخ وتغطية الأرضيات، كما يتم استخدام طبقات الحصر القصبية في تبطين أسقف الزقورات الداخلية.. هذا فخّار وتكمن أهميته في صناعة الطوب اللبن والرقم والأواني والدمى.. هذا حجّار يستخدم ما يتم استيراده من صخور من جبال (زاجاروس) للنحت الفني وبناء الأدوات الحجرية.. هذا حدّاد يستخدم معدن الحديد الشائع بالشمال ب(آشور) لصنع الأسلحة..

زاد الزحام وأصبح المكان يعجّ بعبيد مختلف ألوانهم وأشكالهم وأحجامهم، فقالت (نانشي) موضحة:

- هذا سوق التجارة.. يتم مبادلة البضائع بشتى أنواعها سواء كانت البضاعة عبيد أم عقارات أم حبوب أم معادن..

امتعض وجهه ولم يعجبه ما يسمع، فأمسكته (نانشي) من ذراعه وقامت بسحبه بعيدا عن هذا التجمع لتتجه به نحو الشمال قائلة بحماس:

- تعال معي سأريك ما يمتع حواسك..

تتبعها (نينكرسو) واثقا من قدرتها على قيادة جولته باقتدار، سار الاثنان عبر شوارع (بابل) التي تحفظها (نانشي)

عن ظهر قلب رغم أنها لم تقم بزيارتها إلا مرات قليلة، ولكنها زارتها في أحلامها مرات عديدة جعلتها تعرف موطن كل حجر وكل معلم..

تركت ذراعه وهي تقول له هاتفة:

- لقد وصلنا لبوابة (بابل) الثامنة وأعظمها على الإطلاق.. بوابة (عشتار)!

تطلّع (نينكرسو) بانبهار واضح للبوابة شديدة الضخامة كوحش رابض، مرتفعة لما فوق الأسوار مدججة بالأبراج والثكنات، مكسوة بالكامل بالمرمر الأزرق والرخام الأبيض والقرميد الملون، جذبته بشدة تلك الأشكال الحيوانية الخزفية المنقوشة بشكل بارز لأسود وثيران وتنانين خرافية، وكذلك التماثيل المتراصة على جانبي البوابة لتمثل نحتا رائعا حيوانيا.. وبدت أبوابها المغطاة بالنحاس براقة بشدة.. كانت البوابة أشبه بقلعة مصغرة رائعة..

سأل (نينكرسو) وقد بدا الحنين جليا على ملامح وجهه وتخلل حتى نبرة صوته:

- أليست (عشتار) هذه هي (إينانا) في عصور سابقة؟

أجابته (نانشي) بإيماءة موافقة بدون أن تردّ، وقد اقتحمتها تعبيرات الوَلَه البادية على وجهه فلم تنطق لفترة

من الوقت، قبل أن تجاهد لتغيّر الموضوع وتقول له:

- لا يعود الفضل لبنائها ل(نبوخذ نصر) الثاني، وإنما تم بناؤها بحقبة زمنية سابقة له ولكنه أعاد بناءها وتعميرها وهو من زينها بنقوش التنانين والثيران..

ثم أمسكته من يده للمرة الثانية خلال جولتهما وقد رقّ قلبها لحاله، ضغطت يده بقوة وهي تهمس في أذنه:

- لنتجه لقلب (بابل).. الحدائق المعلقة.. إنها أجمل معالم الأرض قاطبةً ستحب رؤيتها..

تنهد (نينكرسو) وقد أخرجته ضغطة يدها من شرود حالم يموج حنينا ولكنه استسلم لها كالعادة، وبدأ الاثنان يسيران موليين ظهرهما لبوابة (عشتار) و(نانشي) تعود لثرثرتها المفيدة:

- بوابة (عشتار) هي البوابة الرئيسية للسور الداخلي، بالاتجاه جنوبا نحو قلب المدينة نسلك شارع الموكب، وهو الشارع الرئيسي للمدينة والطريق المقدس الذي يربط المدينة ببيت الاحتفالات الدينية..

بعد قليل من التمشية عبرا جسرا خشبيا متوسط الحجم يرتقي فوق قناة صغيرة، فقالت له:

- قناة (ليبيل حيكال).. وجسر (بور شابو)..

انتهى الجسر ليبدأ سور الزقورة المركزية في الظهور، وبدأ الاثنان يشعران برذاذ الماء المنعش يتساقط من السماء على وجهيهما ويخفف قيظ الحر السائد، فسأل (نينكرسو) بدهشة:

- أتمطر بالصيف هنا؟

أطلقت (نانشي) ضحكة قصيرة قبل أن تجيبه:

- لا بالطبع، إنه فقط تأثير شلالات الماء التي تسقط عبر مدرجات الحدائق المعلقة وتروي أشجارها..

ثم سبقته مسرعة لتتعدى سور الزقورة ثم توقفت لتنظر جهة اليمين نظرة حالمة وهي تغمغم:

- الحدائق المعلقة..

تبعها (نينكرسو) ليلقي نظرة على هذه العظمة المعمارية التي لن ينساها التاريخ..

رأى بعينيه مبنى شديد الارتفاع يعلو حجر نادر لم يرَ مثله من قبل، امتدت الطرق بدخل عمق المبنى لتكوّن ما يشبه الجبال فيما بينها، والتي طوّقتها مصاطب متعددة الدرجات كستها نباتات وأشجار مختلفة، كان ارتفاع الأشجار مذهلا

ويناطح ارتفاع السحاب، وتتصل المصاطب التي تنمو عليها النباتات بواسطة سلالم رخامية تساندها صفوف من أقواس رخامية أيضا، تناثرت أحواض حجرية مبطنة بالرصاص امتلأت بالزهور على جانبي كل مصطبة، وتحتوي المصطبة الأكثر ارتفاعا على فسقيات تمد الماء لباقي المصاطب وحدائقها، قبل أن ينحدر ماؤها لينصب كشلالات هادرة متصلة من كل طابق للذي يليه حتى تنتهي جميعا لتصب بأحواض ماء دائرية متصلة أسفل الحدائق، وقد تم تصميم ممشى لولبي ضخم يمر بكل هذه الأحواض ويدور حولها، ثم يتم إحاطة المبنى بالكامل بسور قوي محصن سميك..

تجمد (نينكرسو) طويلا يتملّى من هذا الجمال الذي أشعره بالغيرة، فهؤلاء البشر ليسو متخلفين تماما في الأخير، بينما تسمّرت (نانشي) تراقب الماء المتساقط والمتكسر على المصاطب في حركة ديناميكية آسرة طبيعية..

سألها (نينكرسو) بفضول:

- من أين يأتي كل هذا الماء؟

أجابته:

- يأتي الماء مباشرةً من نهر (الفرات)، هناك مضخة هي قمة التقدم الهندسي لعالمنا تقوم بدفع الماء من الأسفل للأعلى،

بالإضافة لجهود العبيد الذين يساندون هذه المضخة بالعمل المستمر على مدار الساعة لدفع الماء يدويا..

سأل (نينكرسو) متفكرا:

- لماذا قد تبنون شيئا بديعا كهذا قد يصير عرضة للنهب بين ليلة وضحاها؟

ابتسمت بطريقة حالمة وهي تجيب:

- لقد أهداها الملك (نبوخذ نصر) الثاني لزوجته الأميرة الفارسية التي بتزوجه بها ضمن تحالفا مع الفرس، ولكنه لم يكن زواجا قائما على المصلحة فحسب، فهو لما شعر بحنينها للجبال المشجرة التي كانت تعشقها بشبابها ببلادها بنى لها هذه الواحة بقلب الصحراء، والتي تميزت بهذا المبنى ضخم المغطى بالأشجار والنباتات الغريبة المتدرجة بحيث تشبه الجبل، والتي اهتم بأن تحتوي جميع نباتات الأرض شرقا وغربا بما فيها بلاد (فارس) بالطبع..

تمتم (نينكرسو) مأخوذا بالقصة:

- يا له من ملك!

صمتت (نانشي) وقد هاجمت خيالها الأحلام الوردية الجميلة، ولكن قاطع (نينكرسو) أحلامها سائلا:

- ولكن من أين لكِ كل هذه المعرفة؟

أجابت بتسليم:

- إنها لعنتي.. الأحلام التي لا تتوقف ليلا نهارا.. لا يوجد ما لم أره من قبل في خيالي.. الخيال الواقعي لدرجة مخيفة..

ابتسم لها (نينكرسو) معقبا:

- لعنة جميلة يا (نانشي)..

ثم عقّب في سرّه:

- أنتِ كلك جميلة يا (نانشي)..

ولكنها سمعته في حلم يقظة فلم تستطع كبح جماح ابتسامة ورّدت وجنتيها..

حاولت إخفاء مشاعرها فأشارت جهة الجنوب حيث انتصبت زقورة ضخمة متعددة الطوابق جنوب الحدائق المعلقة، وقالت:

- وهذه هي زقورة (بابل) المركزية والتي يعلوها هيكل الإله (مردوخ).. سنتعداها نحو الجنوب أكثر نحو قصر الملك.. وجهتنا القادمة..

بدا (نينكرسو) تائها للحظة قبل أن يعود لعالم الواقع

ويضرب جبهته براحة يده قائلا:

- وجهتنا القادمة.. لقد نسيت الغرض من هذه الرحلة.. أنساني إياه هذا الجمال الآسر..

قال الجزء الأخير رانيا نحو (نانشي) في تلميح واضح، فعاد وجهها يتورّد بشدة وهي تتجنبه وتسارع بأن تسبقه نحو القصر والخجل يعتريها ويلجم لسانها عن النطق..

٢٢- سيد الماء

تحرك (إنكي) كإعصار محلقا بسرعة خرافية مغادرا مدينته (إريدو) متجها شرقا نحو مدينة (أور)، كان ثائرا كما لم يكن من قبل قط، مجرد تذكُّره لأنه لولا يقظته لكان شعبه كله قد أُبيد بالكامل يضاعف من غضبه الذي يود سكبه بمنتهى العنف على رأس الساحر المتشكل (ميرميكال)، لا يوجد لديه شك في هوية المتسبب في تفعيل هذا السحر الفتاك، الأمر شديد البساطة ولا يحتاج لكثير من التفكير، فقط تجاوز هذا الساحر كل الحدود ولابد من القضاء عليه بشكل درامي يتناسب مع جرأته في تحدي (إيريدو)، المدينة التي بدأت تتخذ طابعا يليق بدولة مدينة مستقلة تصلح لتكون مركزا وقائدا لكل العالم السماوي، برغبة العامة طوعا والذين جعلوها قبلة لموجات نزوحهم زرافات متتالية، راغبين في التمتع في سحر الماء الذي خلقه (إنكي)، وجعلها مدينة ساحرة خلابة معتدلة المناخ صيفا وترتاح العين لرؤية معالمها فترغب في العيش والاستقرار بها أبد الدهر..

اقتربت (أور).. مدينة صغيرة بأسوار متوسطة القوة، وعدد قليل من الجنود، ومعبد مركزي، وبعض من العامة المتناثرين خارج الأسوار وعلى ضفاف (الفرات).. هدفه الساحر القابع بقلب المعبد.. لا يريد هلاك العامة.. ليس وحشا

بشعا كالساحر يستطيع إفناء قاطني مدينة مسالمين بلمح البصر رغم قدرته على فعل هذا.. ولكن هذا لا يمنع أنه سيُدُكُّ المعبد والبيوت عن بكرة أبيها، تاركا لأهل (أور) خيارا واحدا لا ثاني له.. الفرار نحو (إريدو)..

توقف أمام الأسوار وفوق البيوت وتجمعات العامة.. حلق عاليا ثم أطلق صيحة عالية مزلزلة سمعها جميع أهل (أور).. قام بتحريك أصابعه بخفة لينبثق الماء من فوق الرؤوس ويهطل كستار ضخم شفاف.. فوجئ العامة بماء منهمر من الفراغ بدون سحاب يجلد بيوتهم وأجسادهم.. ماء منذر ولكن غير مهلك.. فهموا على الفور أنه ماء سحري وليس ما اعتادوه من ماء يسقي الزرع ويخضر الأرض القاحلة.. انطلق صوت (إنكي) من خلال الماء يخترق العقول.. قوموا بهجر (أور).. دمارها قاب قوسين أو أدنى.. لن يتبقى بها حجر فوق حجر ولا غصن أخضر متصل بجذع شجرته.. سيصبح معبدها والأرض سواء.. ومن يتبقى ويتحدى قدر (أور) المتمثل في السيد (إنكي) فلا يلومنّ إلا نفسه، نفسه التي سيخسرها إن لم ينجو وينزح نحو (إريدو) جنة العالم السماوي والتي سيجدها تقابله بأذرع مرحبة..

تلقى الجميع الرسالة العقلية الخارقة المهددة والمطمئنة في نفس الوقت، هرع الجميع بذعر مع ترديدهم اسم السيد

(إنكي) برعب، تركوا بيوتهم ومتاعهم يسوقهم ذعرهم قبل عقلهم.. حتى ثلة الجنود المرابطين سارعوا بالتخلي عن أسلحتهم وغادروا المدينة متجهين غربا نحو (إريدو) كما طمأنتهم رسالة (إنكي)، وقد كان جزء كبير منهم ينوي مغادرة (أور) بالفعل والاتجاه نحو (إريدو) للاستقرار بها بعد تنامي سمعتها كمصدر جذب عالمي سماوي.. وهكذا وخلال لحظات خلت المدينة أو كادت من المدنيين لتترك (إنكي) يقترب ببطء من المعبد مبتسما بجذل مغمغما بمقت:

- حانت نهايتك يا ساحر الأشكال!

ضم قبضته ثم فردها.. انهمر الماء من السماء ليهبط على المعبد بغزارة.. ماء يكفي لجعل المعبد قاعا لمحيط شديد العمق.. ولكن ابتعد الماء ليتنافر مع المعبد ويصب أمواجه على جانبيه أرضا وكأن قوة تمنعه من لمس سقف وجدران المعبد، ثم برز الساحر القرد محلقا من قلب المعبد وسط جدران الماء التي كانت تتكسر فوق رأسه وتنحدر ذات اليمين وذات اليسار لتترك جسده سليما لم يمسسه بلل حتى.. وكان مكفهر الوجه عابس الملامح مما ضاعف من بشاعته..

رغم تيقنه مما يفعل تمتم (إنكي) مهددا:

- أردت هلاك أهل (إريدو).. تقلل من شأني كثيرا أيها

الساحر..

لم يماطله (ميرميكال) ولم ينفي التهمة، كان على يقين أن (إنكي) قادم لتحقيق هدفه ولن يثنيه عن عزمه أي نفي للتهمة، التهمة التي تلتصق به بقوة لا يمكن إنكارها.. لذا عليه الاستمرار حتى النهاية وتحمّل نتاج أفعاله.. وهكذا رسم ابتسامة باردة على شفتيه وهو يقول:

- ستجد أن القضاء عليّ ليس سهلا كما تعتقد..

قال (إنكي) بسخرية:

- ولكنه سيحدث!

ثم أشار بسبابته لنقطة أمامه وهو يغمغم:

- لنجعل لمصدر الدمار المائي شكلا يليق به..

تجسّدت في الحال أمامه كتلتان شديدتا الضخامة من الماء الثائر، فاق ارتفاعهما ارتفاع معبد (أور) نفسه، ثم استمر الماء يتجسد فوق الكتلتين الأشبه بعمودين راسخين ليكوّن أسطوانة ضخمة من ماء يدور حول نفسه، ثم انبعث من الأسطوانة زوجان من أذرع مرفوعة للسماء تلاها في النهاية رأس كروي عديم الملامح من ماء.. كان عملاقا شديد الضخامة اخترق برأسه مستوى السحاب، وتكوّن من آلاف

من دوامات الماء الصغيرة المتلاصقة ببعضها البعض.. ابتسم (إنكي) بقسوة وهو يأمره:

- دمّرا!

انطلق من العملاق المائي صوت خرير وحشي مقبض قبل أن تتراجع ذراعاه ثم تندفعا للأمام بحركة سريعة فتنفصل عن أطرافهما كرات عملاقة من ماء راحت تضرب في كل اتجاه بدون استثناء.. كانت لها قوة تدميرية ساحقة فكانت تدمر البيوت وتجتث جذوع الأشجار والنخيل.. صار المشهد عبثيا يمتزج فيه نثار الصخور المحطمة مع أوراق أشجار مع كتل من تراب مع أعمدة من ماء ثائر.. ضربت الكرات كل ما يرتقي فوق سطح الأرض لتجعله أثرا بعد عين.. باستثناء المعبد المركزي..

ظل صامدا بفعل الساحر الذي مدّ ذراعيه للأمام مغمضا عينيه فكانت كرات الماء المتجهة نحوه تنحرف يمينا ويسارا وللأعلى لتبتعد عن جسده وعن المعبد.. أصبح (ميرميكال) ومعبده البقعة الوحيدة الجافة بقلب جحيم من ماء مدمّر لم يترك معلما إلا وسوّى به الأرض.. وخلال لحظات أصبحت مدينة (أور) مجرد مسطح مائي يعج قاعه بالركام المتفتت..

ظل (ميرميكال) ساكنا لا يبدي أية بادرة هجوم مكتفيا بتعويذته السحرية التي تقيه الماء.. حدق (إنكي) فيه وهو

يهز رأسه مفكرا قبل أن يبادر بهجوم مباشر على خصمه معطيا الأمر لكتلة الماء المتجسدة..

انطلق العملاق يعدو نحو الساحر.. ببطء بسبب ضخامة جسده.. كان لوقع ضرب قدميه بالأرض زلزالا يخلق أمواجا بالمسطح المائي الوليد، الذي بدأ مستوى سطحه ينحسر مع امتداد الماء للأراضي المجاورة عبر بوابات الأسوار وأجزاء متضررة من الأسوار سمحت للماء بالهروب للخارج.. لم يحرّك الساحر ساكنا والعملاق يقترب منه رافعا ذراعيه للأعلى.. اقترب العملاق لحد مخيف فغمغم (إنكي) بدهشة:

- أيودّ الساحر الموت بسلام؟

بمجرد إنهاء (إنكي) لجملته السابقة كان (ميرميكال) يصفق مرتين بقوة هامسا:

- تعويذة الأرض الزلقة!

تشققت الأرض بين قدمي العملاق المائي لينبعث منها سائل لزج يميل لونه للأصفر القاتم، أحاط بالقدمين فتزعزعت كل منهما وتراقصت.. اهتز الجسد العملاق كله وبدأ يميل للأمام بعدم اتزان.. وحاول تمالك نفسه متحركا في عدة اتجاهات بعد أن تسبب ذلك السائل بانزلاق قدميه ودفع جسده المندفع للسقوط للأمام.. ضيق (إنكي) عينيه

متمتما بتعجب:

- هذا السائل الزيتي المنبعث من قلب الأرض يستغل كونه لا يمتزج بالماء.. لن يستطيع هذا التجسد المائي العملاق الثبات على أرضية من زيت.. هذا بسيط للغاية ولكنه فعّال..

فشل العملاق في البقاء منتصبا على قدميه ليميل جسده ويسقط على جانبه، فأشار (ميرميكال) نحو بقعة السائل الزيتي فتحركت بإرادة واعية لتحيط بأطراف العملاق وتكبلها ثم تتوغل عند منابت الأطراف الأربعة وتنخر بقوة وعزم حتى تنجح في فصل أطرافه الأربعة عن جذعه، لتمتزج الأجزاء المفصولة كلها من أطراف وجذع ورأس بالمسطح المائي وتصبح جزءا منه، فيرتفع مستواه للأعلى قليلا مع كمية الماء التي أضافها جسد العملاق إليه قبل يعاود الانحسار مجددا والانتشار في كل الأرجاء خارج المدينة..

قال (ميرميكال) شامتا:

- أليس لديك ألعابا أكثر جدية يا جبار الماء؟

غمغم (إنكي) بحنق:

- أنت أردت هذا!!

فكّر (إنكي).. إن كان لدى الساحر ما يقيه الماء فليستخدم الماء في حمل شيء لن يستطيع الساحر تجنبه.. نظر نحو أسوار مدينة (أور) وأشار نحوها، انبثقت دوامات سميكة من الماء من تحت الأسوار وأحاطت بها مطوِّقة إياها، ثم انقبضت عضلات (إنكي) لتقوم هذه الدوامات باجتثاث الأسوار من الأرض ورفعها لمستوى فوق الأرض.. ثم تحركت الدوامات لتحمل الأسوار الضخمة في مشهد مهيب لتزداد سرعتها فجأة وتقوم بالاتجاه بالأسوار نحو الساحر قاصدةً سحقه هو ومعبده..

فكّر (ميرميكال) بسرعة.. إنه ساحر قادر على التحكم في عناصر الحياة الأساسية وهو ما يجعله شديد القوة، ولكنه لا يستطيع التحكم في عنصرين في نفس الوقت.. وهو حاليا يتحكم بصعوبة في الماء المحيط به ويمنعه من غمره هو ومعبده، الماء في طريقه للانحسار ولكنه ما زال المتواجد منه يكفي لإغراقه وقتله إن فكّ تعويذة الماء المتنافر، ولو قام باستخدام أية تعويذة للسيطرة على الأسوار الصخرية الآن ستبطل تعويذة الماء المتنافر فورا ويلقى حتفه غرقا.. فما الحل؟

تشتيت انتباه (إنكي) هو الحل الوحيد الذي سيُخرِج سيطرته على الماء الحامل للصخور.. لذا سارع بتفعيل

تعويذة سحرية لا تتعلق بعناصرالحياة.. **تعويذة السلاح المُخَرَّب..**

همس بالكلمات وأصابع يديه تتراقص بتواتر خاص، فتجسّد خنجر صغير مضيء عند عنق (إنكي) كان يتحرك بسرعة قوة لينغرس بلحمه.. تفاجأ (إنكي) ولكن كان رد فعله شديد السرعة.. تحركت يده لتمسك بالخنجر بقبضة فولاذية ثم حطّمه بضغطة قوية من القبضة ليستحيل فتاتا.. ولكن كانت هذه اللحظة كافية لينشغل عن السيطرة على دوامات الماء الحاملة للأسوار، فمالت الدوامات للأسفل لتسقط الأسوار منقلبة على الأرض متحطمة بدويّ هائل قبل أن تصل للساحر، ثم طالها مدّ الماء ليجرف فتاتها بعيدا..

رفع (إنكي) رأسه ليفاجأ بالساحر يعقد ساعديه مغمضا عينيه محركا شفتيه بترنيمة أعقبها انفصال جسد مطابق لجسده، وقف بجانبه ينظر نحوه بتحدٍّ.. لقد تكاثر الساحر ليصبح (إنكي) يواجه ساحرين في آنٍ واحد.. إنها **تعويذة الجسد المستنسَخ..**

تمتم الساحر الأول:

- قبضة التراب!

بينما ترنّم الثاني:

- السيف المهاجم المتجسّد!

امتلأ الجو بتراب أصفر شديد الكثافة نبت من اللامكان، تناثر بالسماء ليسقط كتلا متماسكة أصابت الماء ودفنت المسطح المائي على الفور ليعود سطح الأرض ثابتا مرة أخرى، وقبل أن يقوم (إنكي) بأية رد فعل فوجئ بسيف ذهبي لامع يتجسد أمامه ثم يهوي على عنقه.. تراجع متفاديا الضربة بسرعة خارقة ثم سارع بتكوين سيف من ماء تلقى به عدة ضربات متتالية.. كان ذهن (إنكي) يعمل على صعيدين.. الصعيد الأول هو مبارزة السيف.. والصعيد الثاني هو ملاحظة ساحة المعركة التي أصبحت خالية من الماء مصدر قوته..

تراجع عدة خطوات مع سرعة ضربات السيف الذهبي السحري الذي كاد يغافل السيف المائي ويصيب جسده شخصيا عدة مرات، ثم زمجر بسخط وهو يركّز في تحريك سيفه المائي ليبدأ في شن عدة ضربات، قبل أن يخلق قيودا من ماء أحاطت بالسيف وكبّلت حركته، ثم تقدم بنفسه من السيف المقيَّد وأمسكه بيديه ثم كسره لنصفين وقذف بهما بعيدا نحو الساحر باستهانة مغمغما:

- محاولة جيدة أيها الساحر!

ثم استعاد هجومه محركا ذراعيه للأمام لتتكون موجات

تسونامي هائلة أمامه اندفعت كلها صوب نسختي الساحر، موجات قادرة على سحق العالم السماوي أكمله، كشّر أحد نسختي الساحر بشراسة وهو يهبط ملامسا الأرض بركبتيه وراحتي يديه قائلا:

- تعويذة أرض الثلوج!

تغيّر الجو في لحظة، هبطت درجات الحرارة لتصير دون الصفر بعشرات الدرجات، تجمّدت قطرات ماء الأمواج المهاجمة لتتحول لتماثيل عمودية قائمة من الأرض للسماء ويوقّف تجمدها اندفاعها.. شعر (إنكي) بخطورة الوضع مع إحساسه بتجمد درجات الحرارة، فمع أجواء الصقيع هذه لن يستطيع استخدام الماء، سيتجمد بمجرد ظهوره.. لقد خسر سلاحه الأساسي على يد هذا الساحر الخبير في استخدام عناصر الأرض والجو.. لقد قلل من إمكانياته حقا..

كان الساحر الثاني يهمس بكلمات أنهاها بقوله:

- قيود من اليَشَم!

فوجئ (إنكي) بأغلال من حجر اليشم البراق تتكون من الفراغ لتكبّل أطرافه الأربعة.. ثم امتد مزيد من الأغلال ليطوّق عنقه.. زمجر حانقا شاعرا بتدهور الوضع.. تقلصت عضلات جسده كلها لتندفع من خلايا جسده قوة طاردة

من ماء قام بتوجيهها نحو الأغلال.. فمزّقتها في لحظة قبل أن تتجمّد حول جسده.. قام بتحريك يديه ليزيح الثلوج المتجمدة أمامه ويستطيع رؤية خصميه ففوجئ بصاعقة محدودة تهوي على جسده مع هتاف نفس الساحر السابق:

- قصف الرعد!

أصابته الصاعقة الرعدية في صدره ودفعت جسده للخلف بقوة ليسقط أرضا وقد احترق جزءا من جلده وذراعيه لينبعث الدخان من الجزء المتضرر.. لم تَطُل سقطته.. تضاعف حنقه وهو يعتدل تاركا الماء ينضح من خلاياه ليشفي إصاباته، مفكرا في الوضع الجيد.. هناك ساحر يجمّد الجو ليمنعه من قوته الرئيسية، وآخر لا يكف عن تسديد ضربات مستخدما قوة عدة عناصر أرضية وجوية أساسية.. لابد من تحييد ذلك المتحكم بالجو أولًا ليستأنف هجومه المائي القاصم..

قام بخلق كرة من الماء أحاطت بجسده.. سرعان ما تصلبت لتصير كرة من ثلج.. قام (إنكي) بخلق المزيد والمزيد من الماء حولها لتزداد سماكة الكرة الثلجية.. استغل قدرة خصمه في مصلحته ليصبح محاطا بكرة هائلة من الثلج، خرج منها بحركة سريعة وهو يغمغم بسخرية:

- تُرَدّ لصانعها!

وثبت الكرة الثلجية العملاقة كما لو أن قدما خفية ضخمة ركلتها بعنف.. وبينما تطير الكرة نحو الساحر مفعِّل تعويذة الثلج، كان يقوم بتشتيت السحر الثاني ليمنعه من الدفاع عن نسخته بأن خلق رمحا من ماء، استحال ثلجا في لحظة، فقام بقذفه بكل قوة نحو الساحر الثاني مفكرا كيف لم تواتيه من قبل فكرة استغلال تحول الماء لثلج في تصليب أسلحته..

وهكذا انطلقت كرة عملاقة من ثلج نحو إحدى نسختي الساحر، في حين اندفع رمح ثلجي سريع نحو النسخة الأخرى.. اضطر الساحر مفعِّل جو الثلج للتخلي عن تعويذته إنقاذًا لحياته وضم قبضتيه أمامه ليخلق ساترا حاميا من الصخر يقيه كرة الثلج، ومع تفعيله لساتر الصخر الحامي تلاشى تأثير الجو الثلجي، لترتطم كرة الثلج بالساتر الصخري ويتحطم الاثنان معا، وهنا وبينما يستعد الساحر الآخر لتفعيل سحر يقيه الرمح القاتل، قام (إنكي) الماكر باعادة توجيه الرمح ليصبح اتجاهه الجديد الساحر الذي فعّل سحر الساتر الصخري، والذي فوجئ بالرمح يتجه نحوه محوِّلًا اتجاهه قُرب نهاية رحلته من نسخته الأخرى، تغيير في الهدف أربكه وجعله يباغَت بالرمح الثلجي يخترق صدره وينفد من ظهره، فجحظت عيناه بألم ممزوج بذهول قبل

أن يسقط جسده فاقدا للروح، إن كانت تمتلك نسخته روحا مماثلة لروح الساحر الأصلي..

صاح الساحر بغضب وهو يهمس:

- **القنبلة!**

انطلقت من الفراغ أمام (إنكي) طاقة من ضوء مبهر هوت على جسد جبار الماء وفجّرت جزءا كبيرا من جسده وشوّهت وجهه وبترت إحدى ذراعيه، مال جسده جانبا ولكنه تحامل ولم يسقط، وبينما تقوم خلاياه بتجديد إصاباته بقوة الماء الشافي المعافي كان يفكر كم هو قويّ هذا الساحر حقا، سيحتاج لساحر مماثل له في أية حرب قادمة..

وقبل أن يتم شفاؤه بالكامل كان يرسل الماء مدرارا من السماء كسياط عملاقة.. كان السوط المائي يهجم على جسد الساحر قاصدا لطمه بقوة تكفي لشق جسده لنصفين.. تراجع الساحر للخلف محوّلًا جسده لكيان أثيري شفاف اخترقته السياط القاتلة بسلاسة كما لو كان صورة غير حقيقية بدون أن يتأذى.. **تعويذة الجسد الأثيري..** وفكّر قليلا في قدرة (إنكي) الاستثنائية على شفاء جسده والتي لولا امتلاكه لها لهلك عدة مرات.. لذا ركّز هدفه في هذه القدرة وبحث عن سبيل لتجاوزها.. وبينما كان (إنكي) يفكّر في

طريقة يتخلص بها من هذه الهيئة الأثيرية الخداعة كان (ميرميكال) يبتسم بشراسة وهو يقول:

- تغلّب على هذا يا جبار الماء..

ثم هتف بكل قوته للمرة الأولى في هذا النزال الوحشي:

- لتنخروا الجسد.. اسلبوه خلاياه أسرع من قدرته على التجدد.. **سحر النخر!**

فوجئ (إنكي) بكائنات صغيرة سوداء اللون تنبعث من تحت الأرض أسفل قدميه.. أشبه بقوارض أو فئران أرضية والتي لم يرَ أي سماوي مثلها بعالمه.. ولكنها كانت أكبر حجما بقليل وأكثر سرعة وشراسة.. انقضّت على جسده تنخر بأنيابها الحادة جسد (إنكي) لتنتزع في كل قضمة جزءا من جسده.. تزايد العدد باستمرار ليتجاوز بالفعل قدرة الخلايا على التجدد كما خطّط (ميرميكال).. دمّر الألم عقل (إنكي) من أثر القطع الذي ما انفك يغزو جسده كله لتبدأ دماء صفراء في أن تسيل على جسده.. فكّر (إنكي) لوهلة لا يصدق أن نهايته ستأتي على يد كائنات دنيا حقيرة مثل هذه القوارض.. ولكنه استعاد عزيمته وهو يتحمل ألمه مذكّرًا نفسه بأنه أحد الأسياد إن لم يكن أقواهم.. قام بالدوران حول نفسه بسرعة تضاعفت خلال لحظات ليصبح جسده مجرد خطوط غير واضحة، آلاف آلاف الدورات كان جسده

يدورها حول محوره خلقت موجة طرد مركزية هائلة منعت أي قارض من القدرة على الاقتراب من جسده.. ثم استحال الجسد الراقص حول نفسه كتلةً من ماء.. دوامة محدودة قوامها جسد (إنكي) المائي كانت لا تكف عن طرد قطرات من ماء للخارج في شكل خطوط لولبية متعرجة أحاطت بالدوامة الجسدية.. ثم تحركت دوامة (إنكي) لتنقض على جسد الساحر وقد استاء من طول الصراع وأراد إنهاءه على الفور..

ارتج على الساحر (ميرميكال) وهو يرى جسد جبار الماء يدور حول نفسه كإعصار ماء قاتل.. لم ير شيئا مثل هذا من قبل ولم يدر كيف يصد مثل هذا الهجوم.. إنها طاقته الأساسية وقد تجسدت فيه.. كان يعلم علم اليقين أنه لا يمكن لأي سحر التغلب على قوة فتاكة مثل هذه القوة، قوة قادرة على التسبب في تصدع العالم نفسه.. أحد قوى الخلق الأساسية في صورة مكثفة مركزة..

سارع بتفعيل عدة تعويذات يائسة بسرعة مستهدفا الجسد الثائر.. كل ما يستطيع استحضاره من قوى أساسية من نار وصخر وصواعق وتراب فشل في التأثير في الإعصار الهائج.. وصله الهجوم في لحظة ليضربه بمنتهى العنف ويمزق جسده لأجزاءٍ تطايرت بالهواء لا يتعدى حجم القطعة

الواحدة حجم إصبع اليد..

كف جسد (إنكي) عن الدوران ببطء حتى استعاد شكله المادي الخارجي، ونظر لأشلاء الساحر المتناثرة معقبا بهدوء:

- صدقت أيها الساحر.. لم يكن التغلب عليك سهلًا..

ثم أجال النظر في أطلال مدينة (أور)، المدينة التي تضررت للغاية وصارت أثرا بعد عين، وخلت تماما من سكانها والذي اتجه أغلبهم بالفعل نحو (إريدو).. في النهاية لم يكن استفزاز الساحر القرد له سيئا، لقد أتى أُكُله واستفزه هو شخصيا ليجعله يسحق (أور) ويستولي على قاطنيها.. ارتقى بجسده للأعلى ليحرك أصابع يديه برشاقة وهو يقول لنفسه وقد بدأت السحب تتجمع بالسماء وتصب شلالات من ماء لتصبح أشبه بنوافير من غمام، ثم قام (إنكي) بتحريك الماء كنحّات ماهر وهو يقوم بخلق عدة تماثيل حيوية من ماء تمثله هو شخصيا وهو يتمتم بخيلاء:

- لأترك بصمتي بوضوح.. بصمة تقول لقد مرّ جبار الماء من هنا..

٢٣- معركة المطر والأسهم

(الجزء الثاني)



آشور



كانت السهام تنطلق بسرعة جنونية لتخلق حولها موجات تخلخل الهواء، حاول التنين أن يتفادى أي سهم قادم ولكن اختل توازنه عدة مرات رغما عنها مع موجة التخلخل المصاحبة للأسهم المندفعة بقوة، أمسك (نينازو) بعنق (موشوسو) بقوة منحنيا بنصفه العلوي للأمام ليلتصق صدره وذقنه بحراشف ظهر التنين، وبدأ يطلق الأوامر بعقله المتخاطِر مع (موشوسو)..

هدَئ من سرعتك..

قام التنين بالتخفيف من سرعته وهو يقترب رويدا رويدا من المرتفعات..

حاول أن تحني رأسك وعنقك للأسفل أكثر وقم بفرد قوائمك الخلفية.. كوِّن سهما مفرودا منطلقا نحو الأمام بجسدك..

قام (موشوسو) بالامتثال ضاما جناحيه لجذعه ليبدو بالفعل كسهم حيواني أرقط متجسد مغطى بالحراشف منطلق بروية نحو المرتفعات.. حاول (نينازو) أن يرهف السمع ليلتقط أية أصوات تنم عن منطقة تواجد خصومه خلف المرتفعات.. كان يعلم أنه لحظة بلوغه أقصى القمم

ارتفاعا سيصير من الممكن رؤيته من أيّ كائن متواجد خلف المرتفعات.. سيكون هدفا سهلا حينئذ ولكنه يفكّر في عنصر المفاجأة، والذي يجب عليه استغلاله بأقصى سرعة وحنكة ممكنة ليحقق هدفه في قنص أي من السيدين إن لم يكن كليهما، فالمفاجأة ستكون متبادلة بين الطرفين ..

بدأ يسمع صوت حديث جنود وصلصلة أسلحة وعتاد.. هناك جيش إذًا يتربص بالخلف.. هذا متوقع..

خفِّفْ من سرعة تحليقك للحد الأدنى..

كاد (موشوسو) يلمس الأرض المنحدرة بزاوية شبه قائمة للأعلى، وبدت نهاية المرتفع قاب قوسين أو أدنى.. عدة أمتار تفصلهما عن الظهور للأعداء بشكل فاضح..

ارقد جاثما ولا تُصدِر أية حركة.. حاول ألا تتنفس إن استطعت لأطول فترة ممكنة..

أصدر (موشوسو) احتجاجا ذهنيا مبتورا قبل أن يمتثل.. ألصق قوائمه الأربعة وصدره وبطنه بالأرض، وحنى رأسه وكفّ عن الحركة والتنفس.. كتم (نينازو) النفس بدوره وهو يرهف السمع وسط ضجيج الأسهم المارقة بالجو.. صار حديث الجنود واضحا وميّز بعض الأحاديث.. بكثير من التركيز على اتجاه الأصوات أمكنه تحديد موقع تمركز

الجنود.. تأتي الأصوات من جهة اليمين قليلا وليس من أمامه مباشرةً.. قام بتوجيه التنين ليزحف جهة اليمين قليلا.. تتبع الأصوات موجِّها التنين زحفا حتى صار في مواجهة تمركز الجنود مباشرةً.. ترجّل عن متن التنين وبدأ يزحف ليبتعد عنه قليلا.. زحف بدوره جهة اليمين أكثر مبتعدا عن موضع تمركز الجنود.. زاد من ابتعاده عن التنين حتى توقف لمّا ظنّ أنه قد ابتعد بما يكفي..

مع إشارتي حلِّقْ بأقصى قوة وقم بتخطِّي القمة وانفث نيرانك بالجنود الذين ستجدهم بوجهك الجهة المقابلة.. أحرق كل من تجده أمامك..

أصبحت المسافة بينهما بعيدة ولكن لِقُوَّةِ التخاطر مدى يفوق مدى التواصل الطبيعي.. أكمل (نينازو) بسخريته المعهودة في كل الأوقات:

وحاول ألّا تمت!

ردّ (موشوسو) -قليل تبادل الكلمات التخاطرية أغلب الوقت- على استطرادة سيده الساخرة بردّ لاذع أكثر سخرية قائلًا:

لقد متّ من قبل مرة.. ليس الموت سيئًا لهذا الحدّ!

ثم أعقب قوله العقلي هذا بأن رفع عقيرته وخفق خفقةً

شديدة القوة بجناحيه ليرتفع متعديا قمة المرتفع مواجها الجنود بوجهه المخيف، فاتحا فكيه عن آخرهما مباعِدًا ما بين قوائمه الأربعة.. وبمجرد أن أصبح الجنود في مجال رؤيته نفث النيران باتجاههم مرارا وتكرارا.. وظل يحرك رأسه يمينا ويسارا ليتسع مجال النيران الفتاكة.. بوغت الجنود المرابطون بالنيران قبل أن يروا مصدرها.. انطلقت صيحات فزع وألم من حلوق المصابين بينما تفحّمت أجساد من لقوا مصرعهم بصمت.. عشرات الجنود احترقوا في لحظة واحدة وبدأت صفوف الجنود التي كانت تتبع نظاما معينا تتفرق وتتشتت من هول المفاجأة المريعة.. انتظر (نينازو) قليلا قبل أن يثب بدوره ليتجاوز حافة المرتفع مستغلا الهرج والمرج السائدين مع انقضاضة التنين، واضعا عينه وهدفه الأول على السيدين.. فالتنين قادر وحده على تولي أمر الجيش كله..

لمح بطرف عينيه نيران بشرية متحركة.. جنود اشتعلت النيران بأجسادهم فانطلقوا يتواثبون ويعدون برعب ممزوج بآلام لا يمكن احتمالها.. أجساد متدحرجة وأخرى راقدة ساكنة.. تتبّع مصدر الأسهم المتألقة ليكتشف أنه خلف تجمع الجنود.. إذًا السيد (آشور) يختبئ خلف جنوده ليقوم بقذف أسهمه.. يا لها من مسافة شديدة البُعد.. ويا لها من قوةٍ تلك التي يمتلكها هذا الساعد لتستطيع قذف سهم بهذا الحجم

من خلال هذه المسافة، فيظل محتفظا بقدرته على الاندفاع ويدمر صخور المدينة..

انطلق (نينازو) يعدو بسرعة وخفة في خطٍّ موازٍ للجنود متوغلا في العُمق خلفهم.. أراد تجاوز مسافة تساوي مسافة تواجُد الجيش ليصبح على نفس بُعد (آشور) عن المرتفع ولكن ببقعة جانبية موازية له تقع على يساره، ثم يقترب منه ليهاجمه من جانبه الأيسر الذي لن يتوقع مجيء أيّ هجوم منه أو تواجُد أي من خصومه.. لن يتوقع هجوما من الداخل، ينتظر هجوما أماميا أو مرافقا لهجوم التنين على الأقل.. زاد (نينازو) من سرعة عدْوِه حتى تجاوز وجود الجنود وصار متواجدا بخطٍّ موازٍ لمنطقة ما خلف خط الجنود بالفعل.. منطقة تواجد (آشور) المتوقعة.. عدّل من اتجاه سيره ليميل يسارا ويعدو بأقصى سرعته وقد استل خنجرا حديديا من ثنيةٍ بوسط دروع ذراعه.. كان الدخان يغطي كل شيء ويشوّش مجال الرؤية، ولكنه لم يرَ هذا عائقا بقدر ما اعتبرها نقطة تفوّق تعطي هجومه أفضلية التسلل خفية.. كان التنين يحلق فوق مستوى الرؤوس لينفث النيران بشكل أكثر فعالية ويحرق عددا أكثر من الجنود..

لمح (نينازو) سهما شديد اللمعان ينطلق من خلف الجنود ليصيب التنين إصابة مباشرة بإحدى جناحيه ويجعله يميل

جانبا.. تلاه سهم آخر استهدف الجناح الثاني ولكن مال التنين جانبا ليتفاداه.. أصبح التنين يقف أرضا الآن مما جعله غير مرئيا من قِبَل (آشور) مما أعطاه حماية مؤقتة استغلها في نفث نيرانه الغاضبة بوجه الجنود الذين تفرق جمعهم بشكل كلي..

برز (آشور) من قلب هرج الجنود المتفرق.. أو لمزيد من الدقة فوق مستوى الجنود.. بوغت التنين بجسد ضخم أسود لون البشرة غليظ قسمات الوجه مجدول شعر الرأس واللحية، مدججا بدروع وكنانة ضخمة معلقة بظهره مكتظة بالأسهم.. وزوج من أجنحة سوداء نابتة من منتصف ظهره ترفرف لتبقيه بالأعلى..

تمتم (نينازو) بدهشة ممتزجة بحنق:

- إنه مجنح!

أمسك (آشور) بسهم من كنانته، بمجرد أن لمست أصابعه السهم قام بقذفه للأعلى فوق رأسه ليتضخم حجمه على الفور، ثم أشار له بسبابته فانطلق من عقاله بقوة خارقة قاصدا رأس (موشوسو).. فكّر (نينازو) بأنها ليست قوة ساعده في النهاية.. إنه شيء أشبه بقوة التخاطر بينه وبين أسهمه..

نفث التنين نيرانه نحو السهم المنطلق فأحرقه وأسقطه أرضا متفحما كجثث الجنود.. أمسك (نينازو) بخنجره بقوة هامسا لنفسه:

- فرصة واحدة!

كان جسد (آشور) ضخما بحق.. يفوق حجم أجساد الأسياد المعهودة الضِّعف على الأقل.. أضف لذلك كونه مجنحا، وكذلك قوة أسهمه.. لا يعلم (نينازو) مدى قوة السيد (أداد)، ولكن هذا ال(آشور) سيكون خطرا داهما على (كيش) إن لم يتم اغتياله سريعا.. وربما إن لم يقتنص هذه الفرصة لن يستطيع خلق أية فرصة أخرى أكثر قابلية للنجاح..

ضيق عينيه ثم قام بقذف خنجره الحديدي بكل ما يملك من قوة ودقة قاصدا عنق (آشور).. شق الخنجر الهواء منطلقا بسرعة خارقة صوب العنق.. ولكن قبل أن يصل لجسد جبار الأسهم بمسافة يسيرة هوت عاصفة محدودة عليه من الخلف وقامت بتشتيته ليسقط الخنجر أرضا.. تنبه (آشور) للخطر الموشك ونظر لوهلة نحو الخنجر ثم نقل بصره ل(نينازو) المهاجم خفية.. في حين برز السيد (أداد) من جهة (نينازو) ممتطيا متن ثور فضي ضخم، بجسد ممشوق عضلي أصغر قليلا من جسد (نينازو)، عاري الجذع لا يغطي إلا سوأته بلفة قماشية فضية سميكة متعددة

الطبقات، وملامح وجه شابة دقيقة تعطيه سنا صغيرا، وزينت ذقنه لحية قصيرة مجدولة منمقة.. بدا كأمير مرفه أكثر منه إله للعواصف والمطر..

وكان يقول ل(آشور) محذِّرًا:

- خذ حذرك منه.. إنه ابن سيدَيْ العالم السفلي..

زمجر (آشور) ثم التقط سهما آخر وقذفه بقوة تخاطره نحو (نينازو) صائحا:

- وإن كان أحد السيدين حتى.. سأسحقه!

انطلق السهم المتضخم القاتل نحو (نينازو).. خالف (نينازو) كل التوقعات ووثب في الهواء نحو السهم بدلا من تفاديه المتوقَّع.. وقام بإخراج درعه المثبت بظهره بسرعة وخفة أثناء وثبته ثم تقوقع بجسده محتميا بالدرع الضخم، وعندما أصبح السهم قاب قوسين أو أدنى من لمس الدرع دفع (نينازو) بالدرع للأمام بكل قوته.. لم تسمح المسافة للسهم بالتضخم لحجم سابقاته لقرب المسافة، فقد كان حجمه يتضخم مع مرور مزيد من المسافة حتى يصل لحجمه الأقصى بعد مسافة طويلة.. هذا ما لاحظه (نينازو) من حجم السهمين الذين استهدفا (موشوسو)، واللذين إن كانا بحجمها الطبيعي كحجم المعبد لفنى التنين من أول

سهم.. لذا تلقى (نينازو) السهم على درعه وقام بضربه بزاوية معينة قاصدا توجيهه نحو (أداد).. ضرب السهم الدرع فامتصه الحديد الذي دعمته قوة جسد (نينازو) الخارقة ليغيّر مساره محتفظا بسرعته ويندفع نحو (أداد) المذهول الذي سارع بالوثب من على متن الثور مطلقا صيحة ساخطة مع مرآه للسهم المتضخم باضطراد، السهم الذي هرب منه بالكاد ليصيب جسد الثور إصابة مباشرة ويهشم رأسه، بينما اختل توازن (أداد) مع القفزة السريعة ليتدحرج جسده أرضا..

تطلّع (آشور) بدهشة للدرع مغمغما:

- هذا المعدن قادر على صدّ سهامي.. إنه ليس سماويا..

سارع (نينازو) بالركض نحو (آشور) معتبرا إياه خصمه الأكثر أهمية موجِّهًا (موشوسو) بعقله نحو (أداد).. اعتدل (أداد) ليفاجأ بالتنين يقف أمامه فاتحا فكيه عن آخرهما، سارع بإطلاق عاصفتين من بين يديه ليقابل نيران التنين الملتهبة ويصدّها عن جسده.. أمسك (آشور) سهما آخر وقذفه نحو (نينازو).. انزلق الأخير بجسده أرضا بمنتهى السرعة والخفة ليتفاداه ثم أكمل ركضه برشاقة.. زمجر (آشور) وهو يلقط سهما جديدا ولكنه التقطه بيده هذه المرة واستخدمه كسيف ليهوي به على جسد (نينازو) المندفع

نحو كسهم متجسد متقدّما برأسه للأمام ورافعا ساقيه للأعلى ليأخذ جسده وضعا أفقيا يخالف ويتحدى الجاذبية بسرعته.. حرّك درعه ليقابل به السهم ويشتته، ثم دار بجسده حول نفسه كدوامة أفقية ملتقطا خنجرا حديديا ثانيا شق به بطن (آشور)، ثم أكمل جسده اندفاعه حتى خلف (آشور) قبل أن يدور دورة كاملة رأسية حول نفسه، ليرتكز في نهايتها-بإحدى قدميه على الأرض مستخدما إياها كنقطة ارتكاز ثم ارتد جسده للخلف مرة أخرى نحو جسد (آشور) برشاقة جسدية خارقة، دائرا دورة رأسية خلفية حول نفسه ليصبح رأسه بين جناحي (آشور) وساقيه بالأعلى، فاستل خنجرا ثالثا وضرب به ضربتين متتاليتين جزت كل منهما أحد الجناحين من منبته.. ثم أكمل جسده دورته ليحطّ على قدميه أرضا بثبات..

انطلق التنين يعدو على قوائمة كحيوان أرضيّ -بعد فقدانه لإحدى جناحيه بسهم (آشور)- مهاجما (أداد)، ولسان اللهب المضطرم من بين فكيه لا يتوقف عن الضرب باتجاه جسد (أداد)، الذي لم يكف بدوره عن إطلاق عاصفته الهوائية التي دفعت النيران للخلف لتقيه شرها.. تحسس (آشور) موضع طعنة خنجر (نينازو) التي شقت بطنه ولكنها لم تنجح في النفاذ عميقا لدرجة قاتلة لضخامة حجم جسده وسُمك عضلاته، نظر لأطراف أصابعه التي تخضبت بلون دمائه

الصفراء المميزة للأسياد، ثم التفت نحو (نينازو) بنظرة تموج مقتا متحسسا منبتي جناحيه المنتزعتين، وغمغم مهددا:

- لن تفلت بهذا!!

انطلق (نينازو) يعدو بجرأة نحو خصمه مرددا بهمس:

- لماذا أنتم ثرثارون أيها الأسياد؟!

أيقن (آشور) أنه لن يجد وقتا لاستلال سهما جديدا، ناهيك عن قرب المسافة والتي ستجعل من سهامه عديمة الفائدة كسابقاتها، بالإضافة لخبرته الماضية مع (نينازو) والتي أثبتت أنه يمتلك معدنا قادرا على صد سهامه، لذا قرر مواجهته فرديا واستغلال فارق الضخامة لصالحه، وهكذا قابل انقضاضة (نينازو) بأخرى مماثلة ليميل نحوه بكتفه ليصد الجسد المندفع نحوه، راوغه (نينازو) بأن مال جانبا بسرعة ورشاقة مباغتا خصمه بأن استل سيفه من غمده وضرب به صدر (آشور)، بعد أن علم أن خناجره ستكون عديمة الفائدة لقصر نصلها وعدم قدرتها على التسبب في إصابات قاتلة بجسد جبار الأسهم، لذا استخدم سيفه كخنجر طويل نافذ..

ضرب كتف (آشور) الفراغ مع مراوغة (نينازو) ومال جسده للأمام ليسقط، وزاد من الطين بلة سرعة رد فعل

(نينازو) الخارقة التي مكّنته من استلال سيفه وتوجيهه نحو صدره، فبادر بتحريك ذراعه للخلف لتتلقى نصل السيف وتتضرر عضلاتها بشدة، ولكنها حمت الصدر من الإصابة القاتلة وأنقذت حياته، فقام بالاستدارة لمواجهة (نينازو) -بحذر هذه المرة- مستلا عدة أسهم ارتفعت فوق رأسه لتحلق بترقب، متراجعا للخلف بعد أن تيقّن من عبث مواجهة خصمه في نزال فردي..

وقف التنين وجها لوجه أمام (أداد).. نيران عاتية تشتتها عواصف مزمجرة.. تقابلت النار مع الهواء وقف كل منهما ندا للآخر.. عنصران طبيعيان أساسيان وقفا ندين لبعضهما البعض.. رفع التنين عقيرته مطلقا صفيرا مخيفا قابله (أداد) بأن تراجع بإحدى يديه للخلف متمتما:

- هذا السيد الوحشي أحد أسياد النيران.. الهواء يوقّف النار ولكن ما يئدها تماما هو الماء.. والذي تصادف قدرتي على خلقه!

تكوّنت سحابة لحظية فوق رأس التنين.. كان (أداد) يعي جيدا أنه لا يمكن خلق عنصري طبيعة معًا في وقت واحد.. فإنه مع خلق الماء سيتلاشى ما خلقه من هواء عاصف.. وهكذا وثب جانبا لحظة إخراجه الأمطار من قلب السحاب والتي تطلّبت توقف عواصفه ليقي جسده نيران التنين

اللاهبة التي أصبحت بلا رادع.. لا يمكن إطلاق قوتي طبيعة معا في آنٍ واحد.. انفجرت أمطار من قلب صواعق رعدية لتهبط على التنين وتغمر جسده بالماء، انطفأت النيران على الفور وإن أصاب طرف من اللهب صدر (أداد) وحرق جزءا من شعر لحيته القصيرة، أمال (أداد) رأسه وقد أتته الفكرة الدموية في لحظة، وبينما يحاول التنين مراوغة السحابة ليستطيع لإطلاق نيرانه قام (أداد) بخلق سحابة رعدية جديدة ولكن بجوف التنين، قاصدّا إخماد منبع النيران الرئيسي بأمطار داخلية تخمد منبع النيران للأبد وتتكفل صواعقها الرعدية بتمزيق أحشائه..

مع توقّف (نينازو) وإلقائه نظرة قلقة على سير نزال (موشوسو) و(أداد)، استغل (آشور) هذه الثواني القليلة الثمينة وتراجع للخلف أكثر معطيا المجال لسهامه لتصير أكثر فعالية، ولما ارتد ل(نينازو) طرفه سارع (آشور) بتحريك ثلاثة أسهم نحوه.. وقام بإبعاد الأسهم عن بعضها البعض.. فهاجم سهم من جهة اليمين وثانٍ من جهة اليسار وثالث اتجه مباشرةً نحو (نينازو).. ومع بُعد المسافة تضخمت السهام لتصير بحجم فاق حجم جسد (نينازو) بقدر يسير..

تحسس (زابابا) مقبض سيفه بقلق وهو يراقب الأفق الذي

صار صامتا بشكل منذِر بعد توقف سيول (أداد) وأسهم (آشور)، الصمت الذي يعني أن المحارب (نينازو) وتنينه يحاربان الآن حربا ضارية فردية ضد الجبارين الاثنين.. ورغم أن طول فترة الصمت وكفّ الجبارين عن الهجوم على المدينة يعني أن (نينازو) يبلي جيدا.. ولكنه شعر بأن هذا الأمر لن يدوم طويلا.. ورغما عنه شعر في قرارة أعماقه بمذاق مرارة خطأ إرسال محاربه الأقوى ووحشه المروَّض لخلف خطوط العدوّ لينازلا الجبارين الاثنين وحدهما..

٢٤- بورسيبا

عالم البشر..

قامت (نينشوبور) بإحكام ربط عقدة نطاق الحرير المطوّق لخصرها وهي تشهق من مفاجأة الانتقال بين العالمين، وجدت نفسها بقلب صحراء قاحلة لا زرع فيها ولا ماء على مدّ البصر، انتابها هاجس التيه بقلب المحيط الأصفر اللانهائي والذي كان أكبر مخاوفها منذ وافقت الحكيم (ماندانو) على هذه المغامرة المجنونة، مغامرة الانتقال من العالم السماوي للعالم البشري، ثم إيجاد طريقة للوصول ل(بابل) البشرية ودخول حدودها، ثم إزالة نطاق الحرير للانتقال للعالم السماوي ولكن بقلب (بابل) السماوية هذه المرة.. كانت هذه هي الطريقة الوحيدة مضمونة النتائج لاختراق الحاجز السحري الذي يمنع دخول هذه المدينة المحرمة- كما خمّن الحكيم.. وفي محاولة للاقتراب من (بابل) البشرية قدر الإمكان سافرت جهة الشمال الغربي، مرت غرب مدينة (إيسن) ثم تجاوزت (بورسيبا) لتتركها وتتجه شمال نحو (بابل).. ومع اقترابها من الأسوار قامت بوضع نطاقها الحريري السحري..

جدّت السير للأمام نحو الشمال معتمدة على اتجاه شمس الظهيرة التي ما زالت ترتفع لتتجه لمنتصف السماء.. هذا هو

الشرق، إذًا هذه جهة الشمال.. كان ذهنها متوترا بشدة من جراء الانتقال بين العالمين وما سيليه من خطوات خطة ارتجالية لم تقم بالتفكير في خطواتها حتى الآن.. سارت مسافة طويلة حتى نال منها التعب وشعرت بضربات قلبها تلطم صدرها بعنف.. رفعت لسانا تشقق من الجفاف محاولة ترطيب سقف فمها المتيبس.. قامت بإزاحة أطراف خصلات شعرها المجدول الذي التصق بذقنها بفعل ذرات العرق المنهمر.. مسحت العرق عن عينيها وجاهدت لتستطيع إبصار أية دليل على وجود بشري أو أي مصدر للماء على مر البصر.. تنهدت وهي تحاول جرجرة قدميها بتثاقل للتحرك من مكانها.. لا تريد لنفسها نهاية مثل هذه، ولا تريد عرقلة عملية البحث عن (إينانا) وإنقاذها بأي سبب حتى لو كان حتفها.. لذا شعرت بطاقة مضاعفة تسري بعروقها وزادت من سرعة سيرها بإصرار محاولة قطع أكبر مسافة ممكنة نحو أية بقعة مأهولة.. مالت الشمس للمغيب عندما شعرت بحرارة جسدها تتواثب للأعلى بجنون.. شعرت بالخدر يسري بجسدها وبدأت تقول كلمات غير مترابطة كهلوسة المصاب بالحمى.. توقف جسدها عن إصدار العرق في إشارة خطيرة لاحتياجه اليائس للماء.. ولم تدر بنفسها إلا وجسدها يسقط ليتوسّد أرض الرمال الملتهبة فاقدا للوعي..

استعادت وعيها لتشعر بجفنيها ثقيلين ككتلتين من صخر،

جاهدت لتفتح عينيها فما استطاعت إلا بعد عدة محاولات فاشلة، كانت الرؤية مهزوزة وحاولت التركيز وأصدرت أنّة ألم رغما عنها، شعرت بجسد يتحرك آتيا من بعيد، خشخشة حذاء جلدي لشخص يقترب، ونما لذهنها الذي بدأ يصفو تردد وقع الخطوات عاليا مما يوحي برحابة المكان.. بدأت الصورة تتضح ببطء لتلحظ سقفا ملونا زاهيا، قبل أن تقتحم مجال نظرها رأس حليقة لوجه شاب ثلاثيني يطلّ عليها بنظرات مهتمة رافعا حاجبين كثيفين وزاما شفتين رفيعتين، تطلّعت (نينشوبور) لوجهه الممتلئ وجسده المعتدل قبل أن تدفع راحتي يديها بالأرض لتعتدل في جلستها أرضا شاعرةً بتيبّس جمّد كل عضلات جسدها، حاولت تحريك ذراعيها وقدميها برفق، ومع شعورها بجفاف حارق يبطن سقف حلقها لم تنطق تاركة مجال الحديث للشاب الذي تمتم برقة:

- لقد أفقتِ أخيرا.. حمدا للإله (نابو)!

رددت (نينشوبور) بدهشة في سرّها:

- (نابو)؟

تراجع الشاب للخلف قليلا ليمنحها مجالا للتنفس، فلاحظت رداءه الكهنوتي من قلنسوة وحلية صدر وزخرفة ذهبية فوق الرداء، إنه كاهن، وأجالت البصر حولها بعينين أصبحتا تريان بشكل طبيعي لتدرك أنها بقلب معبد أغلب الظن.. معبد الإله

(نابو)..

تنهدت.. إذًا هي بمدينة (بورسيبا) الآن.. لقد عادت خطوة للخلف مبتعدة عن (بابل)..

سألها الكاهن وقد بدا قلقا:

- هل أنتِ بخير؟ نظراتك الزائغة تقلقني..

ابتسمت له مطمئنة، ازدردت لعابا شحيحا لتجيبه بصوت فاجأها كونه أجشا:

- أحاول معرفة أين أنا فقط لا أكثر..

أمسكت حلقها بدهشة، صوتها غريبا ليس كما اعتادته، مصاحبا بألم حاد بأحبالها الصوتية، وحانت منها التفاتة بجانبها لترى عدة قدور ممتلئة بماء وقد غمرتها خرق قماشية، وأدركت في نفس اللحظة أن ثيابها كانت مبتلة في أكثر من بقعة..

أشار لها الكاهن لترتاح مرة أخرى، استسلمت لقبضتيه وهما يريحان ظهرها على أرض المعبد الباردة، صدرت عن عينيها نظرة محتجة لكونها تضطجع على الأرض العارية فسارع الكاهن بالتفسير:

- لابد من مصدر برودة لجسدك.. لقد كان حارا كأتون

مستعر..

نظرت نحوه بتساؤل فقال لها:

- لقد وجدك بعض المارة فاقدة لوعيك بقلب الصحراء.. كانت مصادفة أنقذت حياتك لأنهم وجدوكِ بمنطقة ليس من الشائع مرور القوافل من خلالها.. وأصدقك القول كنتِ لتقضين نحبك لو مرّت عليك هذه الليلة بدون أن يتم إنقاذك.. لقد ضربتك الشمس بقوة وجففت من جسدك سوائله.. تم جلبك للمعبد مباشرةً بسبب ردائك الذي لا يبدو أنه يخص أحد العامة.. ولا أنكر أن تلك الرائحة العطرية التي كانت تفوح من جسدك لا يمكن أن تصدر إلا عن إحدى النبيلات أو الأميرات.. وهكذا قمنا -كهنة معبد (نابو)- بالتناوب على تغطية جسدك بالخرق المبللة، وكنا ننتهز لحظات عودتك لوعيك اللحظية لنقحم الماء البارد بفمك..

استوعبت خطورة وضعها السابق وشعرت بالامتنان لهؤلاء الكهنة، ثم جال بذهنها خاطر فسألته:

- لكم من الوقت ظللت فاقدة لوعيي؟

أجابها وشعور بالشفقة يبدو جليا في محياه:

- ثلاثة أيام..

ندت عنها صيحة دهشة آلمت حلقها الجاف فسارع بتحذيرها:

- لا تتكلمي كثيرا يا سيدتي.. سنكتفي بالسوائل الدافئة الآن لمعالجة حلقك بعد أن استعدتِ وعيك..

وجاهد ليكتم فضوله ولكنه اضطر للسؤال في الأخير:

- يتحرق جميع الكهنة لمعرفة قصتك.. من أنتِ ومن أين جئت؟

تنهدت (نينشوبور) ولم تردّ.. ستكون إجابة هذه الأسئلة عسيرة بحق.. ولابد أن يسارع عقلها المكدود بِحَبك أكثر قصة منطقية يمكن تصديقها بواسطة بشر مدينة (بورسيبا) معقل عبادة الإله (نابو)، أو كما تعرفه هي السيد (نابو) الحكيم الذي لا يورط نفسه في أية علاقات مع غيره من الأسياد، مكتفيا بحُكم شعبه وتأليه شخصيته بمدينته البشرية.. ألقت نظرة عابرة على نطاق الحرير المنعقد حول خصرها وجالت بخيالها فكرة عن رد فعل هؤلاء البشر إن كان أحدهم قد قام بنزع النطاق بالخطأ، تساءلت عن رد فعله حينها عندما يجد جسدها يختفي من أمامه.. ضحكت رغما عنها، سيجن حتما.. بينما نظر الكهنة لضحكها بقلق مفسرين إياه ببدء نوبة جديدة من الهلوسات..

تغلغل السائل الدافئ لينعش روحها، وشعرت بتأثيره الملطّف على حلقها، وبمرور الساعات تعاقب عدة كهنة لزيارتها والاطمئنان عليها، ولمّا بدا واضحا تماثلها شبه التام للشفاء وحانت لحظة الحقيقة، بدأت في سرد القصة كما تدربت عليها في خيالها طيلة الساعات السابقة..

قالت وهي تنقّل النظر بين وجوه الكهنة المهتمة:

- لأسباب سياسية سأضطر لإخفاء هويتي وهوية والدي ولكن لا يخفى عنكم أنني من طبقة النبلاء.. وتحديدا نبلاء (بابل) البشر.... أقصد مدينة (بابل).. وُلِدت هناك وتلقيت كافة وسائل التربية حتى وقت قريب.. مات والدي فاضطررت للفرار من قبضة عمي ذي المنصب الذي استولى على إرث والدي، وهددني أنا وأمي بالحبس والتنكيل إن لم نترك له المدينة بأسرها.. لم يكن لدينا من يقف بوجهه فاضطررنا للفرار.. أقمنا حينًا بمدينة (الوركاء) ولكن لم تتقبل أمي أسلوب الحياة الجديد المتدني بسهولة، وساءت حالتها النفسية حتى لاقت حتفها بعد فترة إضراب عن الطعام والشراب.. كدت أنال مصيرها لولا أن جاءتني الأخبار مصادفةً عن تولّي حكم (بابل) ملك عادل كان على صلة بوالدي.. زجّ بعمي الظالم بغياهب السجن ونادى في البلاد يبحث عني وعن أمي.. انتهزت الفرصة للاتجاه نحو (بابل)

لأسترد ما تم سلبه منِّي وإن كانت خسارتي لأمي لا يمكن تعويضها..

أطرقت أرضا وقد سالت دموع التماسيح على وجنتيها.. صوتها الآخذ في الضعف تدريجيا أثناء حديثها مع رقة ملامح وجهها التي لم تخلو بالفعل من سمت عرق نبيل، بالإضافة لقليل من النشيج المكبوت، وجد الكهانة عيونهم تفيض بالدمع وقد رق حالهم لها، وتعجبت (نينشوبور) نفسها إذ اكتشفت في نفسها هذه المقدرة التمثيلية الهائلة..

ردد الكاهن الذي كانت قابلته فور إفاقتها:

- الملك (نبوخذ نصر) الثاني عادل بما يكفي.. ليس بغريب عليه إعادة المظالم لأهلها..

حاولت (نينشوبور) ألا تبدو مهتمة وهي تنقل لعقلها هذه المعلومة شديدة الأهمية، والتي كان إعلان جهلها بها قادرا على نسف قصتها من أساساتها.. وتذكرت ما سرده عليها الحكيم من تاريخ بشري قبل مغادرته العالم السماوي مباشرةً، لم يتضمن هذا الاسم مما يؤكد ظنون الحكيم بأن تاريخ الأرض صار يسير بمعّدل أسرع بكثير من معدله بعالمها السماوي..

اقترب منها كاهن عجوز تدلت لحيته البيضاء على صدره

لتغطي حلية صدره الذهبية، ومع ابتعاد الباقي عنه احتراما خافضي بصرهم أيقنت أنه كبير الكهنة، أحنت رأسها في تعبير مماثل لما فعله باقي الكهنة فجلس كبير الكهنة أرضا في مواجهتها وابتسم لها قائلا:

- الإله (نابو) كان طيب القلب ليبعث لك بمن ينقذ حياتك.. ما زال لديك هدف سامي لابد من تحقيقه.. سنساعدك في العودة ل(بابل)، وسنؤيدك بمدد من بغال ومتاع ورجال لإعادتك لمدينتك الأم واستعادتك لحقك المسلوب..

لم يجانب الكاهن الصواب فيما يخص استمرار سعيها لتحقيق هدفها.. هدفها المتمثل في دخول (بابل) لبدء تنفيذ خطتها للبحث عن (إينانا).. سيفيدها كثيرا ما سيقومون بإمدادها به من ما يكفيها من مساعدة للوصول ل(بابل)، بدون التعرض للتيه أو السلب أو الاختطاف أو أي ضرر وارد الحدوث بهذا العالم الهمجي.. ولكنها فكرت في ضرورة وضع خطة تجعلها تنفصل عنهم بمجرد ولوجها أسوار (بابل)، وإلا فسينكشف أمرها على الفور..

وهكذا وبعد أن قامت بشكر جميع كهنة المعبد، وأعطوها رقيما دقيقا أصغر من حجم كفها الرقيقة منقوش عليه اسم الإله (نابو) بشكل شديد الفخامة والمهارة، ونصحوها بوضعه في عنقها كحلية تحميها من الشرور.. فوضعته عن

طيب خاطر ليتدلى النقش على صدرها بمهابة ويضيف على شخصيتها سمتا ملكيا..

وبدأت رحلتها نحو (بابل) وذهنها لا يكف عن التفكير بقلق في مصير سيدتها (إينانا).. كانت رحلة قصيرة قضتها على متن بغلة وكان الجميع يحرصون على خدمتها وكأنها أميرة بحقّ، إذ كانت توصية كبير الكهنة أن تعامَل على هذا الأساس.. انتهت بأن رأت نفسها تحدق في الأسوار الضخمة ل(بابل).. وترتجف..

٢٥- نبوخذ نصر الثاني



نبوخذ نصر

(بابل) البشرية.. قصر الملك (نبوخذ نصر) الثاني..

توقف كل من (نينكرسو) و(نانشي) أمام حارسين ضخمي الجسد مدججين بالدروع والأسلحة، منعاهما من المرور قدما في حين بدا وجه عجوز من خلفهما ينظر بفضول للزائرين غير المدعوين، سائلا باهتمام:

- من منكما مفسر الأحلام؟

شدت (نانشي) قامتها وهي تردّ بقوة:

- أنا (نانشي) مفسرة أحلام مدينة (لكش)..

قال محدثا نفسه بصوت مرتفع:

- (نانشي)؟ كالإلهة (نانشي) إلهة الأحلام.. هذا مبشّر وأتمنى ألا يكون مبالغا فيه من طرفك بتبنيكي اسم إلهة..

بدا الذهول على وجه (نانشي) غير مصدقة ما تسمعه، فسارع (نينكرسو) بالضغط على معصمها خفية منبها إياها لعدم إظهار انفعال شديد، فتنبهت على الفور وأبدت شيئا من اللامبالاة قدر المستطاع وهي تقول:

- سيرى الملك بنفسه صدق اتخاذي لهذا الاسم..

ابتسم لها وقد بدا تفاؤل يغزو ملامح وجهه، ثم سألها باحترام ناظر شذرا نحو (نينكرسو) ملمّحا لقوامه ولباسه

الحربي:

- ومرافقك المحارب هذا؟ هل سيلازمك أثناء مقابلتك للملك (نبوخذ نصر) الكبير؟

أجابته بلهجة لا تقبل النقاش:

- حارسي الشخصي يلازمني كظلي.. لقد أقسم على هذا..

سارع العجوز بالقول:

- لا يوجد ما يمنع دخوله لمقابلة الملك معك ولكن كمرافق و ليس كحارس..

ثم أشار نحوه مادا ذراعه براحة يد مفتوحة مغمغما بلهجة شبه آمرة ولكن بلباقة:

- وهذا يعني تخلّيه عن أسلحته..

اضطر (نينكرسو) لإبداء التذمّر كما يفترض بحارس شخصي سيتم تجريده من سلاحه، وقام باستلال سيفه بتثاقل ليضع مقبضه بيد العجوز، ثم انحنى ليُخرج خنجرا ماضيا من ساقه اليمنى، ثم أخرج شوكة ثلاثية عجيبة الشكل من جراب خلف ساقه اليسرى، قام أحد الحارسين بتجميع الأسلحة الثلاثة ووضعهم جانبا قبل أن يشير لهما العجوز بالدخول لحضرة الملك المهيب (نبوخذ نصر) الثاني..

وبينما يتمشى الاثنان معا عبر رواق فخم يفضي للقاعة الملكية، تظاهر (نينكرسو) بالتحديق بانبهار في رسومات الجدران الحيوانية المتقنة ذات الألوان البراقة الزاهية، وهو يتمتم ل(نانشي):

- تحكمي في انفعالاتك.. ليس من المستبعد أن يتخذك البشر إلهة بعد اختفائك من (لكش) والذي يبدو وأنه استغرق شهورا.. لقد اتخذوني إلهًا من قبل أن أغيب عنهم حتى.. لديكِ ماضٍ مذهل..

حاولت أن تخرج الكلمات هادئة من بين شفتيها وهي تردد:

- إلهة.. هذا يتعدى حدود الخبر المفرح!

انخرط (نينكرسو) في تظاهره بالتحديق في الرسومات الجدارية ليستغرق جديا في الانبهار بهذه التفاصيل التي لطالما أبهرته بالأرض، خاصةً ما يتعلق بالحيوانات بشكل خاص.. لذا حان دور (نانشي) لتلكزه بقدمها متنحنحة منحنية قائلة:

- حضرة الملك العظيم.. يشرفنا لقاؤك..

انتبه (نينكرسو) فسارع بتقليد فعلها والانحناء للملك رغم رغبته المتقززة من هذا الفعل لبشري مهما بلغت مكانته، ثم اعتدل ليحدق في ملامح الملك الذي جلس على كرسي

عرشه الخشبي البراق والمزين بالأحجار الملونة التي طعّمت مسندي اليد والرأس.. وجه مليح قمحي اللون يملك حضورا شديد القوة، عينان واسعتان مكحولتان بكحل سميك حالك السواد ضاعف من حدة نظراته وتأثيرها، أنف معقوف ضخم ووجنتين ضامرتين ولحية سوداء مجدولة طويلة مستدقة الطرف السفلي، كان يرتدي عباءة يمتزج فيها لونان فيروزي وأحمر، تركت كتفه الأيمن عاريا لتنسدل وتغطي أسفل جسده، وحواشي متألقة بلون أزرق تفترش الأرض.. وتاج ذهبي مخروطي يعتلي رأسه ويغطي شعره الأسود المجدول الطويل.. وقف خلفه عبدان مفتولي العضلات سود لون البشرة يقوم كل منهما بتحريك مروحة عريضة الريش لتجلب هواءا متجددا لوجه وجسد الملك، بينما افترش الأرض زوج من الجواري خلف صحيفة ممتلئة بالفواكه أسفل كرسي العرش كانتا تحدقا بفضول لوجهي الزائرَين..

تجاهل الملك الزائرَين تماما بادئ ذي بدء وكأنه لم يلحظ وجودهما وهو يتبادل حديثا مع العجوز الذي قام بإدخالهما للتوّ:

- أريد أن يكتمل إعداد الجيش قبل انتهاء الصيف.. لقد سمعت أن المصري (أحمس) الثاني لديه من الجيوش ما يجعله قادرا على تكرار فعل الفرعون (نخاو) والزحف نحو

(بابل).. ما زال ل(آشور) ذيول رغم فنائها الفعلي..

قال له العجوز وقد بدا أنه الوزير الأكبر:

- لقد تم سحق (نخاو) وجيوشه حينها أيها الملك العظيم على يد أبيك الراحل..

قال له (نبوخذ نصر) بعينين تبرقان بانفعال:

- ولكنهم تجرأوا على تأليب (يهوذا) ضد (بابل).. هؤلاء المصريون الملعونون.. بسبب دعمهم السري اضطررنا لسحق (يهوذا) مرتين.. وأصبحت (بابل) تموج بالسبايا اليهود.. ولكن توقفت جيوشنا عند بوابة (مصر) الشرقية بعد تدميرنا الأخير ل(أورشليم) واضطررنا للعودة..

- هذا لن يحدث مجددا سيد الملك..

أشار نحوه (نبوخذ نصر) بسبابته آمرا باهتمام:

- اجزل العطاء للمرتزقة اليونانيين في جيشنا.. إنهم قوتنا الباطشة..

أومأ كبير الوزراء برأسه موافقا الملك على كلامه، صمت الاثنان قليلا قبل أن ينظر الوزير نحو الزائرين، فنقل الملك نظره نحوهما وهو يشير بيده قائلة بصوت رخيم:

- أنرتما (بابل) العظيمة.. أتمنى أن لا تكونا قد لقيتما في

سفركما هذا نصبا..

لم يرد (نينكرسو) تاركا مهمة الحديث الدبلوماسية ل(نانشي) المتمرسة التي قالت باحترام مدروس وكلمات منمقة:

- مجرد رؤيتنا لجلالتك محت كل ما حلّ بنا من تعب واستبدلته بامتنان للآلهة..

ردد (نينكرسو) كلماتها بينه وبين نفسه ساخرا، بينما بدا الرضا واضحا على قسمات وجه الملك، ثم تبادل نظرات سريعة مع كبير الوزراء قال له بعدها:

- أتمنى أن تكون قد وجدت من يستطيع تفسير حلمي الأخير أيها الوزير الحبيب..

فهمت (نانشي) على الفور أن الوزير أخبر (نبوخذ نصر) أنه هو من قام باستدعائها وليس كون مجيئها كان بمحض الصدفة له، ولكنها تجاوزت عن هذا الأمر مرددة بينها وبين نفسه أنه وزير خبيث حقا لا يتورع عن الكذب بمنتهى القوة من أجل مضاعفة رصيده لدى الملك من ولاء وتمكّن، وسارعت بسؤال الملك:

- هل يمكن للملك العظيم أن يخبرني عن الحلم وسأقوم بتفسيره له على الفور؟

تسلل غضب سريع لملامح وجه الملك وهو يقول لها:

- يبدو أنكِ لستِ على علم بما يريده الملك حقا!

نظرت نحوه (نانشي) بقلق، لم تفهم ما يعنيه بقوله هذا، بينما بدأ (نينكرسو) يفكر في خطة سريعة للخروج من هذا المأزق ان استدعى الأمر ولو بالقوة، ولكن سارع الوزير بإصلاح ما فات (نانشي) من غموض قائلا:

- بالطبع تعلم مفسرة الأحلام الحكيمة أن الملك العظيم يرفض ذكر تفاصيل الحلم كنوع من جعل الأمر مستحيلا لأي مدعي علم، وهكذا لن يستطيع أن يهبَّ لتفسير الحلم إلا من لديه الموهبة بالفعل..

(نانشي) لديها الموهبة بالتأكيد ولكنها ليست بهذه القوة التي تجعلها تستنبط الحلم وتقوم بتفسيره.. لقد علقت الآن ولن تستطيع الخروج من هذا الموقف العسير..

هناك نوعان من مفسري الأحلام كما تعلم (نانشي) علم اليقين.. نوع يستطيع فهم الرموز والإسقاطات ومعاني محتويات الحلم ويقوم بتفسيرها.. هذا هو النوع الحقيقي.. وهناك نوع آخر يعتمد على فراسته في تفسير الأحداث وربطها بشخصية الحالم ورغباته الدفينة وماضيه وحاضره، وهذا هو النوع المزيَّف.. ولكن نوعها هي لا يخضع لأي

تصنيف.. عمليًا هي ليست مفسرة أحلام.. ما تراه لا يمكن تصنيفه تحت مسمى الأحلام.. فهي ترى رؤى حقيقية لشذرات من المستقبل.. تراها وتعايشها وكأنها واقع مسموع وملموس ويمكن شمّه.. ولا يمكنها اختيار مكان الحلم وأشخاصه، الحلم فقط هو من يتحين اللحظة المناسبة لفرض نفسه على عقلها.. ويختار حتى توقيت هبوطه عليها سواء أكانت نائمةً أم مستيقظة.. وبهذا المنطق فقد فشلت مهمتها مع (نبوخذ نصر) فشلا ذريعا بعد أن كانت تنوي انتحال شخصية مفسر الأحلام ذي الفراسة.. والآن عليها أن ترتجل قبل أن يقوم الملك باتخاذ إجراء تأديبي عنيف ضدهما..

صمتت.. فهم (نينكرسو) من صمتها أنها قد حارت جوابا.. تحسس غمد سيفه الفارغ منتظرا رد فعل الملك أو وزيره.. تبادل الجميع نظرات صامتة باردة وبدا أنه لن يقوم أحد بالمبادرة بالحديث.. حتى سمع الجميع صوت جلبة آتية من الخارج..

(لا تدعوا مفسرة الأحلام تخدع مليكنا.. لقد جئنا بمفسر أحلام حقيقي..)

نظر الملك بدهشة نحو مدخل القاعة الملكية، في حين استطاع الوزير استنباط صوت أحد كبار الكهنة ممن يعملون

في التنجيم والتفسير الأحلام، والذين فشلوا في اختبار الملك في تفسير حلمه الغامض، مما أعطاه -الوزير- الفرصة للوثوب عليهم والتفوق في الحرب الضروس التي لا تتوقف بينه من جهة وبين الكهنة من الجهة الأخرى، والتي كانت تدور هذه الجولة حول من يستطيع الظفر بمفسر أحلام لينال حظوة لدى الملك.. وبعد أن خيبت مفسرة أحلام (لكش) أمله ها هم الكهنة يأتوا بالضربة القاضية له.. مفسر أحلام حقيقي على حد زعمهم..

أشار الملك للوزير ليسمح لهم بالدخول، فأفسح الحارسان المجال ليدخل لفيف من الكهنة يتوسطهم شاب نحيف ثاقب النظرات هادئ ملامح الوجه يرتدي أسمالًا ممزقة.. يهودي الأصل بشكل لا يقبل الشك.. فسارع الوزير بالانقضاض على الكهنة سائلا باستنكار:

- تأتون للملك بأحد سبايا (يهوذا) ليقوم بتفسير حلمه؟ هذا مهين!

أرد أحد الكهنة الردّ ولكن سارع الملك بإسكاته بإشارة من يده، ثم التفت للوزير قائلا بصرامة:

- إن كان الرب (مردوخ) وهب أحد رعاياه هذه الموهبة فلن ننظر لأصله مهما كان وضيعا.. وإن كنت أفضل أن أسمع رأي مفسرة (لكش) أولًا..

ارتج على (نانشي)، لقد رأت هذا الفتى النحيل في حلم قديم، رأته يجلس بمخبأ سفلي يتمتم هامسا وحوله زوج من أسود يلعقان قدميه، إنه ليس بأقل من نبيّ أو ساحر.. وسيستطيع بكل تأكيد تفسير الحلم..

بادرت الملك بسرعة بديهة:

- اعذرني يا مولاي الملك.. لتنفيذ طلبك أحتاج لبعض الأدوات والمواد السحرية.. تركتها مع قافلتي عند بوابة (عشتار).. أمهلني قليلا من الوقت لأجلب كل ما سيساعدني على تفسير الحلم بنجاح..

صمت الملك صمتا نشر الرهبة بالمكان، فكر قليلا قبل أن يتنهد قائلا للوزير:

- حسنا.. لكِ ما أردتِ.. ارسل معهما زوج من أقوى حراسي حتى نتيقن أنه لا مهرب لهما.. إن كانا مدعيين فسينالهما مني أشد العقاب، وإن كانت مفسرة أحلام حقا فسيفيدني مقارنة رأيها برأي هذا اليهودي..

ثم التفت نحو الكهنة يسأل:

- ما اسمه؟

أجابه كبيرهم بسرعة:

- (دانيال).. النبي (دانيال) الذي ذاع اسمه بين اليهود كشخص لديه تواصل مباشِر مع الرب..

وجد الوزير ثغرة فسارع باستغلالها بدهاء:

- هذا كفر! هذا تجديف بيِّن يجب أن تُعاقبوا عليه! لا يوجد رب سوى (مردوخ)!

فتح (دانيال) فمه ليقول بهدوء وجرأة:

- لدى إلهكم اسم؟ هذا منافٍ للعقل والمنطق!

أمسكه الكهنة من كتفيه ليكفّ، بينما استشاطت عينا (نبوخذ نصر) شررا وقام من مجلسه يصيح بنبرة مخيفة:

- أتجرؤ على أن تهينني بقصري أيها اليهودي الحقير؟!

ابتسم الوزير بخبث متراجعا للخلف، بينما حاول الكهنة إسكات (دانيال) وكبيرهم يعتذر للملك قائلا بكياسة:

- اعذر الفتى على تطاوله.. إنه ليس بكامل عقله.. لقد أفسدت موهبته حسن حكمه للأمور.. دعنا نستفيد منه في تفسير الحلم ثم لتفعل به ما تشاء..

تذكرت (نانشي) حلمها ذو المخبأ السفلي وزوج الأسود فعلمت يقينا مسبقا مصير هذا النبي، فسارعت بالاستئذان من الملك لتغادر:

- اعذرني أيها الملك العظيم.. سأسارع بجلب ما يفسر حلمك..

تدخّل (نينكرسو) للمرة الأولى وقد راقه تأثير ما حدث عندما تحدث النبي:

- وليحيا الإله (مردوخ)!

أشار لهما الملك بالمغادرة، فتقهقهرا للخلف قبل أن يغادرا القاعة، ونظرات النبي (دانيال) لا تفارقهما..

رافقهما زوج من الحراس ولكن على مبعدة وراءهما، سأل (نينكرسو) رفيقته (نانشي) على الفور:

- هل لديكِ خطة؟

قالت هامسة بحزم:

- لن نعود لهذا القصر مجددا!

- ما الذي تعنيه؟ هل سنهرب؟

- لا أدري يقينا ما الذي سيحدث.. ولكنه التوقيت.. الآن هو التوقيت المناسب للتواجد عند بوابة (عشتار)..

- التوقيت المناسب لماذا؟

قالت بإيجاز غامض:

- لتنفيذ الحلم.. لتحقيق هدفنا الأساسي من دخولنا (بابل)..

سألها بذهول:

- ألم يكن هدفنا الحقيقي هو التقرّب من الملك لحين موته؟

- إن هذا هو الهدف بالفعل.. بمعنى أدقّ كان الهدف بالفعل حتى رأيت الرؤيا بمنتصف رحلتنا، والتي أجبرتني على تأخيرها لضبط توقيت تواجدنا مع هذا التوقيت الذي أشعر به الآن.. قوة وتفاصيل الحلم تأمرني بالاتجاه الآن هناك.. ولندع الباقي يحدث كما أراد الحلم..

- أتثقين في أحلامك لهذه الدرجة؟

قالت بهدوء:

- ما حياتي إلا سلسلة من تنفيذي لأحلامي..

ثم رمقته بنظرة خاطفة مكملة:

- كنت أنتظرك منذ سنين لتنفيذ مخطط احتلالنا ل(أوما).. رأيتك ورأيت خططك ومعركتك الأخيرة ضد القائد (شارا)..

ثم أكملت بتصميم تاركة إياه يتأملها بانبهار:

- لنكمل هذا الجزء من سلسلة أحلامي.. فأنا أتشوق لمعرفة مستقبلي بعد هذه اللحظة..

لم تعقِّب ولم تفسر.. ولم يسألها..

وهنا.. سنعود قليلا بالزمن للوراء.. قبل دخول (نينكرسو) و(نانشي) القصر، وبعد دخولهما (بابل) بلحظات.. حيث كان موكب الملك (نبوخذ نصر) الثاني يمر عبر شارع المواكب الرئيسي متجها لقصره الجنوبي.. حيث توقفت فتاة شابة رقيقة الهيئة والروح ترمق الموكب بإعجاب وإكبار، مصفقة بيديها كالأطفال وجذل يطل من عينيها.. تابعت الموكب مدققة النظر في ملابس الرجال والنساء وألوانها الزاهية.. وأطلت الدهشة من عينيها لما رأت كلبا يسير خلف صاحبه، طاردته بنظراتها ثم سارت خلفه وهي لا تستطيع رفع نظرها عنه.. لا تعلم لأين تذهب ولكنها لا تملّ من النظر لهذا الحيوان الذي لم تره من قبل.. أخذها المسير حتى بوابة (عشتار).. كانت مُطْرِقَةً تسير خلف الكلب فلم تنتبه للجسد الذكوري الضخم الذي ارتطمت به بعنف، ومع رقة جسدها ارتدت للخلف لتسقط على ظهرها، ولكن بدرت عن الشخص ردة فعل سريعة للغاية وهو يميل نحوها ويلتقطها بذراع قوية، رفعت عينيها لترى وجه الشخص الذي رفعها بيسر لتقف في مواجهته.. اتسعت عيناها بذهول لما رأت وجه (نينكرسو)

الذي تحفظه والذي لم تتوقع أن تراه مطلقا بهذا العالم، ورددت بحبور:

- السيد (نينورتا)؟

ابتسم لها (نينكرسو) الذي لم يكن سوى (نينورتا) وهو يردد بدهشة ممتزجة بالفرحة:

- الجميلة (نينشوبور)!

ثم احتضنها لتختفي بين ذراعيه الضخمتين مغمغما بشرود:

- رؤيا (نانشي).. أنتِ إلهة حقا!

سمعته (نانشي)، وراقبته بغيظ وهو يعتصر جسد (نينشوبور) بلهفة، وهمست حانقة:

- أقسم بجميع الآلهة إنني إن كنت قد رأيت هذا العناق بالحلم لَمَا أرشدتك إليها!

٢٦- معركة المطر والأسهم

(الجزء الثالث)

شعر التنين (موشوسو) بالسحابة تتكوّن بداخله وتتضخم، كان شعورا لم يشعر مثله من قبل ولم يعتقد أنه سيختبر شيئا مثله، لم يتوقف عن نفث النيران رغم إحساسه بدنوّ أجله، وجود مصدر دخيل لإحدى قوى الطبيعة النقية بداخل جسده لن يمكّنه من تفادي ضرره القاتل، راودته ذكريات من حياة ماضية عاشها كأحد الأسياد غير الوحشية، ورغما عنه وجد نفسه يستدعي لذاكرته بسخرية أنه لو كان سيدا غير وحشيا لما استطاع خصمه خلق قوة طبيعة بداخله، لا يعرف لماذا هو موقن من صحة معلومة مثل هذه ولكنه شعر بها تتسرب لوعيه في لحظاته الأخيرة من حياته وكأنها حقيقة مسلَّم بها، مما جعله يظن أن ما جعله قابلا لخدعة مثل هذه هو كونه سيدا وحشيا فقط والذي هو مصدر قوته وخشية الجميع منه.. ويا للمفارقة!

قرأ (نينازو) أفكاره السوداوية.. شعر بما يشعر به.. لمح بطرف عينه ثلاثة من السهام الضخمة تنقض عليه من ثلاثة اتجاهات.. تواثب للخلف بدون أن يدير ظهره للأسهم أو عينيه عنهم مرسلا رسالة عقلية ل(موشوسو) تمنى ألا تكون

الأخيرة..

إن لم يكن من الموت بدٌّ فلا تمت وحدك!

أدرك التنين مغزى سيده فأطلق هديرا مروِّعا وهو يسارع بالركض نحو خصمه بكل ما يمتلك من سرعة وقوة.. بآخر ما يمتلك منهما.. خفق بجناحه السليم ليزيد من سرعة عدْوِه.. تألقت عينا (أداد) وهو يصفق بيديه آذنًا للسحابة الداخلية بإفراغ مكنوناتها من برق ورعد وأمطار.. استنفر التنين إرادته ليطلق لسانا من لهب احتوى كل ما يمكن أن يطلقه من نيران.. ولكنه وجد النيران تخبو رغم محاولته إطلاقها بكل قوته.. غمرت المياه أعماقه وأحشاءه لتخمد مصدر نيرانه للأبد.. أكمل التنين ركضه نحو (أداد) وعلى وجهه الحيواني ارتسمت تكشيرة مخيفة بحقّ حملت كل ما يحمله من رغبة في الثأر.. وثب نحو (أداد) في نفس اللحظة التي انفجرت الصواعق الرعدية بجوفه لتمزق أحشاءه.. صاح بألم رهيب والدماء الصفراء تتفجّر من خلال ثقوب جسده للخارج مختلطة بقطع من أعضائه الداخلية، تتبعها خطوط فضية من برق اقترن بها رعد هادر، وكأن جسد التنين المتمزق أصبح غيمة حيوية نشِطة قوامها أشلاء متناثرة ودماء صفراء اندفعت بقوة لتغرق جسد ووجه (أداد)، لينتهي وجود التنين (موشوسو) للأبد هذه المرة فاشلا في جذب

جبار الأمطار وعواصف معه للعالم السفلي..

كان (نينازو) يثب بخط متعرج للخلف مركزا نظره على الأسهم الثلاثة التي اتحدت لتعدّل مسارها مع ابتعاد هدفها عن محطّة نهايتها المفترَضة، لتهجم على جسده مباشرةً، ولما وصلت جسده تقوقع كعادته محتميا بدرعه الحديدي، ولكن كانت قوة الانفجار أعنف من كل سابقاتها هذه المرة لضخامة حجم الأسهم، لتدفع بجسد (نينازو) يتدحرج للخلف بعنف بعد أن حطمت درعه ومزقت خوذته لتنز الدماء الصفراء على جبهته وهو ملقي أرضا يحاول التقاط أنفاسه..

أزاح (أداد) أشلاء ودماء التنين عن وجهه وصدره باشمئزاز، ثم نظر ل(نينازو) الذي كان يحاول القيام رغم إصاباته، ابتسم بتشف وهو يقول ل(آشور):

- لقد انتهيت من أمر السيد الوحشي.. أتريد قليلا من المساعدة؟

تراجع (آشور) بجسده للخلف معطيا مسافة أكثر بُعْدًا لأسهمه لتصبح عملاقة بما يكفي لسحق جسد (نينازو) في هجمة أخيرة قاضية وهو يقول بلهجة قاسية:

- لقد انتهى أمره بالفعل!

نقل (نينازو) نظره بينهما شاعرا بصدق أنه لن ينجو

من نزال ثنائي ضدهما بعد خسارة تنينه ودرعه الحديدي وبنجاح (آشور) في الابتعاد عنه بما يكفي، ولكنه فكّر في الهزيمة بشرف وبما يجعل خصميه لا يحتفلان بهزيمته، لذا قصد أن يهاجم (أداد) الأقرب نسبيا والأضعف جسديا، وليحاول النيل منه قبل موته بسرعته التي سيحاول جعلها تتفوق على سرعة أسهم (آشور)، كما قال ل(موشوسو) في لحظاته الأخيرة إن كان لابد من الموت فلن يمت وحده..

اعتدل بسرعة مباغتا (أداد) بأن انطلق يعدو نحوه وهو ينخفض ليضع يده بثنية بدرع ساقه بدون أن يخرج ما بداخلها مغمغما بهمس:

- مفاجأة أخيرة أيها الحقير!

تراجع (أداد) بدهشة أكثر منها خوف لا يصدق مدى قوة إصرار وعزيمة خصمهما الذي هو في عداد الأموات بالفعل، ولكن لم تمنعه دهشته من تحريك يديه في دائرة ليكوّن عاصفة قام بقذفها نحو خصمه المندفع بانتحارية، بينما رفع (آشور) ذراعيه لتبرز فوق رأسه خمسة أسهم همّ بتحريكها كلها لتندفع نحو (نينازو) المهاجم، مقاوما شعوره بالإعجاب بهذا المحارب الذي لا يكف عن الهجوم حتى بعد أن أيقن من حتمية هزيمته ومصرعه..

(الأسهم الحديدية.. الآن!)

برز (زابابا) قائل الصيحة السابقة ليبرز يعدو فوق قمة المرتفع ومن خلفه عشرة من قاذفي أسهم تم اختيارهم سلفا من قبل لمهمة مثل هذه، وهي قذف أسهم ثقيلة حديدية لا يقدر السماوي العادي على قذفها بسهولة لتعبر مسافات بعيدة محتفظة بقوتها، مجموعة بدت سواعد كل فرد منهم منتفخة بالعضلات التي تم تدريبها جيدا من أجل لحظة مثل هذه، اندفع (زابابا) يعدو شاهرا سيفين معقوفين حديدين متجها نحو (آشور) بعد أن لاحظ بسرعة بديهته أن (نينازو) كان يهاجم (أداد)، مطلقا صيحة مزلزلة..

كانت هذه هي خطة (زابابا) التي يعتمد عليها في مفاجأة السيدين الجبارين وجيشهما بعد أن يرهقهما (نينازو) وتنينه في نزالات فردية، لم يكن هناك طريقة للنصر عليهما بشكل مباشر، لابد أن تكون هجمات استنزافية مركزة، وهذا ما نجح في فعله (نينازو) بتسلله واستنزافه للجبارين الاثنين، مما حمى المدينة من الدمار تحت وطأة أسهم (آشور) لانشغاله بالنزال الفردي ضد (نينازو)، كما أعطى الوقت ل(زابابا) للتسلل مع صفوة جنوده من الرماة بدون أن يلحظهم أحد مستغلا عنصر المفاجأة، ولاحظ بحبور جثث الجنود المتفحمة والتي كانت متناثرة على مدّ بصره، ثم انقلب حبوره لألم مع عدم رؤياه للتنين (موشوسو) وإن لم

تفت عينيه الخبيرة رؤية كومة الأشلاء والدماء الصفراء حول جسد (أداد)..

تجمد (أشور) لوهلة مع رؤياه لثلة الجنود المهاجمة، استطاع أن يلمح الأسهم المتطايرة نحوه والتي خمّن أنها ستكون من نفس المعدن الذي جرحه منذ قليل والمصنوع منه خنجر (نينازو) ودرعه، لذا كفّ عن هجومه بالأسهم على (نينازو) واختار أن يحمي حياته، فتراجع للخلف موجِّهًا الأسهم كلها لتنفجر أمام جسده مكوِّنة كتلة مضيئة أعاقت سيل الأسهم المندفعة وشتتها حوله، في نفس اللحظة التي كان (نينازو) يقذف بجسده أرضا ويضرب بسيفه الأرض لينغرس النصل عميقا بالأرض محوِلّه إياه لوتد ثبّت جسده ليقاوم قوة طرد العاصفة، أنّت عضلات جسده بقوة وهو يتشبث بكل قوته بمقبض السيف بكلتا يديه والرياح تحاول دفع جسده للخلف، تطلع (أداد) بذهول لما يحدث غير مصدقا أنه أمكن لشخص -حتى وإن كان من الأسياد- أن يتغلب على قوة عاصفته جسديا، ولما تجاوزت العاصفة (نينازو) تخلى عن سيفه معتدلا وأكمل ركضه نحو (أداد)، منحنيا في حركة سريعة يلتقط بها ما أخفاه من قبل النزال بثنية درع ساقه، وبينما يحاول (أداد) خلق غيوم ماطرة جديدة تحرّك (نينازو) بسرعة تفوق البصر ليضع ما أخرجه من الدرع بقبضة يمناه، كان قفازا حديديا ذو مفصلات عند

الأصابع تجعله قابلا للانثناء والتحريك، تجمد (أداد) مذهولا مفكرا كيف أمكن ل(نينازو) التحرك طيلة النزال بهذه السرعة والخفة رغم هذا القفاز الحديدي الثقيل الملتصق بدرع ساقه، قفز (نينازو) متحولا لسهم بشري أفقي تتقدمه رأسه العارية بدون خوذة وبالخلف التصقت ساقاه وكأنهما ذيل السهم، ثم تقدمت قبضته اليمنى ذات القفاز الحديدي لتلكم (أداد) لكمة مباشرة في وجهه حطمت عظام رأسه وهشمت الوجه تماما، سقط جسد (أداد) على ظهره بينما سقط (نينازو) بجانبه يتدحرج قليلا، قبل أن يعتدل ويثب نحوه مجددا مسددا لكمة أخيرة نحو حلق خصمه الذي كان يصيح من تأثير وجهه المهشم، فكانت ضربة سريعة قوية فاصلة حطمت الحلق والعنق نفسه ليميل الرأس ويتدلى ساقطا للخلف بارتخاء، في مشهد مستحيل تشريحيا بعد أن فقد الرأس اتصاله العظمي بباقي الجسد بقوة الضربة المعززة بالحديد شديد الضرر لأجساد الأسياد.. كفّ جسد (أداد) عن الحركة تماما بعد أن لقي مصرعه، وغيمة صغيرة تكوّنت فوق رأسه لم يواته الوقت لتوجيهها نحو خصمه (نينازو) خارق السرعة، فظلت تفرغ قطرات الماء بلا توقف على جسد (نينازو) وجثته هو شخصيا..

اعتدل (نينازو) بسرعة وكأنه لم يُنْهِ حياة أحد جباري العالم السماوي منذ لحظات.. هدفه الأكثر أهمية هو (آشور)

مدمّر (أشنونة)، لذا سارع بالركض نحوه بمنتهى السرعة.. بينما كان (آشور) في نفس اللحظة يتجهز بتكوين عدة أسهم فوق رأسه ليصد هجوما جديدا من أسهم الرماة الحديدية المؤثرة.. يتقدمهم (زابابا) شخصيا ملوحا بسيفيه وهو ينقض على (آشور) مقتربا منه..

وهنا.. قام (آشور) بفعل شيء لم يتوقعه (زابابا) أو (نينازو) على الإطلاق.. تراجع للخلف وانطلق يعدو بكل سرعته فارا من وجه خصومه، خالقا موجات متتالية من الأسهم ظلت تنطلق باستمرار في كل الاتجاهات بلا تمييز.. اضطر (نينازو) للانبطاح أرضا بسخط لفقدانه درعه، بينما صاح (زابابا) بكل قوته ليتغلب على ضجيج الأسهم:

- الجبان.. لقد فرّ.. أستطيع تعقبه..

قالها مقرنا قوله بالركض خلف (آشور) رافعا درعه الحديدي ليتصدى للأسهم المتطايرة، فسارع (نينازو) بتحذيره هاتفا:

- لا تفعلها.. لا تتعقبه وحدك.. قد يكون جبانا ولكنه ليس غبيا أو ضعيفا.. وربما كان انسحابه هذا هو أكثر قرارات حياته دهاءً..

اكتفى (نينازو) بالاستلقاء على ظهره أرضا يأخذ راحته بعد نزال عنيف خسر فيه تنينه (موشوسو)، ولاحظ

استجابة (زابابا) لنصيحته وهو يتراجع رافعا درعه مقتربا من (نينازو)، نظر وسط الغبار المعلق بالجو نحو بقايا أشلاء التنين وقال له بأسف:

- خسرت (موشوسو)..

صحح له (نينازو):

- خسرناه جميعا.. خسرته (كيش)..

بدأت كثافة وابل أسهم السيد (آشور) الفارّ تقل حتى اختفت تدريجيا، فقام (نينازو) يعتدل ملقيا نظرة نحو الأفق حيث اختفى خصمهما، فقام (زابابا) بخفض درعه مغمغما:

- سيستحيل العثور عليه الآن بقلب هذه الصحراء.. كان الأمر سيكون سهلا بوجود التنين المحلق..

تنهد (نينازو) وهو يمسح خيطا من الدماء الصفراء تجمّد على جبهته وهو يقول ملقيا نظرة باتجاه (كيش):

- لم نخسر سواه وعددا بسيطا من جنودنا.. في حين تم سحق جميع جيوش (آشور) والقضاء على السيد (أداد) أحد جباري العالم السماوي.. أراه مكسبا عظيما لنا..

أومأ (زابابا) برأسه إيجابا وهو يضيف بلهجة قوية:

- والأكثر أهمية هو تأكيد مكانة مدينة (كيش) عاصمة

المملكة السماوية الجديدة والتي استطاعت صد زحف اثنين من أقوى جباري العالم السماوي ومحو جيوشهما عن بكرة أبيها..

٢٧- اللقاء

ثرثرت (نينشوبور) كثيرًا.. تحدثت عن رحلة ترويضها للوحش (خومبابا) والتي انتهت بنجاحها، تطرّقت لذكر رحلتها للبرزخ السماوي بإيجاز.. عن الرقيم الأول وما كشفه من أسرار.. عن استنتاج الحكيم (ماندانو) فيما يخص (بابل) السماوية وسيدها الطافر ومساعده الساحر، واللذان هما المتهمان الوحيدان في قضية اختفاء السيدة (إينانا) المفاجئ والذي حدث ب(بابل) البشرية.. عن مهمتها الحالية التي اضطلعت بآدائها بجرأة من أجل الوصول ل(بابل) البشرية، ثم نزع نطاق الحرير في وسيلة غير مباشرة تجعلها تتخطى حاجز السحر المانع لدخول (بابل) السماوية.. شرحت لهما كيفية عمل الحرير كعنصر سحري يقوم بنقل مرتديه بين العالمين في لمح البصر..

سألتها (نانشي) فجأة بطريقة شبه عدوانية:

- ثم ماذا بعد؟

تطلّعت نحوها (نينشوبور) مبهوتة فسارع (نينورتا) بتعريفها ل(نينشوبور) قائلا:

- أعرّفك بمفسرة الأحلام الموهوبة بالرؤى المستقبلية الحقيقية.. (نانشي) من مدينة (لكش) والتي لها الفضل الأكبر

في تهيئتي لإتمام خطوات قدري التي انتهت بمقابلتي لك هنا والآن..

وهبتها (نينشوبور) ابتسامة حارة فردت عليها (نانشي) بأخرى باردة، و(نينورتا) يكمل التعارف المتبادل:

- الجميلة (نينشوبور).. وصيفة شقيقتي (إينانا) وأكثر من يحبها ويخاف عليها..

قطّبت (نانشي) متسائلة:

- وهل لفظ (الجميلة) جزء دائم يجب التلفظ به قبل اسمها؟

تطلّع لها الاثنان بدهشة فسارعت برسم ابتسامة سريعة قائلة بتكلف:

- أمزح بالطبع.. أنرتي عالمنا البشري المتواضع أيتها الجميلة..

لم تستوعب (نينشوبور) هذا التبدل المفاجئ شاعرةً بالارتباك، ولكنها عزت هذا الارتباك -بحسن نية- لمفاجأة مقابلة (نينورتا) غير المتوقعة، وحده (نينورتا) شعر بغيرة (نانشي) الخفية، شعر بها وأسرّه وجودها وودّ لو استمرت!

أعادت (نانشي) سؤالها:

- ما زال سؤالي قائما.. ماذا ستقومين بفعله بعد انتقالك ل(بابل) السماوية؟

بدت (نينشوبور) مرتبكة وهي تقول:

- لا أدري حقا.. لم نعلم أنا والحكيم ما الذي قد أجده هناك لكي أواجهه.. لم نكن حتى على يقين من استنتاج كون السيدة (إينانا) مختطفة هناك في الأساس.. في الواقع بمجرد دخولي (بابل) السماوية كنت سأقوم بالارتجال بشكل كامل..

قالت (نانشي) ببساطة:

- تبدو لي خطة جيدة للانتحار لسيدة رقيقة مثلك أن تتواجد بقلب مدينة تشكّون بأن سيدها شديد القوة لهذا الحدّ..

ألقى (نينتورتا) نحوها نظرة لائمة خفية وهو يقول:

- إنها شجاعة.. يدفعها حبها ل(إينانا) لفعل المستحيل كما حدث ونجحت في ترويض أحد الأسياد الوحشية، وهو ما لم ينجح أحد في فعله من قبله سواء أكان سيدا أم ساحرا أم غيرهما..

اندفعت (نانشي) رغم تحذير (نينورتا) تقول بسخرية:

- يدفعها حبها ل(إينانا) لفعل المستحيل.. كالزواج منها مثلًا؟!

انبرت (نينشوبور) تقول:

- سأفعلها عن طيب خاطر..

ثم تورّد وجهها وأطرقت وهي تضيف:

- إن كان هناك شيء مثل هذا..

أضاء وجه (نانشي) بابتسامة حقيقية للمرة الأولى وهي تفتح لها ذراعيها وتضمها بقوة، غامزةً ل(نينورتا) بسعادة طاغية..

تنهّد (نينورتا) مع بوادر انتهاء العدوانية بين الفتاتين وشعور جميل يطغى عليه ويدفع قلبه للعمل بسرعة مضاعفة.. إنه يحب (نانشي) وراغب في الزواج بها.. لم يعد لديه شك في هذا.. حبا قد يدفعه لأخذها معه للعالم السماوي ومشاركتهما معا حياة أسرية هانئة.. هذا إن وافقت على أمر مثل هذا.. زواج أحد الأسياد السماوية من أحد البشر، هذا غير مسبوق ولم يحدث من قبل ويكاد يكون من المحرَّمات..

نفض أفكاره منتبها للواقع الحالي الدرامي.. سارع بالقول ل(نينشوبور) ناقلا لها خبرته القصيرة بالأرض:

- فررت من (نيبور) تاركا أبي (إنليل) يستسلم للأسياد المرتزقة من أجل حقن دماء المدنيين، مع وعد بالعودة للانتقام بعد إعداد العدة وتهيئتي للقدرة على الأخذ بهذا الثأر.. اتجهت فورا نحو مدينة (لكش) حيث يتواجد نسل بشري كان مواليا لجدنا (أنو).. ومن هذا النسل أتت (نانشي) لتنفذ وعد أجدادها حلفاء (أنو) بمساعدة أيّ من يأتي من نسله طالبا مساعدة..

هنا تدخلت (نانشي) لتضيف:

- حاول الاندماج بمجتمع البشر ولاقى صعوبة شديدة حتى استطاع التوصّل لي.. ظنّ أنه من توصل لي ولكن الحقيقة أن رؤياي هي من وجّهتني نحوه.. قمت بتهيئة خطوات رأيتها بأحلامي لم أكن أدري لها سببا، خطوات كنت أراها كخطة لابد من تنفيذها من أجل هدف أسمى.. أجهل هذا الهدف النهائي ولكن ثقتي في رؤياي غير محدودة.. ولهذا قمت باستغلال قوته وحكمته في القيام بتنظيم جيوش (لكش) والاستيلاء على (أوما) المجاورة والمهيمنة لعصور.. ظنّ أن طريقته الوحيدة لاكتساب قوة تجعله يعود للعالم السماوي مهيب الطرف كانت بامتلاكه هالة إلهية.. سيجاهد ليحاكي أبطال البشر ويستحق امتلاك هذه الهالة.. عمل لتحقيق هذا الهدف متمنيا أن ينجح ويصبح

أول سماوي ينجح في امتلاك هالة إلهية شخصيا وليس باقتناصها من أبطال البشر.. أراد أن يصبح الاثنين معًا في جسد واحد.. سماوي جبار ومالِك لهالة سماوية تخصه.. انخرط في أفعال بطولية استثنائية على أمل امتلاك هذه الهالة جرّاء ما سيقوم به من أفعال ولكن هذا ما لم يحدث رغم عظمة ما قام بإنجازه.. فشل في خلق الهالة الي تمكّنه من العودة للعالم السماوي متفردا وقويا بما يكفي ليأخذ بثأر سلفه أسياد الصواعق.. استكمل حلمه بطريقة أخرى وأراد تتبع الملك العظيم (نبوخذ نصر) الثاني حتى موته لوجود احتمال عظيم في كونه يمتلك هذه الهالة.. إن لم يكن بمقدوره خلق هالة إلهية ليسرق واحدة.. اتجه ل(بابل) طمعا في العثور على هذه الهالة في حين كنت أعلم أن الغرض الوحيد من رحلة (بابل) هو العثور عليكِ.. لم أكن أراكِ شخصيا في رؤياي ولكني كنت أشعر بوجود شخص ينتظره هذا اليوم عند بوابة (عشتار)، وهذا ما قمت بتنسيقه بإحساسي النابع عن رؤياي لينجح بمنتهى الدقة..

همست (نينشوبور) بانبهار:

- يا لدقة أحلامك.. إنه لسحر حقيقي!

نظر (نينورتا) نحو (نانشي) بإعجاب قائلا:

- لا أعتقد أن كثيرا من أنوار وسحرة عالمنا يمتلكون مثل

هذه القدرة.. أنتِ متفردة حقا عزيزتي (نانشي)..

تورّد وجه (نانشي) وحاولت التخلص من شعورها هذا التي لم تعتده من قبل وهي تقول متجنبة النظر ل(نينورتا):

- ماذا سنفعل الآن؟

نقل (نينورتا) النظر بينهما مقارنا بينهما دون أن يدري.. كلاهما فتاتان تمتلكان قدرا لا بأس به من الجمال.. تفوقت (نينشوبور) بالتأكيد بجمال وجهها ورقة ملامحها وأسلوبها وكلامها، إنها ليست بأقل من أميرة، ليست (نانشي) بالقبيحة فهي تملك قسطا من الجمال، ولكنها محاربة، كانت أكثر قوة وبأسا وطولا وضخامة في الجسد مما يجعل من (نينشوبور) ذات القامة القصيرة -التي تفوح بالأنوثة- كشقيقتها الصغيرة التي تحتاج لحمايتها، ولكن (نانشي) هي من تحرك قلبه ويميل إليها بكل جوارحه، فلا ذنب لما يمليه عليه قلبه ويؤثر على كامل جوارحه وحواسه.. ركّز في ملامح وجه (نانشي) التي تبدو أكثر نضجا وقسوة من وجه (نينشوبور)، ربما لأن (نانشي) تكبر (نينشوبور) بما يقارب العشرة سنوات، ولكن لا تزال (نانشي) فتاة جميلة بل شك، تتفوق على (نينشوبور) بالطول وقوة الجسد العضلية.. تصلح (نانشي) كمحاربة جسدية بجانبه بينما (نينشوبور) تحارب بقلبها.. وهو في حاجة لكلا النوعين في حربه القادمة..

أخرجه من تفكيره نكزة قوية من أحد الحارسين المرافقين وهو يزجره صائحا:

- هل انتهينا من هذه الدراما؟ الملك لن ينتظر طويلا..

اتسعت عينا (نينشوبور) بفزع بينما ابتسمت (نانشي) بسخرية مغمغمة:

- لقد نسيت أمرهما!

تنفس (نينورتا) الصعداء وهو يقول بلهجة حاسمة:

- لقد انتهى وقت التظاهر..

ثم قام بمسّ عنق الحارس بسبابته لتصعقه وتسقطه أرضا فاقدا لوعيه، وقبل أن يتحرك الحارس الثاني مدّ (نينورتا) يده ولمس صدره لتسري صاعقة محدودة بجسده وتسقطه على ظهره متسع العينين لوهلة قبل أن يخلد لنوم عميق..

صاحت (نينشوبور) برعب مستنكر:

- هل قتلتهما؟

أمسكها (نينورتا) من معصمها مجيبا باختصار:

- لا.. فقدا وعيهما فقط..

ثم بدأ في جرها خلفه وهو يقول ل(نانشي) بحزم:

- هل يمكنك توجيهنا لأقرب معبد لهذا السيد المدعو (مردوخ)؟

دارت (نانشي) حول نفسها برشاقة وهي تقول بثقة:

- بكل تأكيد معابده متناثرة بكل مكان بالمدينة.. اتبعاني..

وتحرك ثلاثتهم متجهين نحو أقرب معبد وذهن (نينورتا) متقد حماسا لعودته للعالم السماوي بعد زمن قد طال..

٢٨ - أسياد السياسة

جرى العمل على قدم وثاق لتجديد ما تم تخريبه من معابد وبيوت سكنية وأجزاء من الزقورة المركزية بمدينة (كيش)، كان طاقم المهندسين يعملون جميعا بكامل طاقتهم وعددهم وبساعات متأخرة تصل لبداية الليل تحت أضواء المشاعل، تغمرهم الحماسة وقشعريرة الانتصار ما زالت تسري بأجسادهم، محاربو (كيش) قاموا بدحر السيد (آشور) وسحق جيوشه واغتيال مساعده الجبار (أداد)، وليكن هذا درسا قوي الأثر لكل السماويين من أسياد وأنوار وسحرة وعامة.. فمدينة (كيش) لديها الثنائي الرهيب (زابابا) و(نينازو).. ولديهم التنين الوحشي (موشوسو).. فليخضع الجميع لهم أو ليتم سحقه بمنتهى القسوة..

بداخل المعبد الرئيسي بالزقورة المركزية والذي تهدّم بالفعل جزء لا بأس به من أساته وأعمدته، وبينما يقوم العمّال بترميم سريع لما تحطّم، كان كل من (زابابا) و(نينازو) يفترشان الأرض بقلب المعبد يتجاذبان أطراف الحديث بدون اللجوء لراحة مستحقة بعد حربهما السابقة العنيفة.. كان (زابابا) بكامل عدته ولباسه الحربيين تلمع دروعهما على أضواء المشاعل، بينما كان (نينازو) محطم الدروع وممزق اللباس وفاقدا لخوذته..

كان (زابابا) يغمغم:

- قمنا بالتغطية على خبر مصرع (موشوسو)..

قال (نينازو) بشرود:

- خير ما فعلت.. ليس من مصلحتنا إشاعة خبر محبط للمعنويات مثل هذا..

- سيعلمون يوما ما.. وأظنه يوما قريبا..

- لندع التفكير لذات الوقت البعيد.. وفي هذه الأثناء نقوم بتطوير أسلحة جديدة أكثر تطورا وفعالية باستخدام عنصر الحديد الفعّال.. هو عنصرنا الأساسي للانتصار في الحرب السابقة..

- لا تبخس نفسك قدرها عزيزي (نينازو).. انتصرنا بسبب جرأتك وقوتك وتضحية التنين (موشوسو)..

نظر (نينازو) نحوه بعينين مجهدتين قائلا:

- كان تدخلك في القتال مقامرة غير معتادة منك.. دوما لا تتحرك قبل أن تعي جيدا ظروف أرض المعركة ولا تُقْدِم على خطوة غير مدروسة..

خلع (زابابا) خوذته بدوره ليقول وهو يضعها أرضا بجانبه:

- لقد كان إرسالك أنت وتنينك لما خلف المرتفعات هو المقامرة الأشد خطورة وجنونا..

حدق (نينازو) بوجهه قائلا بلهجة متهمة:

- لا أستبعد أنك وضعت خطة لإرسالي لتشتيت الجبارين الاثنين لوقف تدمير (كيش) كهدف أول، ثم لتكسب وقتا يتيح لك ولرماة الحديد التسلل خفية واغتيال الجبارين..

ابتسم (زابابا) ولم ينفِ ما قاله (نينازو) وهو يرد عليه:

- كانت خطة ارتجالية وضعتها في لحظة واعتمدت فيها على قدرتك على الصمود في وجهيهما..

نخر (نينازو) بسخرية وأدار وجهه للجانب الآخر ولم يعلق.. واكتفى بقوله الهادئ:

- ما زال مدمّر مدينة (أشنونة) حرا طليقا..

- سنجده.. ونحاصره.. ونجبره على الاستسلام.. لم يعد لديه جيشا يسانده أو جبارا يعوّل عليه..

لوّح (نينازو) بيده بلا اكتراث قائلا:

- ما زال أمامنا جهد رهيب.. مدينة (كيش) تحوّلت لشبه أنقاض..

سمع الاثنان صوت قرع سيوف قبل أن يدخل عليهما أحد الحرّاس مسرعا، اقترب منهما قبل أن ينحني ليجلس على ركبتيه وينحني بتذلل، فصاح به (زابابا) بسرعة:

- اعتدل وهات ما عندك..

رفع رأسه قليلا وقال وهو ما زال مطرقا:

- جيوش جرارة تزحف من جهة الجنوب وعلى رأسها جبارا الشمس والقمر..

ردد (زابابا) بدهشة:

- (شمش) و(سين)؟! ولكن لماذا؟!

أشار (نينازو) ليدفع الحارس للخروج بعد أن قال له:

- استدعِ قائدي الجيوش الثلاثة..

قال (زابابا):

- هل سيقومان باستغلال الوضع الراهن لمصلحتيهما؟

قال (نينازو) نافيا:

- لا أظن هذا.. وصول الجيوش في هذا التوقيت يعني أنها قد تحركت قبل بدء الهجوم الفعلي علينا.. لقد جاءوا لسبب آخر.. قد يكون مؤازرتنا.. لن يقفا أبدا في صف أخيهما

المنشق (أداد)..

- ماذا ستعتقد سيكون رد فعلهما بعد أن يعلما بمصرع شقيقهما وانتفاء داعي الزحف الطويل والحرب؟

- لا ينتفي أبدا سبب الحرب.. الحرب في حد ذاتها دافع لأشياء أخرى.. كالسلطة والنفوذ والسيطرة على الموارد الاقتصادية..

صمت (زابابا) قليلا قبل أن يقول متفكرا:

- سنحتاج لبديل للغابر (موشوسو)..

اعتدل (نينازو) وهو يقول بصرامة:

- أحتاج الآن لتبديل لباسي الممزق وأحتاج لخوذة حديدية جديدة.. مشاهدتي في هذا الوضع ستغري أي مارّ بالهجوم فورا..

ابتسم (زابابا) رغما عنه وهو يقول:

- عزيزي (نينازو).. لا يوجد سماوي يجرؤ على الهجوم عليك وإن كنت بلا دروع..

لم يبتسم (نينازو) وغادر متجها لمخزن الأسلحة والعتاد بطرف المعبد القصيّ وهو يقول ل(زابابا):

- اسبقني مع قادة الجيوش لمقابلة زوارنا..

في نفس اللحظة كان كلا من (شمش) و(سين) يحومان فوق مستوى رؤوس جنودهما، يدققان النظر في مظاهر تدمير (كيش) من مباني وأبراج مدمرة والتي كانت ماثلة للعيان رغم حلول الظلام، فقال (سين) بسخرية:

- يبدو أن شقيقنا أبلى جيدا في حربه على مسكينَيْ (كيش)..

قال (شمش) مقطبا جبينه العريض:

- لا أعتقد هذا شقيقي العزيز.. إن انتصر (أداد) و(آشور) لصارت (كيش) مجرد أنقاض كمثيليتهما.. أغلب الظن أننا نحدق نحو المنتصر في هذه الحرب..

مطّ (سين) شفتيه مصطنعا الحزن قائلا:

- لا توجد حرب إذًا.. هذا سيء!

شرد (شمش) قائلا:

- إن كان هذا السيدان يمثلان خطرا محتملا علينا فلا يوجد وقت أكثر ملائمة للهجوم على مدينتهما من الآن.. وهما يحاولان لململة ما تبعثر من قواهما المستنزَفة..

هز (سين) رأسه باستهانة قائلا:

- أنا معك في أي قرار ستتخذه.. فقط خذ القرار..

بدأت أضواء مشاعل تزيد بشكل مكثف وتقترب منهما خارجةً من جهة (كيش)، ولاحظ (سين) ثلة من الجنود تقترب منهم وبمقدمتها محارب مغطى بالمعدن من رأسه لأخمص قدميه، يحيط به ثلاثة من المحاربين ذوي البأس، وخلفهم حشد من جنود ليس بالكثير عددا أشبه بمجموعة حراسة شخصية للحاكم.. فقال لنفسه بصوت مسموع:

- حاكم (كيش) يخرج ليقابلنا بدون جيشه؟ هذا جنونَ..

قام (شمش) برفع ذراعه اليمنى وضم قبضتها فانبثق شعاع من نور أحال المنطقة لنهار مقيم وهو يقول بهمس:

- أو رسالة يريد التعبير بها عن جرأته..

ثم أضاف بصوت أكثر انخفاضا:

- لا داعٍ لأية محاولات عدائية.. لا نريد أن ننجرف لحرب لم نخطط لها.. تذكر أن لديهم سيدا وحشيا مروضا لا أراه الآن.. وهم ليسوا بالضعفاء أو الجبناء فقد انتصروا لتوهم على جبارين لا يشق لهما غبار..

اقترب الحشد منهما، فأشار (زابابا) لمن خلفه بالتوقف بإشارة من يده، ثم تقدم بهدوء من (شمش) و(سين) اللذين

اضطرا للنزول ليحطا أرضا حتى يستطيعا التواصل مع (زابابا)، و(سين) يهمس ل(شمش):

- إن كان لديهما سيدا وحشيا فهذا كان سيكون الوقت المناسب لإظهاره!

توقف (زابابا) ممشوق القامة أمام الجبارين المضيئين بقلب الظلام، وقال بقوة بلهجة محايدة غير عدوانية وغير ضعيفة في نفس الوقت:

- أهلا بسيدي الشمس والقمر.. أنرتما (كيش)..

ثم أشار لضوء الشمس الذي بعثه (شمش) مضيفا بسخرية:

- أنرتماها حرفيا..

قال (شمش) بنبرة هادئة ماثلت نبرة (زابابا):

- هنيئا لكم نصركم على تحالف (آشور) و(أداد)..

قل (زابابا) بقوة:

- هذا مصير كل من يرفض الاعتراف بمملكة (كيش) السماوية..

ثم أضاف قبل أن يبدو رده مستفزا:

- وقد قمنا بأخذ ثأركما وقضينا على السيد (أداد) مدمِّر

مدينة سيد الشمس الثانية..

صمت (شمش) لوهلة يحاول هضم ما سمعه، إذًا فقد كان استنتاجه صحيحا وانتصرت (كيش) على تحالف أخيه و(آشور)، هذا يعني أن قوة (كيش) لايستهان بها، كما شعر بارتياح مؤقت لخروج الشقيق الثالث المتمرد من دائرة حساباته فهذا يعطيه مزيدا من الحرية بخصوص عدم القلق بشأن أخيه (سين) وسوء إدارته لمدينته (أور).. وبدءا من الآن سيبدأ في العمل على تقوية مدينته (لارسا) بعد أن انحصر الخطر المقابل له في (إريدو) وجبار الماء (إنكي)..

فوجئ بأخيه (سين) يقول مندفعا:

- أتريد أن نعود أدراجنا إذًا أيها السيد المدرَّع؟ بهذه البساطة؟

ألقى (زابابا) نظرة سريعة على حشد الجيوش المترامي أمامه وظل صامتا للحظة وكأنه يقوم بعملية إحصاء لقوة الجيش، فاتسعت ابتسامة (سين) عندما لم يتلقى ردا من (زابابا) وظنه يتهرب من الرد، ولكنه فوجئ بصوت صلصلة معدنية أعقبها ظهور (نينازو) من خلف (زابابا) بكامل لباسه الحربي الحديدي، كان يحمل بيمينه سيفا معقوف الطرفين شديد الضخامة بطول يفوق طوله شخصيا، توقف بجانب (زابابا) وقام بغرس طرف السيف بالأرض بقوة قبل أن يزيح

خوذته بيمينه ليلقي نظرة مهددة صوب (سين) بدون أن ينطق..

شعر (سين) بالإهانة وفكّر في رد فعل مناسب، بينما استغرق (شمش) في التفكير في تفاصيل لباس (نينازو) ودروعه وسيفه المعقوف، جميعها تصدر صدى لا يماثل لما يصدر عن أي معدن يعرفه شخصيا، وقبل أن يقوم (سين) بردّ فعل متهور قبض على مرفقه خفية ليمنعه من الإتيان بأية رد فعل وهو يقول موجها الحديث ل(نينازو) باهتمام:

- هذا المعدن غير سماويّ.. أليس كذلك؟

ردّ (نينازو) بسرعة مبديا إعجابا سرًّا بصحة حدس (شمش):

- بلى.. هذا المعدن قادر على شق جسد أي سيد سماوي لشطرين بضربة واحدة.. كما فعلت مع شقيقكما الهزلي (أداد)..

هز (شمش) رأسه مبديا توقعه لأمر مثل هذا، وأيقن أنه وجد الحلقة المفقودة التي أدت لانتصار سيدي (كيش) على تحالف (آشور) و(أداد)، وشعر بقلق خفي من وجود هذا المعدن القاتل بين يدي هذين السيدين، ولكنه قرر التعامل مع هذا الأمر فيما بعد وبطريقة من طرقه الملتوية المفضلة

وليس بمواجهة حربية مباشرة يخسر فيها الكثير من جنوده، فهو ليس غبيا مثل (آشور) ليضع جيشه بالكامل بقلب حرب قد تنتهي به لفقد جيوشه بالكامل، لا يريد أن يبالغ في تقدير قوة خصومه ولكن لا يجب أيضا التقليل والتهوين من شأنهما، لذا ابتسم وهو يقول بكياسة:

- أشكركما لقيامكما -نيابةً عنا- بما زحفنا شمالا خصيصا من أجله..

ثم أضاف بلهجة تحمل عدة معانٍ:

- وأعدكما برد الدين قريبا..

اشتم (زابابا) لهجة تهديد خفية، ولكنه فهم على الفور أن (شمش) لا يضمر نحو (كيش) نية عدائية، في هذه اللحظة على الأقل، لذا وجدها فرصة سانحة ليسارع بفرض نفوذه كملك للعالم السماوي فقال ل(شمش) وإن ركّز نظراته نحو (سين) المتهور:

- هذا جيد.. أتوقع ألا أجد لديكما ممانعة في إعلان الخضوع ل(كيش) كعاصمة للمملكة السماوية الجديدة بعد إطاحتنا ب(أنو) و(إنليل) سيدا الصواعق السابقَيْن..

تفاجأ (شمش) و(سين) من جرأة (زابابا) في طلبه الخضوع منهما رغم وقوفهما بمقدمة جيوش جرارة، ورغم

علمه بمدى قوة كل منهما الرهيبة، وقبل أن يبدر عن أي منهما ردة فعل كان (نينازو) يكمل بلهجة قوية لا تخلو من تهديد أيضا:

- لعلكما لم تمرا على مدينة (نيبور) معقل السيدين (أمورو) الراعي المحتال وسيد العواصف الرملية و(إيشارا) سيدة الصحاري وملكة العقارب.. أكاد أجزم أنكما اتخذتما سبيلا جانبيا لتفاديهما.. أستطيع تفهم هذا فالمرتزقة من الأسياد لا يمكن توقع رد فعلهم.. وبالرغم من هذا فهما أول من دانا بالولاء لنا..

وسارع (زابابا) بالإضافة:

- وإن لم تمرا عليهما أثناء زحفكما شمالا سنحرص على أن يقابلاكما أثناء عودتكما جنوبا.. غريب أمر المرتزقة من الأسياد، يمكن تطويعهم لخدمتك والاستفادة من قواهم وما لديهم من جيوش.. كجيش العقارب على سبيل المثال.. لقد عاث فسادًا بمدينة (ماراد) -مدينة أسياد الصواعق الحربية الأولى- وأجبر سيدها الشقي (نينورتا) على الاختفاء من عالمنا بشكل نهائي، لتنهي سلالة (كيش) هيمنة أسياد الصواعق التي استمرت ردحا طويلا من الزمان.. ولا ننوي تغيير أي مما سبق.. نريد فقط التأكد من حلفائنا بالعالم الجديد..

كان (شمش) يعلم جزءا كبيرا من هذه المعلومات ولكن كان ما سمعه بهذه الطريقة أشبه برسالة، وكأنّ سيدا (كيش) يقولان له كنت تخضع لأسياد الصواعق وعليك الآن أن تخضع لسلالة (كيش)، الأمر سيّان ولم يتدخل أحد في مدينتك وطريقة حكمك من قبل ولن يقم أحد بالتدخل في شؤونك، فقط قم بإعلان أنك حليف وستجنّب نفسك عناء عداء (كيش) وحليفتها (نيبور) القائمة على المرتزقة الذين لا يملكون شفقة ولا ولاء إلا لمن ينفق عليهما، وقد أنفق عليهما سيدا (كيش) ووهباهما مدينتي سيدي الصواعق الغابرين، وليس بالأمر الجيد معاداة سيدي المرتزقة، ناهيك عن حرب هذين السيدين وما يملكانه من معدن فتاك، وما يخفيانه من سيد وحشي رابض منتظر بمكان خفي ينتظر إشارة بدء الحرب.. بالإضافة لتفضيله دائما وأبدا السبل السلمية للنصر وعدم إزهاق أرواح أبريائه..

لذا قلّب الأمر جيدا بذهنه قبل أن يردّ بهدوء منهيا الجدل الدموي الذي كان على وشك الحدوث:

- كما كانت (لارسا) و(أور) تدينان بالولاء ل(أنو) و(الوركاء).. لن يضيرهما شيء إن تغير ولاؤهما لسلالة (كيش)..

رمقه (سين) بنظرة مذهولة لا يصدق ما سمعته أذناه، في

حين قام (نينازو) بسحب سيفه الضخم من الأرض بحركة سريعة منهيا الحوار متمتما:

- هذا ينهي اللقاء المثمر..

أشار لهما (زابابا) قائلا وهو يستدير للخلف:

- أتمنى لكم رحلة عودة سعيدة.. ولا داعٍ لتجنب مروركم بمدينة (نيبور) الآن ستتلقيان معاملة أصحاب الأرض من سيديها المرتزقة.. سأحرص على هذا شخصيا..

قاطعه (شمش):

- أتمنى ألا يكون أحدكما قد أساء فهمي..

توقف كلا من سيدي (كيش) عن الالتفات للخلف، وحدقا ب(شمش) وهو يسارع بالاسترسال:

- ولاؤنا يضمن لنا أننا تحت حمايتكما في حالة تعرضنا لهجوم من أحد الأسياد المنشقين عن الخضوع ل(كيش).. أليس كذلك؟

شعر (زابابا) بخيوط خفية محكمة تلتف حول أطرافه لتقيدها، فسأل بحذر:

- لا أظنني أفهمك جيدا..

قال (شمش) على الفور:

- أعتقد أنني بإعلاني هذا الولاء، وبعد تلميحك لاستخدام الحلفاء عسكريا فيما يفيد المملكة الجديدة، كما كنت ستقوم باستخدام مرتزقة الأسياد ضدنا في حال رفضنا للخضوع لكما، سيصبح من حقي الآن التمتع بحلفائي، سواء من المرتزقة أو من سلالة (كيش)..

فهم (نينازو) على الفور غرض (شمش)، من قبل حتى أن يكمل بجذل:

- لقد أغضب ساحر (أور) سيد (إريدو).. أريد فقط التيقن من أنه في حالة جنح جبار الماء للحرب على (أور) أو (لارسا) سنجد حلفاءً لنا في الوقت المناسب..

ارتج على (زابابا) للحظات.. لا يريد الانخراط في حرب قوية كحرب ضد السيد (إنكي) شخصيا.. حرب لا ناقة له ولا جمل وستكبده عناءً مريعا.. ولكنه مضطر للاحتفاظ بكلمته أمام (شمش)، فهو الآن ملك العالم السماوي كله وليس مجرد سيد قوي يفرض سيطرته بالقوة.. واعترف بينه وبين نفسه بأن (شمش) ليس بالسيد الذي سيقوم بمفاوضته أو إجراء أي حوار معه مستقبليا.. فلا يبدو أنه من النوع الذي يخرج من أية مفاوضات خاسرا..

لوّح (نينازو) بسيفه قائلا:

- لك الحماية من سلالة (كيش) ضد أية حرب قادمة ضد جبار الماء.. كلمة مقابل اعترافك بخضوعك ل(كيش)..

ابتسم (شمش) ابتسامة عريضة منحنيا بطريقة استعراضية، بينما فشل (سين) في كتم ابتسامة متشفية واضحة..

صاح (شمش) في سيدي (كيش) وهو يدور ليغادر:

- لا تنسوا إضاءة مشاعلكم!

نظر (زابابا) و(نينازو) لبعضهما البعض بدهشة ولم يستطيعا فهم ما يروم إليه (شمش)، ولكن فجأة انقطعت إضاءة (شمش) بإيماءة من قبضته ليعم الظلام الحالك بين ثلة جنود الحراسة المحيطين ب(زابابا) و(نينازو)، فبصق الأخير مغمغما:

- السافل!

في حين حنى (زابابا) رأسه بغضب مكتوم وقد بدأ لهب نيران المشاعل يضيء المنطقة المحيطة بهم على استحياء، ليقول ساخطا:

- لقد نال ما أراده.. المراوغ..

بينما كان (سين) يربت على كتف (شمش) قائلا بغبطة:

- لم نعود خاوي الوفاض في الأخير.. أخي وأفتخر!

٢٩- نبوءة قاتلة

(بابل) السماوية..

شهقت (نينشوبور) وهي تحرك ذراعيها كمن يغرق بقلب البحر، مال جسدها مع ارتباكها وكادت تسقط فسارع (نينورتا) بإسناد جسدها بذراعه القوي وهو يسألها بقلق:

- هل أنتِ بخير؟

نظرت له للحظات كالمنوَّمة لا تدري أين هي، ثم نظرت ل(نانشي) الواقفة بثبات بجوار (نينورتا) تحدق بها بقلق مماثل، ثم استرجعت بذاكرتها لحظة ربط ثلاثتهم لنطاق الحرير بدون أن تخلعه عن جسدها بشكل كامل، ثم إزالته في لحظة واحدة عنهم ليحدث الانتقال من (بابل) البشرية لقرينتها السماوية كما تم التخطيط له.. أجابت (نينورتا) وهي تأخذ نفسا عميقا:

- أنا بخير.. لا تقلقا..

ثم أجال ثلاثتهم النظر فيما حولهم.. كانو بإحدى غرفات معبد كما خططوا.. لم يشأ أي منهم أن يحدث الانتقال ليجدوا أنفسهم يظهروا بشكل سحري بين العامة بقلب المدينة، مما سيثير دوامة من الفوضى ستجذب نظر سيد المدينة إليهم مباشرةً وتفسد عامل المفاجأة.. لذا قاموا

بالانتقال لمعبد من معابد (مردوخ) المتناثرة بالمدينة البشرية قبل الانتقال، ثم تم الانتقال كما تم التخطيط له ليحدث من معبد بشري لمثيلٍ له سماوي مما يقلل من خطورة الظهور بمكان عام بدرجة كبيرة.. وها قد نجحت الخطة ليجدوا أنفسهم بالفعل بداخل معبد، ولم ترهم عين مخلوق سماوي.. لقد فعلوا ما أرادوا وأصبحوا ب(بابل) السماوية الآن.. تجاوزوا الحائل السحري بذكاء وحان وقت التحرك بارتجال للبحث عن (إينانا)..

قادهما (نينورتا) نحو مصدر النور والذي اعتقد أنه المخرج وهو يقول هامسا:

- لنلقي نظرة سريعة على المدينة قبل أن نقوم بوضع خطة البحث عن (إينانا)..

تبعتاه الاثنتان وكل منهما تمسك بيد الأخرى غريزيا وتشد عليها بقوة، وإن كان من الواضح عدم شعور (نانشي) بالخوف بعكس (نينشوبور) التي كان الخوف يطل جليا من قسماتها..

وفجأة انقلبت عينا (نانشي) للأعلى ليصيرا بلون أبيض وتترنح لتسقط على ظهرها أرضا بعنف..

صاحت (نينشوبور) برعب فأشار لها (نينورتا) بسبابته

لتصمت وهو يثب نحو (نانشي) مذعورا، رفع رأسها ببطء وهو يهز جذعها بلطف متمتما بجزع:

- (نانشي).. أفيقي..

فتحت عينيها ببطء تنظر نحوه.. استعادت وعيها بسرعة وهي تتكئ على ساقيها لتقف مزيحة (نينورتا) بعيدا عنها بخشونة غير مبررة وهي تغمغم بصوت مختنق:

- لم يحدث شيء.. نوبة عابرة اعتدت عليها.. لنكمل طريقنا..

توقفت (نينشوبور) ولم تتحرك قيد أنملة، بينما لاحظ (نينورتا) دموع (نانشي) التي تجاهد لتخفيها، فسألها باهتمام:

- ماذا رأيتِ يا (نانشي)؟

أدارت وجهها حتى لا يستطيع رؤية رد فعلها وإن بدا من صوتها أنها كانت تبكي بصمت وهي تقول:

- ليس من الجيد إفشاء الرؤيا.. لابد أن تجري الأمور كما تم التخطيط لها حتى لا تتغير النهاية..

سألها (نينورتا) بقلق:

- وهل النهاية جيدة لي؟

أجابت باختصار:

- النهاية ممتازة لنا جميعا..

- (نانشي)!

- لا يمكنني أن أتفوه بالمزيد..

ثم واجهته مباشرةً بوجهها ليفاجأ بسيل من العبرات حفر الخطوط على وجنتيها وهي تمسك وجنتيه وتقول بوَلَهٍ ظاهرٍ لا تخفيه:

- أرجوك يا (نينورتا).. لا تتردد حين تحين اللحظة.. سيكلفك الأمر حياتك حينها..

اتسعت عينا (نينورتا) و(نينوشوبور) بدهشة والأخيرة تتمتم دون وعي:

- لقد أفشت بالرؤيا! هذا سيء!

أمسك (نينورتا) أصابعها بين يديه واعتصرها برقة وهو يغمغم محدقا بعينيها:

- سأموت.. أليس كذلك؟

أشاحت بوجهها عنه لتنظر نحو (نينشوبور) قائلة لها:

- وأنت يا سيدتي الجميلة.. لا تتأخري في قرارك.. سيكون

مصيريا..

ثم قبّلت أنامل (نينورتا) بجرأة قبل أن تخفضهما وتبتعد عنه مسافة قدم وهي تقول بحزم:

- لربما لن تتحقق الرؤيا.. علينا ألا نستسلم لها.. سنضع خطتنا لاقتحام الزقورة المركزية والتوجه لمعبد (مردوخ) الواقع فوق القمة..

صمت (نينورتا) قليلا يحاول تهدئة نفسه، ثم أخذ نفسا عميقا قال بعده متسائلا بهدوء:

- إذًا فقد رأيت مكان سجن شقيقتي (إينانا)..

قالت (نانشي) في لهجة حاولت جعلها لا مبالية:

- رأيت معركة مميتة تحدث هناك وكانت السيدة (إينانا) مشاركة فيها..

تمتمت (نينشوبور) بلا وعي:

- لن ننجو إن فقدناك سيد (نينورتا)..

أمسكت (نانشي) بكتفيها وقامت بهزها بعنف صائحة بها بانفعال رغم معاودة دموعها في الجريان مجددا:

- لا تشعري باليأس.. لن يموت أحد اليوم.. ليس بالضرورة

للرؤى أن تتحقق.. علينا بذل كل ما نملك لتحقيق هدفنا.. ويكفنيا أن الرؤية جلبت لنا موقع السيدة (إينانا) ووفرت علينا كثيرا من الوقت والجهد بلا طائل..

حركت (نينشوبور) رأسها إيماءًا عدة مرات متتالية كمن يوشك على فقدان أعصابه، فتركتها (نانشي) ومسحت دموعها وهي تقول ل(نينورتا) بعزم:

- لنتحرك الآن.. المعركة قاب قوسين أو أدنى..

نظر لها (نينورتا) بصمت محاولا استشفاف المزيد منها فلم يستطع، ولكنه كان يعلم علم اليقين أن رؤاها لم تخفق من قبل قطّ.. إنها تحاول تهدئة (نينشوبور) فقط لا أكثر.. لذا قام بأخذ عدة خطوات للخارج حتى وجد بوابة المعبد والنور يطل ليبدد العتمة، ورأى عدة كهنة يدخلون وخلفهم ثلة من العبيد، أعطاهم ظهره وهو يشير لمرافقتيه بالتحرك خارجا قبل أن يجذبوا الشكوك حول وجودهم بداخل المعبد، وبعد أخذ عدة خطوات للخارج قال (نينورتا) ل(نانشي) متجنبا النظر في عينيها:

- هل تستطيعين قيادتنا نحو هذا المعبد؟

أجابته ببساطة وقد استعادت بعضا من روحها المعتادة:

- بالطبع.. ومن سيستطيع إن لم تستطع (نانشي) فعلها؟

احتضنتها (نينيشوبور) من الخلف أثناء سيرهما، فقامت بالتربيت على يد (نينشوبور) لتكسبها قليلا من الاطمئنان، وهي تقول ل(نينورتا) مكملة:

- بإمكاني أن أقودكما للزقورة.. ولكن كيف سنستطيع الوصول للقمة حيث يوجد المعبد المحتجزة به السيدة (إينانا)؟

أجاب (نينورتا) متفكرا:

- بإمكاني التحليق بمنتهى السهولة بالطبع والوصول لهناك.. ولكن هذا غير قابل للتنفيذ عمليا بوسط عملية تسلل من المفترض أن تكون سرية..

ثم أضاف:

- أستطيع استدعاء غيمة وجعلها تقوم بحملنا للأعلى.. هذا سهل..

قالت (نانشي) تفكر معه بصوت مرتفع:

- ولكننا نريد الدخول بطريقة رسمية تجعل من المفاجأة عنصرا قويا مفيدا..

قال (نينورتا) مدليا بدلوه:

- ليس من الضروري أن ندخل كلنا بطريقة رسمية.. يكفي فرد واحد فقط يشتت انتباه السيد (مردوخ) بقضية تحمل خبرا يهمه بشدة.. بينما يتسلل الفردان الآخران ليستخرجا (إينانا)..

ثم رنا نحو (نانشي) متسائلا برجاء:

- ولماذا نتسلل ثلاثتنا؟ لماذا يجب علينا التحرك جميعنا؟ بإمكان (نينشوبور) أن تكون هي الزائر الذي يدخل المعبد بطريقة رسمية، وسأقوم أنا بجزء التسلل والبحث عن شقيقتي وإنقاذها.. لا يوجد داعٍ لوجودك.. لا أنكر شجاعتك وقوتك كمحاربة ولكننا نتكلم عن سيد طافر يعد هو أقوى الأسياد، بالإضافة لساحر شديد البراعة.. سيكون الوضع خطيرا جدا بالداخل متى احتدمت الأمور..

سارعت (نانشي) بالقول باندفاع:

- وكأنني لم أرَ الوضع بأم عينيّ منذ قليل..

صمت (نينورتا) وقد ارتج عليه ولم يجد ردا، بينما رددت (نينشوبور) بذهول بعد أن استوعبت حديث (نينورتا):

- هل تريد مني أن أقابل هذا السيد الخارق وجها لوجه؟

- أتمنى هذا!

نظرت له بتعجب فأضاف موضحا:

- لن يقبل بمقابلتك بسهولة.. ليس من المنطقي أن يوافق السيد الطافر على مقابلة بشرية عادية مهما بلغت مبرراتها.. أغلب الظن وإن كنا محظوظين سيقبل الساحر بمقابلتك، ولكنا نريد السيد الطافر شخصيا..

قالت (نينشوبور) بانفعال:

- سأكون سببا في فشل المهمة بمجرد رؤيتي لأي من هذين السيدين.. سيتلعثم لساني وأفقد وعيي على الفور من الرعب..

ثم أومأت نحو (نانشي) وقالت بوجه احمر خجلا:

- ستكون (نانشي) مناسبة لمثل هذه المهمة التي تتطلب كثيرا من الجرأة لا أمتلك ربعها..

تنهدت (نانشي) قائلة:

- كنت لأوافقك على هذا لولا ما أتيقن منه الآن من أن حبك لسيدتك يدفعك لفعل المعجزات وتخطي جميع ما يمكن للعقل أن يصدقه.. مجرد تفكيرك بها يجعلك أقوى من أيّ منا نحن الثلاثة.. وهذه نقطة قوتك التي لا يضاهيكِ فيها أي مخلوق شئنا أم أبينا..

ثم أطرقت وهي تضيف رصاصة الرحمة:

- ثم أنني رأيتك بالفعل بداخل المعبد سيدتي الجميلة.. لقد نطق المستقبل وقال كلمته التي لا مفرّ منها..

صمتت (نينشوبور) ولم تستطع أن تعلق، بينما قال (نينورتا) محاولا الجدال:

- ولكنك قلتِ منذ قليل أنه يجب محاربة مستقبلنا المظلم المحتوم لتحقيق أفضل مستقبل مشرق ممكن..

ابتسمت (نانشي) رغما عنها وهي تقول:

- لا أتذكر قولي لشيء شديد الإلهام مثل كلماتٍ كهذه عزيزي (نينورتا).. ولكن حتى إن صحّ قولك فيجب أن تسير الأحداث وفقا للقواعد التي ستنتهي بتحقيقنا لهدفنا من المهمة، لا يجب تغيير البدايات هذا ما لا يجب علينا العبث به..

قاطعت (نينشوبور) حديثهما الجدلي بأن شدت قامتها القصيرة بشكل مضحك وهي تقول بصرامة رغم رقة صوتها:

- سأفعلها من أجل سيدتي (إينانا).. سأقابل الساحر وأقنعه بمقابلة السيد الطافر.. سأنجح بمهمتي وأترك الباقي لك سيدي (نينورتا) فأنا أثق بك..

ثم نظرت نحو (نانشي) مضيفة بصدق:

- كما أثق في مفسرة أحلام (كيش) الجميلة والجريئة (نانشي).. وسننجو معا من هذا ونحيا لنقص قصة استعادتنا للسيدة (إينانا) ونحن نضحك ملء أفواهنا سخريةً من خوفنا هذا..

ضربها (نينورتا) برفق على ظهرها وهو يمازحها قائلا:

- هذه هي (نينشوبور) القوية كما أعرفها.. سأطلعك على الخطة بحذافيرها الآن كما يتخيلها ذهني..

ولم يلمح أي منهما العبرات الصامتة التي ما انفكت تسيل من مآقي (نانشي) وهي تعلم يقينا مستقبل المهمة..

٣٠- سيد الصواعق

اشرأبت الأعناق محاولةً إلقاء نظرة خاطفة على أية تفاصيل لجسد الراعي العادل السيد (أمورو)، وهو يحطّ من السماء ليستقر بمنتصف الساحة المنبسطة المواجهة مباشرةً لمطلع زقورة (نيبور) الرئيسية.. صاح البعض بحماس مع رؤياه، فطالتهم نظرات عتاب من البعض الآخر تذكرهم بأن سيدهم السابق (إنليل) متواجدا مكبلا بالأغلال راقدا أرضا بين عقربين شديدي الضخامة، فلا يجوز إظهار تبدّل الولاء علانيةً بمثل هذه السرعة خلال أيام، حتى وإن كان هذا هو مكنون القلوب الحقيقي بدافع يمتزج فيه الخوف والامتنان مع الرضا على السيدين الجديدين..

كان جسد (إيشارا) محلقا ثابتا فوق مستوى جسدي العقربين ترمق الجمع المحتشد محركة رأسها ذات اليمين وذات الشمال.. انتهى هبوط (أمورو) ليحطّ بجانبها، وقد تراص جيش صغير العدد من العقارب في قوس خلف السيدين المحلقين وزوج العقارب المصاحب لهما والمطوّق ل(إنليل) الأسير..

انطلق (أمورو) قليلا للأمام ليتقدم زوج العقارب وسيد الصواعق الأسير، مقتربا من حشد العامة المتحمس لرؤيته عن قرب، ورفع يديه نحوهم مبتسما بصمت، فلم يستطع

حينها أغلبهم كتم مشاعره وضجوا بصياح حماسي يعظمون ويمجدون الراعي العادل سيدهم الجديد.. أغمض (أمورو) عينيه قليلا وكأنه يتزود معنويا من هتافهم، شيء جديد لم يحدث له من قبل كونه اعتاد تجنب التجمعات والابتعاد عن الظهور علانية، والاعتماد على نظام حياة يتكون من كرّ وفرّ وتخفي بقلب الصحاري أو بجوف الأرض بمدن عقارب (إيشارا)..

شعرت (إيشارا) بفخر كونها الساعد الأيمن لهذا السيد الذي نجح في اكتساب قاعدة من المؤيدين بسياسة حكيمة لم تخلو من التلويح بالاعتماد على قوة غاشمة، قوة لم يتم استخدامها ضد أهل (نيبور) رغم علمهم بما فعلته من قبل من تدمير ساحق لمدينة (ماراد) جيشا وصخورا.. لهذا هم ممتنون لأبعد حدّ له ولعفوه عنهم، لدرجة جعلتهم يغضون الطرف تماما عن سيدهم السابق الأسير أمامهم، ويقومون بالاحتفاء بسيدهم الجديد جهارا..

تحفز الجميع مع انفراجة شفتيه المنبئة عن بدء حديثه، ليأتيهم صوته قائلا مخاطبا بلهجة قوية حازمة:

- أهل (نيبور) الكرام.. رعايا الراعي العادل (أمورو).. تعيشون بمدينة جميلة ورائعة أراها أعظم مدن عالمنا السماوي بلا شك.. عزّ عليّ أن أصير حاكما لها بسن السيف

وسفك الدماء.. أردت أن أجنّبكم ويلات الحروب.. فليس بذنبكم اختلافي مع سيدكم السابق (إنليل) على حكم (نيبور).. لذا ارتأيت أن أقوم بتسوية الأمر على الطراز القديم المعتاد بين رجال المحاربين.. رجل مقابل رجل.. محارب مقابل محارب..

كانت الشمس تحتل كبد السماء الصافية من السحب ملقية بنيرانها لتلهب الوجوه والجلود بلفح حرارتها، ولكن لم يلقِ أي من الرجال أو النساء بالًا لقيظ الحر مع حماستهم لما يسمعوا، تنامت صيحات استحسان لقرار سيدهم الجديد، وهتف بعضهم أنه شجاع حقا ليبادر بحل نزاعه ضد (إنليل) بنزال مباشر رغم أن قوة (إنليل) كسيّد للصواعق لا تخفى على طفل بالعالم السماوي، لابدّ أنه قوي كذلك ليقوم بهذا التحدي الخطير.. فلا يوجد سيد مهما بلغت قوته يجرؤ بسهولة على تحدي السيد (إنليل) في نزال فردي.. ولم يبذل بعضهم جهدا لإخفاء تنهيدات الارتياح لاتخاذه لهذا القرار بعد أن كان شعور بالذنب يجتاحهم، الآن فقط لن ينتصر إلا الأقوى والأجدر بحكم مدينة (نيبور)..

التفتت العيون كلها نحو (إنليل) الذي برقت عيناه فجأة وهو يقوم بحركة مباغتة ممزقا قيوده، لينتصب واقفا كجبل شامخ حاد النظرات رغم اتساخ ثيابه التي كانت ممزقة في

أكثر من بقعة، بالإضافة لوضوح شيء من الإنهاك متجليا في تقطيبة جبين دائمة وزاوية فم مائلة وقبضتين مضمومتين، ولكنه كان يرسل النظرات المتحدية صوب (أمورو) بلا خوف قائلا بسخرية:

- أخطأت أيها الراعي المحتال..

غمغمت (إيشارا) بصوت لم يسمعه سوى (إنليل):

- لم يعد أحد يدعوه بهذا الاسم.. كُف عن هذا وإلا جعل موتك بطيئا ومؤلما ومهينا أمام شعبك..

نظر لها شذرا وهو يرد لهجة لاذعة:

- وأين شعبي هذا؟ إنهم يحتفون بسيدك المحتال رغم أنني لم أمت بعد!

قالت بإيجاز:

- لقد متّ بالفعل يا سيدي!

التفت (أمورو) نحو (إنليل) راسما نظرة تمثيلية متفاجئة وهو يقول:

- سيد الصواعق يقبل التحدي.. هذا مُلْهِم!

ضم (إنليل) قبضته لتتراقص الصواعق بين أصابعه وهو

يبتسم ابتسامة عريضة بدون أن ينطق، شعر كل من (أمورو) و(إيشارا) بالقلق مع رؤياهم للشرارات تتكون بين أصابعه فقد ظن كلاهما أنه قد فقد قدراته للأبد مع استيلاء (أمورو) على قوته، لذا فقد توتر الاثنان مع مرآهم لقبضة (إنليل) التي تلقي بالشرر..

اربدّت السماء لتكفهر بغمام أسود متراكم في طبقات حجب ضوء الشمس في لحظات، ربطت (إيشارا) بقلق بين تكوّن السحاب وبين تلوّن عيني (إنليل) بلون فضي براق، يمكن لأسياد الصواعق استدعاء السحب كوسيلة نقل أثناء المعارك وفي حالات التنقل السلمي بين المدن، وبالتالي يمكن ل(أمورو) -نظريا- فعلها كونه أصبح سيدا للصواعق، ولكن تلك النظرة المتفاجئة على وجهه وهو يرمق السماء أظهرت بوضوح أنه ليس المتسبب في هذا، ما زال (إنليل) يملك بقايا قدراته السابقة ولكنها بكل تأكيد لا تكفي لمواجهة سيدا بكل قدراته كـ(أمورو)، لذا فلابد وأنه يفكر في الفرار الآن، وأفضل طريقة يمتلكها هي بالفعل امتطاء متن الغمام والتحليق بعيدا..

ساد العامة صمت هادر.. الكل ينظر بترقب.. لم يتجرأ أحد على الهتاف باسم أحد السيدين.. لا يريد أي منهم التورط في تشجيع الخاسر.. استعاد (أمورو) جأشه بسرعة وهو

يضم قبضتين تألقتا ببرق فضي شديد اللمعان انعكس سناه على وجهه، بدا من الواضح فرق قوة الصواعق المنبعثة من كلا السيدين بمجرد إلقاء نظرة سريعة على الفارق بين حجميهما، قال (أمورو) باستهانة مخاطبا (إنليل):

- أحترمك كخصم حقا.. تناضل وتحارب لآخر شرارة يمتلكها جسدك الفاني.. آخر شرارة حرفيا..

ردّ (إنليل) بقوة رغم موقفه:

- ستكون هذه الشرارة آخر ما ستراه قبل مصرعك أيها المحتال..

هزت (إيشارا) رأسها بأسف خلف حجابها متمتمة:

- لقد حذرتك يا سيد الصواعق من استفزازه بهذا اللقب السابق.. كنت أريد جسدك قطعةً واحدة!

زمجر (أمورو) بالتزامن مع صيحة (إنليل) الهادرة.. شخصت الأبصار المندهشة من ظهور شرارات أسياد الصواعق بوضوح بين قبضتي (أمورو).. تعجبت (إيشارا) مع رؤياها لعزم (إنليل) على إطلاق صاعقة هجومية، صاعقته الأخيرة بالتأكيد والتي تعجبت من استمرار احتفاظ جسده بها رغم استنفاد الكينونة لكل طاقته.. لن يفرّ إذًا كما ظنت.. ولكن.. ألقت نظرة على الغمام الذي بدأ يتكثف

ليتجمع فوقها مباشرةً، قدرات (إنليل) مخيفة حقا حتى وهو بلا صواعق، ومن الجيد أنه قد تم انتزاع قوته الأصلية منه وإلا لكان خصما لا يمكن مجاراته.. لماذا تحركت السحب؟ هل هذا مجرد انعكاس لحالة (إنليل) النفسية الحالية أم أنه هناك شيء ما لا يمكنها استعيابه؟

وثبت صاعقة رفيعة خافتة من بين يدي (إنليل) قابلتها صاعقة ضخمة متألقة متموجة وثبت من أطراف أصابع (أمورو).. هوت صاعقة (أمورو) الكاسحة لتصيب جسد (إنليل) إصابة مباشرة قاتلة.. بينما طارت صاعقة (إنليل) عاليا لتضرب الغمام.. ظن السيدان بالبدء أنها قد طاشت مع إصابة جسده، ولكنها كانت دقيقة لغاية في هدفها.. وبينما استمرت صاعقة (أمورو) في ضرب جسد (إنليل) وتمزيقه إربا، كانت صاعقة سيد الصواعق الأخيرة تضرب الغمام المتكثف وتجبره على إفراغ مكنوناته، فسقطت الأمطار مدرارا على أجساد (أمورو) و(إيشارا) وزوج العقارب.. ولكن كان تأثيرها على (أمورو) رهيبا بحق..

أطلقت (إيشارا) صيحة غضب عاتية مع إدراكها لخدعة (إنليل) الأخيرة والتي لم يحتاج لآدائها إلا لصاعقة واحدة فقط.. صاعقة كانت كافية لإسقاط الماء على جسد (أمورو).. وكما قامت بالتخطيط من قبل لعزل جسد (إنليل) بقلب

كرة مائية تغمر جسده، فعل خصمهما المِثل وقام بنثر الماء على جسد (أمورو) الذي كان ما يزال يطلق صاعقته الجبارة الممتدة.. وخلال ثوانٍ كانت الشرارات الكهربية ترتد وتنعكس عن قبضتي (أمورو) لتسري بجسده.. ارتج جسده وارتعش وأضاء.. انطلقت من حلقه صيحات ألم ممتزجة بذهول وعدم تصديق.. تصاعد الدخان من أسماله وتفحمت عمامته وأطل الشرر من محجري عينيه.. تراقص جسده و(إيشارا) ترفع يديها لا تدري ماذا يمكنها أن تفعل في هذا الموقف.. ثم تصاعد الدخان الأسود الكثيف من جسده بعد أن تحوّل لجثة محترقة، ليميل جسده ويسقط بقوة كجذع شجرة محترق بالتزامن مع سقوط جسد (إنليل) جثة هامدة ممزقة تسودها الخطوط السوداء..

عمّ المكان صمت كالقبور أو أشد وحشة.. لم يجرؤ شخص على النطق.. حتى (إيشارا) تجمدت للحظات مذهولة لا تصدق ما حدث للتو.. لقد استغل (إنليل) الخبيث غرور (أمورو) وثقته بنفسه ليقضي عليه، كان (إنليل) يعلم أن مصيره الحتمي الموت ولكنه أبى إلا وأن يأخذ معه (أمورو) للعالم السفلي، ولكن بجسد محترق كهذا لا مكان له بالعالم السفلي حتى.. يا له من مصير أسود غير متوقع على الإطلاق..

انسلت كرتان بلون أحمر خافت بين سحابات الغمام السوداء.. كرتان تخللتهما خيوط من شرارات متراقصة.. كان المزيج يتخلل الدخان ويتصاعد نحو السماء.. وحدها (إيشارا) لاحظته ليخفق قلبها بقوة كما لم يحدث من قبل.. قوة الكينونة لا تفنى، بل والأكثر إثارة للانفعال هو أنها تترك جسد السيد الصريع المحترق وهي تأخذ منها كينونة الصواعق، بعد أن امتزجا سويا وصارا كيانا واحدا لا يتفرق.. كينونة من مزيج من سحر خارق وقوة الصواعق الطبيعية.. مزيج لم يحدث أن أن تواجد بالعالم من قبل قَطّ.. شهقت (إيشارا) بلهفة وهي تحلق نحو خيوط الكينونة المزدوجة وكلها أمل أنها ستتمكن من استيعابها.. فردت يديها وباعدت ما بين أصابعها وهي تلمس الخيوط السحرية.. تموجت الخيوط وتراقصت حول الأصابع وكأنها تفكر ذاتيا، ثم لن تلبث أن امتزجت بالأصابع تماما كما تفعل الهالات الإلهية.. أخذت (إيشارا) نفسا عميقا وهي تشعر بالقوة اللانهائية تسري بجسدها.. برقت كرتان بلونٍ أحمر من أسفل غطائها القماشي الأبيض بالتزامن من تراقص شرارات كهربية حول أطراف لباسها الأبيض.. شعرت بنفسها وقد أصبحت المشعوذة وسيدة للصواعق في آنٍ واحد فانطلقت من حلقها ضحكة مجلجلة صاخبة، مدركةً أن موت (أمورو) كان مُقدَّرًا لتصبح أقوى مخلوق بالعالم السماوي..

عمّ الصمت بعد انتهاء ضحكتها العالية والعيون تنظر بقلق لأجساد السيدين الصرعى.. ثم بتر الصمت صوت ذبابة سيف المارد (عسق) وهو يسير الهويني بجوار جثة (أمورو)، توقف أمامها وانحنى ليلقي نظرة متفحصة على وجهه المتفحم، ثم ألقى نظرة نحو (إيشارا) قائلا بلهجة باردة:

- لقد مات!

قالت (إيشارا) بصوت مرتفع حاولت أن تجعله مسموعا للجميع:

- لقد كان نزالا عادلا.. قضى سيدا الصواعق كلاهما على بعضهما البعض.. وأصبحت (نيبور) الآن تحت حكمي أنا السيدة (إيشارا).. ملكة الصحاري والعقارب.. المشعوذة وسيدة الصواعق!

زمجر (عسق) وهو يقول لها مشيرا نحو الحشد المتجمع:

- وهؤلاء الرعاع؟

تضاربت الأفكار بذهن (إيشارا).. لطالما عاشت مرتزقة تنهب وتسرق وتكر وتفر وتختبئ بقلب الأرض بين عقاربها.. أراد (أمورو) التغيير فلفظه التغيير وأصابه في مقتل.. لربما امتلك (أمورو) خطة وكياسة سياسية، وربما لم يملك أيا منهما وكان سيحاول.. ولكنها ليست مثله.. على الأقل بعد

قوتها الخارقة الحالية لم تعد ترى هناك أيًا من الأسياد يمكن مقارنته بها وبقواها الحديثة.. لا تريد المحاولة ولا ترى لها فائدة.. هؤلاء العامة ليسوا إلا عائقا وقت الجدّ، وعائقا أيضا وقت السلم، فمن يهتم بإطعام أو صيانة مرافق هؤلاء العامة الحثالة؟ ما الذي سيعود عليها بالنفع من الاحتفاظ بهم؟ لقد انتهت حقبة (أمورو) السياسية ولتبدأ حقبة (إيشارا) الدموية كمرتزقة حقيقية وليس كملكة تهتم لمخارج كلماتها وتصرفاتها.. وبما إن جسد (إنليل) صار ممزقا بما لا يصلح معه مجاراة (زابابا) سياسيا، لذا فليذهب الجميع إلى الجحيم!

طارت لتقف بجسدها فوق جسد زوج العقارب لتواجه الحشد، مدت ذراعيها للأمام لتفرد أصابعها ذات الأظفار السوداء المخلبية لتصيح بملء حنجرتها بلهجة مخيفة:

- اقتلوهم.. لا تغادروا منهم أحدا.. مزقوا الأجساد واقطعوا الأوصال.. اقذفوا بالرؤوس فوق أسوار المدينة للخارج.. ابقروا البطون واسلخوا الشعر وحطموا العظام.. لنجعلها (نيبور) الحمراء اليوم!

أطلق (عسق) صيحة انتصار بعد أن تحقق له مراده أخيرا، بينما امتزجت صرخات الرعب من بين العامة وانطلقوا يفرون في كل اتجاه بمنتهى الذعر، تتبعهم العقارب الضخمة

و(عسق) بسيفه.. وكانت مذبحة سريعة لم تترك سماويا إلا ومزقته، ولم يسلم من هذه المذبحة طفلا أو شيخا أو فتاة.. الجميع لقي نحبه بأشد الطرق وحشية وضراوة.. وخلال دقائق صارت المدينة تسبح على طبقة جارية من دم أحمر قانٍ، كان يتدفق بين المباني ويصب بمجاري الماء كقنوات متعددة ومتشعبة كريهة الشكل والرائحة..

وسط زمجرات وقهقهة (عسق) وصدى قرع كماشات العقارب المتلاطمة، كانت (إيشارا) تحلق عاليا لأقصى ارتفاع ممكن حتى فاق ارتفاع جسدها قمة الزقورة المركزية العملاقة.. دارت حول نفسها بسرعة مطلقة صيحة هائلة مزلزلة.. تلقى كل عقرب من عقاربها الصيحة بعقله ليأتيها مهرولا من كل فج عميق.. مئات وآلاف العقارب تحركت في نفس اللحظة لتلبي نداء سيدتها.. كان مشهدا مهيبا والعقارب تتحرك من كل مكان متجهة نحو (نيبور).. حتى عقارب (ماراد) تركت مدينتها وسعت نحو سيدتها.. تكتلات من وحوش سوداء متحركة كانت تحيط المدينة كحلقات تقترب من الأسوار بسرعة.. تفجرت الأرض لينبعث منها عدد مهول من عقارب جوف الأرض.. تخطت العقارب السطحية الأسوار لتدمرها مسقطة إياها بعنف، تساوت الجدران العظيمة والبوابات بالأرض مع حركات العقارب الهمجية لداخل المدينة متبعة أوامر سيدتها.. بينما برز العديد من العقارب

بقلب المدينة آتيا من جوف الأرض.. صارت (نيبور) تحتوي تجمعا رهيبا من آلاف العقارب تكتلت بقلب المدينة كسواد بشع يتمعج باستمرار أسفل سيدته منتظرا الأمر..

أتى الأمر العقلي من (إيشارا) وهي تدور حول نفسها بسرعة متزايدة، ليطير عنها حجابها القماشي الأبيض تاركا جسدا غير واضح الملامح بسبب سرعة دورانها.. جسدا يتألف من إعصار من صواعق تتخلله خيوط حمراء شديدة اللمعان.. سارعت العقارب بالتدمير.. كل مبنى ومعبد وسور وبيت وشجرة تم تسويته بالأرض.. عاثت العقارب الفساد ب(نيبور) لتحوّلها لأطلال فوق أطلال.. سقطت المعابد العظمى والمكتبة والمصانع البسيطة.. تم ردم أفرع المجرى المائي العديدة بالصخور والرمال والتراب والأشجار.. ولما صارت المدينة أثرا بعد عين أصدرت (إيشارا) الأمر الجديد.. ابنوا مدنكم تحت الأرض.. أسفل (نيبور) وحولها.. لنجعل هذه الأرض هي أرض العقارب وليحذر أي مخلوق من الاقتراب منها وإلا سيأتيه الموت من حيث لا يحتسب ولا يرى ولا يتوقع..

ولنعيش كمرتزقة من جديد ولكن مرتزقة بلا أسياد!

٣١- معركة قمة الزقورة

معبد (مردوخ) بقمة زقورة (بابل) المركزية.. العالم السماوي..

توقف (النمرود) مدهوشا مما يسمع، وطالب الحارس بتكرار ما قاله، فأعاد الحارس ببطء الكلمات قائلا:

- هناك فتاة تبدو أشبه بالأميرات تقول إن لديها ما يهم السيد (مردوخ) وأنها لن تتحدث إلا في وجوده..

صمت (النمرود) قليلا يمعن التفكير محاولا استيعاب ما يسمع، قام بصرف الحارس بدون أن ينظر نحوه ثم دار على عقبيه ليدخل المعبد حيث كان (مردوخ) جالسا على كرسيه منتظرا عودة الساحر.. ولما رآه حائرا سأله:

- أهناك ما يستدعي القلق؟ هل ما جاء به هذا الحارس يستحق مقاطعة جلستنا شديدة الأهمية هذه؟

نفض (النمرود) رأسه وهو يرد:

- ربما شيء شديد الأهمية.. وربما لا شيء..

- لا تتحدث بما لا ينفع ولا يمكن فهمه..

- أعني أنه لو صحّ سيكون شيئا يستحق..

- تحدث بوضوح أكثر..

- هناك فتاة من أصل نبيل المظهر تريد مقابلتك شخصيا..

نخر (مردوخ) هازئا قبل أن يقول:

- فتاة من العامة تريد مقابلتي؟ هذا جنون!

ردد (النمرود) سارحا:

- وربما شيئ جلل..

حدق (مردوخ) بوجهه صائحا:

- هل جننت؟ لن أقابل أحد العامة بكل تأكيد..

سارع (النمرود) بالقول:

- بالتأكيد هذا لا شك فيه.. ولكني أريد مقابلة الفتاة شخصيا بنفسي.. أعتقد أن لديها شيئا خطيرا جعلها تتجرأ على طلب مقابلتك يا سيدي..

نظر (مردوخ) له مليًّا وهو يقول له محاولا سبر أغواره:

- لديك ما تخفيه..

- لا بالطبع يا سيدي.. إنني فقط أقوم بالتفكير وأنا أحادثك.. لقد قالت الفتاة شيئا يخص أحد أسياد الصواعق الفارين من العالم السماوي..

برقت عينا (مردوخ) بشدة بدون أن ينطق لوهلة، ثم قام من كرسيه فجأة وهو يقول على الفور:

- سأقابلها..

تردد (النمرود) وهو يقول له:

- دعني أتحقق مما لديها بادئ ذي بدء..

اقترب منه (مردوخ) ببطء قائلا:

- عزيزي الساحر.. لا يوجد ما أخشاه، ولم يُخْلَق بعد من أخشاه أو هو جدير بهذا.. بالإضافة لأنه من الواضح أنها صادقة.. عدد من يعلمون بخصوص سيد الصواعق الفار حفيد (أنو) لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة..

قال (النمرود):

- لا يخامرني شك في كل ما تقوله يا سيدي.. ولكني أشعر أن في الأمر أمورا..

ابتسم (مردوخ) بسخرية قائلا:

- لا تخف عزيزي.. لن يأتي الخطر لقلب معبدي هكذا بسهولة.. لنذهب ونقابلها..

شعر (النمرود) بشيء ما يدعوه للتريث ولكنه لم يستطع

مخالفة (مردوخ)، لذا قام بالاستئذان منه للخروج من المعبد حيث كان الحارس ما زال منتظرا، فأخبره بأن يأتي بالزائرة للمعبد بأقصى سرعة، فسارع الحارس بتنفيذ الأمر الذي كان يعلم (النمرود) أنه سيستغرق وقتا طويلا لشدة ارتفاع المعبد الذي سيستدعي من الزائرة تسلق عددا مهولا من الدرجات السلمية الحجرية لتصل في النهاية لقمة الزقورة، ووجده وقتا كافيا للعودة لقلب المعبد وإكمال النقاش مع (مردوخ) لحين وصول الزائرة الغامضة..

في نفس الوقت كان (نينورتا) يهبط من فوق مستوى الغمام متخفيا بقلب سحابة بيضاء كثيفة، قابضا على (نانشي) بيسراه من جذعها تاركا إياها تلتصق به بقوة مطوقةً عنقه بيديها، مغمضة عينيها متجنبة النظر لأسفل حيث بدت الأرض كغلالة سرابية متحركة غير مطمئنة، أشبه بقاع هوة سحيقة مميتة تصيب من ينظر إليها فقط بالدوار.. كانت تجاهد لأخذ جرعات من الهواء على هذا الارتفاع الشاهق مما ساهم في بدء الدوار بالفعل بدون حتى أن تنظر للأسفل.. فانتظر (نينورتا) لدقائق ليعطيها الوقت الكافي لتتكيف على وضع نقص هواء التنفس هذا، ولم يطمئن ويبدأ تحركه الاستكشافي إلا حين ابتسمت له (نانشي) مشجعة وهي تهز رأسها ببطء ليبدأ المهمة..

قام بالدوران عدة مرات حول قمة الزقورة ليستكشفها، استطاع تمييز مدخل المعبد في الجهة الشمالية، بينما لم يستطع رؤية أي شيء ينتمي لداخله من باقي الجهات، وإن استنتج أن قلب المعبد وغرفة (مردوخ) ستكون وبلا شك جهة الجنوب إذ استطاع رؤية تمثال ضخم له من الخلف جهة الجنوب كان يخفي محتويات هذه الغرفة لكبر حجمه، وكان من المتبع أن يضع الأسياد تمثالا منحوتا لهم بقلب المعبد حيث يقع مقر الكرسيّ وحيث يقابل وزراءه وأعوانه ويقوم بعمل جلسات المشاورة واتخاذ القرارات المصيرية.. لذا قرر (نينورتا) أن التسلل سيكون من جهة الشرق أو الغرب حيث من المتوقع أن تكون الغرفة التي يتم احتجاز (إينانا) بداخلها..

شعر ب(نانشي) ترتعش ارتعاشا رقيقا هز جسده الملتصق بجسدها، ألقى على وجهها نظرة جزع فرآها مغمضة العينين مرتجفة الجفون كَمَنْ هو بقلب حلم، رؤيا جديدة في خضم الأحداث، رؤيا ستكون ذات منفعة لأقصى حدّ قبل بداية اقتحام المعبد الفعليّ، انتظرها حتى فرغت وبدأ تفتح جفنيها ببطء تنظر نحوه بنظرات جاهلة بادئ ذي بدء، ثم استجمعت شتات أمرها وزادت من التصاقها به وهي تسعل بدون أن تتحدث، قرّب (نينورتا) فمه من إحدى أذنيها وهمس لها:

- لا أريد أن تكشفي لي المستقبل بالتفصيل.. فقط أخبريني هل أتسلل من الشرق أم من الغرب؟

نظرت نحوه بتردد لا تدري أتجيبه أم لا، فعاود الهمس بحزم:

- شئنا أم أبينا فإنه لولا إفشاؤك لجزء من رؤياك لما استطعنا الوصول لهذه النقطة في مشوار استردادنا ل(إينانا).. كوني حكيمة فقط وأخبريني ما يجب عليّ أن أعرفه فقط..

تنهدت لتعاودها نوبة سعال جافة أحرقت صدرها، ثم ألصقت شفتيها بأذنه وهمست بإيجاز مُسَلِّمَةً أمرها:

- الشرق!

شعر (نينورتا) بالطاقة تسري بجسده بمنتهى الحماس وتهبه مزيدا من القوة، حلق جانبا موليا وجهه جهة الشرق، دار حول المعبد يطفو بصمت كإلهٍ مهيب حتى توقف بمواجهة الجدار الشرقي للمعبد، حيث لا يمكن أن يتخيل مخلوق بداخل المعبد أن هناك من يستطيع الدخول من ناحية هذا الجدار من الخارج، نقطة تفوق رهيبة يجب عليه أن يحسن استغلالها بقدر ما يستطيع، فعنصر المفاجأة وحده قادر على حسم المعركة..

ثم أضاف لنفسه المعركة التي ستنتهي بمقتلي كما رأت (نانشي) بلا شك وأرادت أن تخفيه عنِّي.. ولكنه لم يبالي.. سيتحدى مستقبله ويبذل كل ما يملك لإنقاذ شقيقته وآخر من تبقى من نسل أسياد الصواعق، هذا واجبه كما فعل معه أبيه الحبيب (إنليل) وأنقذ حياته، وهذه هي وظيفة الأهل وهي أن يقفوا بجانب بعضهم البعض، يقفون بإصرار وعزم قادرين على تغيير المستقبل، فالمستقبل لم يحدث بعد، وهذا يعني أنه ما زال في علم الغيب ويمكن تطويعه كما يشاء.. ليس اندفاعه بأعمى ولكنه بُناءً على خطوات دقيقة وضعها بالتشاور مع (نانشي) راجحة العقل لحد مذهل.. (نانشي) التي أراد أن يضيف أبناءً لنسل أسياد الصواعق يأتون من صلبه من رحمها البشري إن كان هذا ممكنا.. ولوهلة فكر هل حدث بتاريخ العالمين تزاوُج سيد سماوي من بشرية عادية؟ ولكنها ليست عادية.. (نانشي) مقاتلة وشديدة الحكمة والعناد في اتخاذ قرارتها إن رأت صحتها، وتملك نسبًا عريقا يعود للجد البشري الذي كان صديقا شخصيا لسيد أسياد الصواعق الغابر (أنو)، والذي لا يمكن أن يصادق بشريا بلا سبب وجيه يجعله جديرا بمثل هذا الشرف، بالإضافة لموهبتها الإلهية والتي تجعلها ترى بوضوح شذرات جلية من المستقبل بكل وضوح وكل قُبْح!

في نفس اللحظة كانت (إينانا) تغفو على جانبها ملصقة وجهها بجدار المعبد الشرقي البارد.. تحلم بجدها (أنو) يبتسم لها ويربت على ظهرها بحنوّ وهو يقول لها بنبرات رخيمة هادئة: لا تحزني يا بنيتي فالغيمة تتحرك نحوك والغُمَّة على وشك الانجلاء.. اختفى (أنو) ليأتي (إنليل)، هرعت لترمي نفسها بين ذراعيه كما اعتادت، وبكت بحرقة كما لم تبكِ من قبل.. كانت تفتقده بشدة.. سالت دموعها على وجنتيها أثناء نومها لتتساقط على الأرض الرخامية الباردة، احتضنها أبوها برفق وهو يهمس لها: (نينورتا) قادم.. سيقوم بإنقاذك.. عليك بالثقة في شقيقك فأنتما آخر من تبقيا من نسل أسياد الصواعق..

انتفضت وهي تستيقظ كالملسوعة تحدق في جدران غرفتها بخواء، لقد كان هذا الحلم قريبا للغاية منها ولمسها بعمق لم تشعر به من قبل، لم يكن حلما بل كان نوعا من أنواع التواصل الخارق للعادة.. لقد كانت رسائل حقيقية أرسلها لها أبيها وجدها ليقوما بطمئنتها.. ولكن هل يعني هذا أن (نينورتا) آتٍ بالفعل لإنقاذها؟ ارتجفت رغما عنها خوفا عليه وهي تتذكر الساحر ذا القدرات المخيفة وسيده الذي استطاع بسهولة تقييدها وانتزاع الهالة المقدسة من بين يديها.. لن يكون إنقاذها من بين أيدي هذين الجبارين شيئا سهلا على الإطلاق.. سيكون المستحيل ذاته..

في نفس اللحظة وبأطراف المعبد، حيث قام (نينورتا) بوضع (نانشي) بموقع يقع خارج بوابة المعبد الشمالية، حيث لا يمكن أن يتخيل أحد الحارسين الواقفين أنه سيأتي أحد من الفضاء ويكمن لهما خلفه، كانت تقف متمسكة بصخرة ناتئة من الجدار تفصلها عن البوابة والحارسين مباشرةً، واقفة على إفريز ضيق يكاد يتسع لقدميها معا مشدودة الجسد ثابتة كتمثال، تتجنب النظر لأي شيء إلا صخور الجدار الملاصقة لوجهها، كانت (نينشوبور) تصعد آخر درجات السلم وهي تلهث بقوة والإرهاق بادٍ على ملامح وجهها، وصدرها الذي كان يتواثب بجنون مع سرعة أنفاسها اللاهبة.. استندت إلى باطن الصخرة الناتئة التي كانت (نانشي) تقف خلفها، مطرقة أرضا تحاول تهدئة أنفاسها السريعة.. كان صوت تنفسها مسموعا لدرجة أن (نانشي) سمعته بوضوح وأيقنت أن النهاية قاب قوسين أو أدنى قليلا.. فتحفزت وهي تتحسس خنجرا ماضيا ملتصقا بجانب فخذها الأيسر، خنجرا مصنوعا من معدن سحري أخبرها (نينورتا) أنه قادر على اختراق أجساد الأسياد وقتلهم، كانت تعلم أنه مجرد خنجر حديدي ولكنها كانت تثق في (نينورتا) وفي ما توارثه عن أجداده من أسرار تخص العالم السماوي..

جاء صوت الحارس ليصل لكلا من (نينشوبور) و(ناشي)

آمرا الأولى بالدخول ومقابلة السيد (مردوخ) والساحر (النمرود)، فشدت (نينشوبور) قامتها باعتداد وبدأت بالتحرك للداخل، بينما تحفزت (نانشي) للخطوة القادمة، إذ كانت كل مهمتها تتعلق بحماية (نينشوبور) قدر ما استطاعت حتى يتسنى ل(نينورتا) إيجاد (إينانا) والفرار بها.. وابتسمت رغما عنها وهي ترى المفارقة الحالية التي تجعلها تقوم بمهمة شبه انتحارية بقلب عالم آخر بمعقل أقوى كائنين بهذا العالم، مهمة حماية أنثى من أجل (نينورتا) عشيقها.. وأضافت محاولةً نفض الذكرى عن ذهنها عشيقي الذي سيكون اليوم هو آخر يوم أراه فيه.. ورغم إيمانها به وبإصراره على تغيير المستقبل ولكنها كانت على يقين تام أن رؤياها لا تخطئ أبدا.. وإن حاول كائن تغيير نهايتها ستجد طريقها دائما لتحقيق ما خَطَّتْهُ يد مهندس الكون، والذي لا يقبل أن يعبث أحد بما كتبه منذ الأزل..

وقفت (نينشوبور) بين يدي الساحر (النمرود) المستوِي أسفل (مردوخ) الجالس على كرسيه بعظمة وخيلاء..

جال (مردوخ) بنظراته في وجهها وجسدها فشعرت (نينشوبور) بنصال تخترقها وتصيبها بآلام حارقة بصدرها.. إنها خائفة لدرجة مجنونة.. هذا السيد هو أقوى من كل الأسياد كما أخبرها الحكيم (مانادنو)، وهي تقف أمامه الآن

فقط لتضييع وقت كافٍ ل(نينورتا) لإيجاد (إينانا) وإخراجها من سجنها.. تذكرت سيدتها فانتابتها موجة تماسك قوية مفاجئة وشعرت بالطمأنينة تغمرها وانشرح صدرها، وفقدت كل خوف من هذا السيد تماما وكل تفكيرها قد انصبّ الآن على سلامة سيدتها الأثيرة..

غمغم (النمرود) بسخرية:

- يا للكِ من فتاة شجاعة.. طفلة إن جاز لي القول..

تجنبت النظر نحوه إذ كانت ملامح وجهه البشعة تصيبها بالتقزز مع لمحة من خوف غريزي، هذا الشخص لابد وأنه الساحر الذي استطاع كسر قواعد العالمين وصنع حاجز السحر حول مدينة (بابل).. إنها تقف الآن حرفيا بين أكثر كائنين استطاعا قلب موازين عالمها وما يتصل به من عوالِم.. كائنان أعادا صياغة التاريخ بشكل كامل..

لم ترد على (النمرود)، فتدخل (مردوخ) ليقول لها مبتسما ابتسامة مخيفة:

- تحدثي أيتها الطفلة ولا تخشِ شيئا.. أنا لا أُقْدِم على أذى الأطفال.. قدري أكبر من هذا بكثير.. قدري هو التحكم في كل العوالم وكائناتها..

استجمعت شجاعتها وقالت مندفعة:

- ولكنك ستقوم بإيذاء آخر أسياد الصواعق.. كما تقوم باحتجاز آخر سيدة صواعق لديك هنا.. أليس كذلك؟

اتسعت عينا (مردوخ) بدهشة لا يصدق ما يسمعه، وتبادل مع (مردوخ) نظرة سريعة وكأنه يسأله أنَّى لها الحصول على هذه المعلومة، انقلبت سحنة (النمرود) ليبدو أكثر بشاعةً بكثير من هيئته الهادئة القبيحة بما يكفي، وتحرك نحو (نينشوبور) ليمسك يدها بغلظة وهو يقول لها مهددا:

- مَنْ خلفك أيتها الطفلة الشقية؟

أجابت وهي تحاول انتزاع ذراعها عبثا من قبضته الغليظة:

- سيد الصواعق آتٍ لكما وسينقذ شقيقته ثم يقوم بالقضاء عليكما..

تركها (النمرود) وهو يطلق ضحكة مجلجلة هازئة، طالت الضحكة كثيرا لحدّ أصاب (نينشوبور) بالنفور منه قبل أن يقول لها ببرود:

- لا يوجد مخلوق يستطيع أن يخدش جلد السيد (مردوخ)..

سألته بلهجة مستفزة:

- ألأنه سيد طافر؟

كان الدور هذه المرة على (مردوخ) ليطلق صيحة دهشة عالية بخلاف طبيعته المتحفظة في إظهار انفعالاته، ما تفوهت به (نينشوبور) شديد الخطورة، ويعني أن هناك مَنْ هو على علمٍ تامٍ بكل ما يقومان بفعله ويخططان له هو و(النمرود) منذ فترة.. سارع بالقيام من كرسيه وهمّ بتحذير (النمرود) بشأن (إينانا)، ولكن كانت (نينشوبور) قد أضاعت ما يكفي من الوقت الثمين كان كافيا ل(نينورتا) ليبدأ بخطته.. ففوجئ الجميع بسماعهم لصوت انفجار تتخلله ومضات برق وهزيم رعد، أتى هذا المزيج من جهة الشرق حيث يتم احتجاز (إينانا).. قام (النمرود) برمي جسد (نينشوبور) بعنف أرضا وهو يدور على عقبيه ليبدأ جسده الطيران خارجا من بوابة المعبد الرئيسية عازما التوجه نحو الشرق حيث غرفة (إينانا)، وتبعه (مردوخ) على الفور ووجهه ينطق بغضب متجسد..

ارتكزت (نينشوبور) على ذراعيها وهي تشعر بعظام جسدها تتألم، لم تستطع النهوض من الألم، بدأت تردد تهويدة هامسة بعينين زائغتين كالمجذوبة.. كانت تحرك نصفها العلوي ذهابا وإيابا لتتطاير جدائل شعرها، بينما ركعت أرضا على ركبتيها اللتين طالتهما خطوط رفيعة قبيحة تنزّ دما من أثر السقطة العنيفة السابقة.. انفجار آخر تنامى

لسمع الجميع.. فوجئ (النمرود) برؤياه لجسدي الحارسين ملقيين أرضا صرعى عند مدخل المعبد، تلفّت حوله بغير فهم.. باغتته (نانشي) بوثبة مفاجئة صامتة من خلف مكمنها الصخري.. سبقت خناجرها ظهورها.. لم يستطع (النمرود) أن يرى شيئا قبل أن يشعر بالنصال الحديدية تخترق عنقه وتستقر بها.. جحظت عيناه بمنتهى الذهول مشدوها لا يصدق ما يحدث.. لقد حانت نهايته.. ولذهوله رأى (نانشي).. فتاة لا يمكن أن يفكر أن تكون هي السبب في إنهاء حياته العامرة شديدة الخطورة.. رآها لأجزاء من الثانية قبل أن يخر أرضا جثة هامدة أمام (مردوخ).. نظر السيد الطافر نحو (نانشي) التي كانت تلقي نحوه سيلا جديدا من الخناجر قبل أن تنطلق لتعدو متخذة الممر المفضي نحو الشرق، حيث (نينورتا) و(إينانا)..

كان (نينورتا) قد قام بتفجير الجدار الشرقي بعدة صواعق ضعيفة خوفا من إصابة شقيقته إن كانت بالقرب من الجدار.. تراجعت (إينانا) لتلصق بالجدار المقابل بعد أول صاعقة وقد أضاء وجهها فرحا لسماعها لصوت الصواعق.. ثم رأت وجه (نينورتا) يطل عليها من بين الشق الذي قام بصنعه فأطلقت صيحة انتصار هائلة.. أكمل (نينورتا) تفجيره للجدار ليدخل الغرفة، ولما رأى (إينانا) اتسعت ابتسامته وانطلق يعدو نحوها بشوق جارف مرددا اسمها.. وذاب الاثنان في حضن

أخوِيّ عميق دام دهورا عليهما.. ثم قال لها بانفعال وهو يقوم بتوجيهها خلفه ليخرجا من الغرفة وهو يقول لها بحزم متسائلا:

- لقد حان وقت استخدام هالاتك الإلهية.. سنحتاجها ضد هؤلاء الوحشين.. بسرعة فوصيفتك هناك بمواجهته تؤازرها محاربة بشرية صديقة..

فوجئا ب(مردوخ) يقف أمامهما.. محلقا بخيلاء فوق قرصه الناري المحاط بحلقة من الجماجم والغضب يطل من عينيه.. ثم استشاط (نينورتا) سخطا لرؤياه لجسد (نانشي) معلقا في الهواء بواسطة قبضة قوية تطبق على عنقها بشكل شديد العنف، ووجهها قد ازرق يجاهد لاستنشاق ذرات من الهواء، وأطرافها تتراقص بجنون كالملسوعة..

تألقت شرارات فضية حول قبضتي (نينورتا) وهو يهدد (مردوخ) صائحا بوجه مربدّ الملامح:

- اتركها وإلا أقسم بأرواح آبائي وأجدادي أنك لن تنجو بفعلتك هذه أبدا..

رفعت (إينانا) قبضتيها لتؤازر شقيقها مهددة بخروج الهالتين الإلهتين، والضوء الفضي يجعل قبضتيها تلمعان إيذانا بقرب خروج الهالتين..

نظر نحوهما (مردوخ) بهدوء، ثم رفع ذراعه اليسرى الطليقة ليتجسد بين أصابعها رمح طويل منير تتألق شرارات نارية من طرفه.. حرّك الرمح ليقرّبه من عنق (نانشي) التي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة بوضوح، ثم غمغم بقسوة:

- لا مجال للنقاش.. هذه الطفلة انتزعت روح مساعدي الأيمن والذي كنت أعوّل كثيرا عليه في مهمتي لإخضاع كل العوالم.. لذا ببساطة ستموت..

اقترب (نينورتا) منه يحاول جاهدا كبح رغبته في إطلاق صواعقه نحو السيد الطافر خوفا من إصابة (نانشي)، وهتف هادرا بصوت كهزيم الرعد:

- اتركها..

رد (مردوخ) ببساطة:

- حسنا.. سأتركها..

ثم قام بغرس طرف الرمح بمقدمة عنق (نانشي) بحركة سريعة ليبرز الطرف من الخلف مخترقا العنق بالكامل، ثم باعد ما بين أصابعه ليسقط جسدها أرضا ودماؤها تغرق نصفها العلوي وتسيل على الأرض، كانت ترنو نحو (نينورتا) بنظرة أخيرة ذات معنى لم يفهمه في حينها لاضطراب حواسه مع رؤياه لموتها رأي العين، خارت قدماه ولم يستطع

منع نفسه من إطلاق صاعقة قوية حملت كل انفعالاته من سخط وغضب مدمرين، صاعقة نبعت عن جسده بالكامل وليس عن قبضتيه كالمعتاد، صاعقة استهدفت جسد (مردوخ) مباشرةً مقترنة بصيحة ألم تحمل سخط كل العالمين..

تراجع (مردوخ) بخفة وهو يلوّح بطرف رمحه الناري صانعا عدة دوائر حول نفسها، تكوّنت حلقات من نار قامت بجذب الصاعقة وامتصاص طاقتها بسهولة، صاح (نينورتا) بغضب مضاعف وهو يقترب من (نانشي) أكثر بدون أن يحوّل نظره عن (مردوخ) ويطلق نحوه سيلا من الصواعق المدمرة التي كانت كفيلة بتدمير المعبد عن بكرة أبيه وهدمه على رؤوسهم.. اتسعت ابسامة (مردوخ) المستهزئة هو يحرك رمحه ليخلق الحلقات النارية التي تحيد الصواعق، وهو يغمغم بسخرية:

- ألا تتعلم يا حفيد (أنو)؟!

(هالة إلهية!!)

نظر الاثنان -(مردوخ) و(نينورتا)- نحو (نانشي) مع سماعهما لصيحة (إينانا) السابقة.. فوجئ الجميع ب(نانشي) تميل ليهمد جسدها تماما بعد أن فاضت روحها.. فاضت لتنفصل عنها خيوط فضية دقيقة كانت (إينانا) تعلم جيدا

كنهها.. لقد كانت (نانشي) تملك هالة إلهية.. لقد كانت تعلم أنها هي من سيموت ولكنها رفضت البوح بالسر ل(نينورتا)، لا شك في هذا الآن.. تضحية لا يمكن أن يُقْدِم عليها إلا من لديه مزيج من القوة والحكمة والأثرة.. لا يمكن أن يقدم على مثلها إلا أصحاب الهالات الإلهية.. وما زالت نصيحتها القديمة المبهمة -في حينها- تتردد في ذهنه.. (لا تترددا).. فهم الآن سبب رفضها الإفصاح عن موتها له.. لم يكن سيقوم بالمهمة بنفس الحماس إن كان موقنا أنها ستنتهي بموتها.. ربما لم يكن موته هو شخصيا يؤثر عليه كما يفعل موتها هي.. كانت تعلم هذا جيدا أكثر مما يعلم هو عن نفسه.. ومن الواضح الآن أنها كانت تعلم أنها تمتلك هالة إلهية، لذا قامت بنصيحته بألا يتردد.. لا يتردد عندما يراها صريعة وخيوط الهالة ترافقها.. لا يغرق في رثاء النفس أو الميل لشن هجمات انتقامية على القاتل، ويسارع بالتقاط الهالة.. ولكن هل سيسمح له (مردوخ) بالتقاطها بهذه السهولة؟

أضاء وجه (مردوخ) الأسود مع رؤياه للهالة الأثيرة.. ابتسم وهو يحلق بمنتهى السرعة والقوة نحوها مادًّا ذراعيه نحوها قائلا بغلظة:

- لن يأخذك غيري.. كما انتزعت روح صاحبتك سأقوم بانتزاعِك.. أظنها عدالة شعرية وتعويضا مناسبا لاغتيالك

لساحري الأثير..

طار (نينورتا) بسرعة متجها نحو الهالة الإلهية وجسده لا يكف عن إطلاق صواعقه نحو (مردوخ)، لا يصدق أن هدف رحلته الوحيد بأرض البشر تمثّل تحقيقه بنجاح في موت (نانشي) فقط لا غير.. تجمدت (إينانا) وقد تذكرت كيف استطاع (مردوخ) تكبيلها من قبل بمنتهى السهولة.. تجاهلها هذه المرة ولم يقم بتكبيلها وكأنه يقلل من شأنها، أو ربما نسيها في غمار صراعه مع (نينورتا) لنيل الهالة الإلهية.. سيندم على هذا الفعل كثيرا.. سمعت صوتا مزدوجا يهتف بها من الداخل آتيا من أعماق تلافيف عقلها (قومي باستدعائنا الآن يا سيدتي.. سنقوم بما يجب فعله من أجل الحفاظ على الهالة الإلهية بين يدي سيد الصواعق الأخير..) أغمضت عينيها مبتسمة رغما عنها، هما موجودان دائما.. يران ما تراه ويسمعان ما يُقال.. ولا يكفان عن التخطيط لحظة واحدة فيما يبدو.. غمغمت بهمس ممتنّ وهي تترك قبضتيها مركزة على رغبتها في تحرير البطلين:

- (جلجامش).. (سرجون).. لقد آن أوان قتالكما من أجلي.. اخرجا الآن..

أشار (مردوخ) بسبابته نحو (نينورتا) فتكونت حول جسده الأغلال القرمزية المضيئة، ثم شددت من إحكامها

حول جسده ففوجئ (نينورتا) بجسده يكف عن اندفاعه نحو الخيوط الفضية ويميل ليسقط أرضا، محاولا عبثا التخلص من القيود السحرية العجيبة.. تعجّب ولم يصدق كيف تم تقييده بسحر قوي لا يستطيع فكه رغم أنه سيد للصواعق.. انحنى (مردوخ) ليصبح في مستوى الخيوط الفضية المنسالة للهالة الإلهية، ثم فرد أصابعه نحوها ليجذبها نحوه، ووجهه ينطق بالنصر المطلق.. فقد استطاع تعويض خسارته ل(النمرود) بالاكتشاف المذهل لهذه الهالة الإلهية.. وكيان واحد نابع عن هالة إلهية يكفي لتعويض خسارة ساحر مثل (النمرود)، وربما أكثر.. وفي الأخير لم يكن مقتل (النمرود) إلا حدثا إيجابيا أدى لاكتشاف امتلاك هذه المقاتلة لهالة إلهية، وإن تعجّب سرا في ما يعنيه هذا من إنها بشرية، فكيف لبشرية أن تحارب بعالم غير عالمها كائنات خارقة بالنسبة لها -بمثل هذه الجرأة والضراوة؟- إنها حقا تستحق امتلاكها لهذه الهالة، وسيكون ممتنا للأرض على هذه الهدية الأخيرة..

شعر (نينورتا) بالقهر يغمره وهو يحاول إطلاق الصواعق لتخليص نفسه من قيوده السحرية، فشلت كل محاولاته، رنا نحو جثة (نانشي) وقد تعلقت عيناه بعينيها المحدقتين للفراغ بخواء، لن تكون هذه هي النهاية، فإن لم يستطع أن يحظى بها حية فليحارب من أجل اقتناص هالتها، ليتبقى

معه أي شيء ينتمي لكيان عشيقته التي ضحت بروحها من أجل قضيته.. أغمض عينيه محاولا القيام بخدعة أخيرة.. هجمت موجات من الغمام متسللة من كل منافذ قمة الزقورة.. كتل سوداء ملبدة تحركت بوعي لتنسل كلها نحو (مردوخ) وكأنها تهاجمه.. في نفس اللحظة التي وثب من أطراف أصابع (إينانا) كيانان شبحيان، الأول امتلك حجما ضخما وكأنه مارد عملاق مشعر بكثافة يمتلك كتلة عضلية متفجرة، ووجها رغم كل هذا ما زال مليحا جذاب الملامح ينسدل شعره الأكرت من تحت خوذته السوداء على منكبيه، بينما تألقت عيناه وكأنهما مصدرا ضوء وليستا مجرد عينين.. والثاني كان بحجم عادي أقل من حجم (نينورتا) بقليل، يرتدي لباسا حربيا سومريا تقليديا، مدججا بالدروع وخوذة ذات قرنين وشعر رأس ولحية مجدولين متصلين ببعضهما البعض، يشهر سيفه بيمينه حاملا درعه بيساره.. إنهما كيانا (جلجامش) و(سرجون) وقد انبثقا من مكمنهما بعد دهور ليلبيا نداء سيدتهما..

اضطربت الرؤية أمام (مردوخ) مع تكتل الغمام حول جسده فأعاق رؤيته تماما.. حاول التحرك معتمدا على غريزته فقد كان قاب قوسين أو أدنى من لمس خيوط الهالة الإلهية قبل أن يخفيها الغمام.. فوجئ ب(جلجامش) الضخم ينقض عليه من قلب الغمام مسددا لكمات متتالية

لجسده ليدفعه للخلف رغما عنه ويبعده عن الهالة، بينما ركض (سرجون) نحو (نينورتا) ليصيح به عقليا: (لا تجعل غمامك يتحرك عبثا.. بإمكانه القيام بأكثر من تشويش رؤية السيد الطافر.. بإمكانه حمل خيوط الهالة الإلهية وتوجيهها نحوك.. فقط ركّز بكل كيانك على ما تريد وسيحدث..) سارع (نينورتا) بتنفيذ نصيحة الملك المكين وبطل الأرض (سرجون الأكادي)، قام بتوجيه السحب لتحيط بالخيوط الفضية برفق وتقودها نحوه.. وشعر بغرابة وكأن الخيوط تسير طواعية مع السحب.. علم بأنها تمتلك وعيا وإرادة خاصين بها، وما زالت ترتبط بطريقةٍ ما ب(نانشي) وبما كانت تريده.. كانت تحتاج فقط للطريقة التي تمكّنها من التوجه إليه وليس لخصمه قاتلها، ولقد نجح في توجيهها بمساعدة (سرجون)، والآن يغمض عينيه منتظرا التحام الهالة الإلهية بجسده هامسا بوَلَهٍ:

- لا أستطيع شكرك كما تستحقين حبيبتي (نانشي)..

اندفع جسد (مردوخ) للخلف ليرتطم بالجدار ويحطم جزءا منه، نخر وزأر وزمجر وثار.. أدار رمحه حول نفسه ثم قذفه بقوة نحو (جلجامش).. اندفع الرمح بسرعة خارقة لينغرس بصدر الجسد القوي ويغوص عميقا، بينما قام (مردوخ) بتحريك يسراه لتندفع موجات قرمزية بالفراغ بددت تكتل

السحب وأعادت إظهار كل الموجودات بالغرفة مرة أخرى.. رأى بعينين مجنونتين الخيوط الفضية تحلق مدفوعة بمسيرة من الغمام نحو (نينورتا) فصاح بكل حنقه:

- هذا لن يحدث!

أزال (جلجامش) الرمح من صدره بيسر ثم أعاد قذفه نحو مرسله بقوة مماثلة.. التأم جرحه بلمح البصر وانطلق يعدو قبل أن ينتظر اكتمال انغلاق الجرح ليعاود الهجوم على (مردوخ).. زمجر السيد الطافر وهو يزيح الرمح بحركة من أصابعه ليسقط أرضا.. ثم أشار نحو (جلجامش) المهاجم ليتم تكبيله بواسطة الأغلال القرمزية السحرية.. زمجر (جلجامش) وحطّم الأغلال بانقباضة من عضلاته الرهيبة.. أطلق (مردوخ) صيحة ساخطة وهو يقوم بتجميع كل قوته ليصيب (جلجامش) بطاقة قرمزية صافية في صدره، كانت من القوة بأن دفعت جسده للخلف ساقطا على ظهره وقد تحطمت دروعه وسقطت خوذته متهشمة بجانبه.. ثم سارع بتوجيه قرصه الناري المحاط بالجماجم الرمادية ليتحرك قاطعا الفراغ بسرعة متخذا مسارات لولبية مراوغة متحسبة لأي مهاجم، مستهدفة موكب الخيوط الفضية المحاطة بالغمام.. وفي اللحظة التي استعد (نينورتا) فيها للالتحام بهالة (نانشي) الإلهية كان القرص الناري يضرب الخيوط

ويشتتها في الأرجاء، وكأنه يفكر في أنه إن لم ينجح في اقتناص الهالة فليحرم (نينورتا) منها..

تراجع (سرجون) خطوتين للخلف وخاطب (إينانا) عقليا: (نحتاج لقطيع الأسود الآن.. هذا السيد قوي حقا..) سارعت (إينانا) بتنفيذ نصيحة (سرجون) التي شعرت بها وكأنها أمر أكثر منها مجرد نصيحة.. روح الملك الغابر قد تم تقمصها بنجاح لتقوم بقيادة هذه المعركة الفاصلة للظفر بهالة (نانشي).. في نفس الوقت الذي ألقى بأمره الثاني ل(جلجامش)، الأمر الذي تم تنفيذه ليتفاجأ (مردوخ) ب(جلجامش) يعتدل ببطء ويكتفي بالتراجع للخلف وكأنه أدرك قوة خصمه فتجنب الالتحام به.. وربما يخطط لشيء ما أكثر مراوغة.. أيقن (مردوخ) أن صاحب الهالة الإلهية الثاني هذا هو من يدير هذه المعركة بكل شك، يديرها بمنتهى المكر والحنكة لذا لابد من التخلص منه.. سارع بتوجيه طاقته السحرية القرمزية المهلكة نحو (سرجون) لتنطلق نحوه دفعة من طاقة قادرة على دك الزقورة ذاتها بلمح البصر.. تراجع (سرجون) واثبا للخلف بمنتهى الرشاقة ليسمح لقطيع الأسود بالانبثاق من الفراغ فوق رأسه تماما مهاجما الطاقة القرمزية بفدائية، وزئيرهم يشق الفراغ ويهز صخور الجدران.. فتمزقت أجسادهم بعد أن امتصت الطاقة المهلكة وتبعثرت أشلاؤهم حول جسد (سرجون) لتفترش

الأرض، في حين قام هو بمسح بعض الدماء الصفراء عن وجهه وهو يعتدل بخفة..

نظر (نينورتا) نحو الخيوط الفضية وهي تتبعثر وتغادر الغرفة من عدة منافذ.. أطلق صيحة حملت ألمه وندمه وعجزه.. لا يمكن أن تضيع آخر هدية والذكرى الوحيدة التي تحمل بصمة ورائحة حبيبته (نانشي).. لا يجب أن يحدث هذا ولكن.. لقد فات الأوان بالفعل.. فوجئ ب(جلجامش) يثب نحوه ليبتر رثاءه لذاته ولفشله ويقوم باحتضانه بقوة فيحتويه بجسده.. أطبق عليه بعنف ليختفى جسد (نينورتا) بداخل ذراعي (جلجامش) العملاق.. زاد من قوة ضغطه على جسد (نينورتا) وكأنه يريد تحطيم جسده.. فهم (نينورتا) على الفور ما يربو العملاق لتحقيقه بُناءً على أمر (سرجون) الداهية.. فهم قبل أن حتى أن يمزق ضغط العملاق الأغلال القرمزية من حول جسده ويطلق سراحه.. ولكن فات الأوان واختفت الخيوط الفضية هاربة من عدة مخارج..

شعر (مردوخ) بالسخط يسيطر عليه لما أدرك أن (جلجامش) كان ينسحب تكتيكيا ليحرر (نينورتا).. التقط رمحه الملقي أرضا في نفس اللحظة التي قام بتوجيه قرصه الناري نحو (سرجون) قاصدا التخلص منه إذ كان يراه الخطر الأكبر.. انقض القرص على (سرجون) فباغته

(جلجامش) بأن هجم على القرص الناري والتقطه بيدين سريعتين قويتين، أمسكه بقوة ودار حول نفسه عدة مرات مزمجرا والنيران تأكل لحم قبضتيه مدوّرا القرص مع دوران جسده.. ثم قام بقذفه نحو مرسله.. (تحرّك كالبرق يا سيد الصواعق الأخير.. لن يكون هناك ما هو أسرع من البرق.. تتبع خيوط الهالة واقتنصها..) ردّ (نينورتا) بتخاذل على رسالة (سرجون) العقلية: (ولكنها تشتتت في كل اتجاه.. كيف سأقتنصها؟) قال له (سرجون) بحسم: (ستساعدك سيدة الهالة.. بقايا وعيها يمكنها التحكم بالخيوط وإعادة تجميعها إن أرادت.. لا تخذلها.. لا تتردد..)

ستريد بكل تأكيد أن أحصل على هالتها.. على آخر شيء تبقى منها بالكون.. على آخر ما يمكن أن يربط بيننا.. ستساعدني بعد موتها كما ساعدتني قبل موتها.. كما ساعدتني بموتها نفسه..

باعد (مردوخ) ما بين يديه ليحتوي القرص الناري الذي استكان أمامه بدلا من مهاجمته، فكّر لوهلة بمدى غباء عملاق الهالة الإلهية الذي هاجمه بسلاحه الشخصي، بوغت بزوجين من الأسود يهاجمانه من الجهتين يمينا ويسارا.. هل هذا غباء آخر من (إينانا) إذ تعيد مهاجمته بما لا يمكن أن يخدشه في أفضل الأحوال.. بدأ يفقد رباط جأشه وهو

يتلقى سيل الهجمات المتتالية غير ذات القيمة عندما أدرك أن كل ما يحدث ليس سوى استنزاف لقواه أو تشتيت لتركيزه، أطلق من يديه خيوطا قرمزية بَتَّارة هوت على أجساد الأسود لتقطعها لأشلاء محاولا استعادة تركيزه على الهالة المفقودة..

أطلقت (إينانا) زوجا جديدا من الأسود أمامها مباشرةً.. تحرر (نينورتا) الآن من قيوده السحرية فسارع بخلق عدة صواعق أصاب بها جسدي الأسدين.. كانت صواعق غير مدمرة أحاطت فقط بالجسدين وأكسبتهما هالة حامية من صواعق ظلت ترمي بشرر مستمر حول الجسدين.. قام (نينورتا) بخلق كتلة كثيفة من سحاب أسود ركامي أحاطت بوجه (مردوخ) وحجبت عنه الرؤية مؤقتا.. انطلق (جلجامش) يعدو من جهة يسار (مردوخ) بسرعة، بينما انطلق زوج الأسود المُعَزَّز بالصواعق يهاجم من جهة اليمين.. وفي الخلفية كان (نينورتا) يحلق كالبرق خارج الغرفة للفضاء خارج الزقورة في إثر الخيوط الفضية الفارة..

لمحه (مردوخ) بطرف عينه فجن جنونه.. لن يسعى سيد الصواعق خلف الهالة الإلهية إن لم يكن لديه أمل في الحصول عليها.. أطلق العنان لغضبه ليتحول لكتلة طاقة سحرية صافية حوّلت جسده لكيان ثائر مبهم الملامح

قرمزي اللون.. ثم انبعثت من الكيان خيوط قرمزية أحاطت بزوج الأسود إحاطة السوار بالمعصم وأوقفت اندفاعهما، ثم قامت بتوجيههما لتقذفهما بعنف نحو (جلجامش)، كان الاصطدام قويا، ضاعفت الصواعق المغلفة للجسدين من تأثيره على (جلجامش) الذي طاش اندفاعه وتدحرج جسده أرضا وشرارات كهربية تتراقص على جسده مسببة بقعا من تفحُّمٍ أسود بجلده.. بينما تكسر غلاف الصواعق المحيط بالأسدين وسقطا خلف (جلجامش) بأوصال ممزقة لا يقويان على الاعتدال..

أكمل الكيان هجومه الساحق على (سرجون) فأطلق نحوه سيلا من خيوط قرمزية قاتلة.. أيقنت (إينانا) أنه لا مفرّ ل(سرجون) يقيه هذه الخيوط المهلكة فسارعت باستدعائه مجددا، فاختفى من المكان وعاد ليستقر بمستقره الأصلي ملتحما بكيان (إينانا).. توقعت (إينانا) أن يعاود (مردوخ) هجومه الضاري عليها ولكنها فوجئت به يتجاوزها محلقا بكيانه القرمزي نحو الخارج متتبعا (نينورتا).. كانت هالة (نانشي) الإلهية هي مبلغ همّه.. تخلّص بأقصى سرعة من تشتيت خصومه مؤقتا لينطلق ويمنع (نينورتا) من الحصول على مراده، واقتناص الهالة لنفسه.. ثم ليعودنّ لسليلة أسياد الصواعق وبطليها ويهزمهم شر هزيمة، ويجبرهم على تسليمه هالتيهما المتفردتين والتي لمس بنفسه مدى قوتهما

في المعركة الحالية..

كانت الهالة تعيد تجميع نفسها بشكل استثنائي.. تتجمّع من كل الاتجاهات لتعود وتتشكل ببطء كتلةً واحدةً سميكة فضية تحمل هالة (نانشي) الإلهية.. وبينما يمد (نينورتا) يديه نحوها بعينين لامعتين حماسةً بوغت بالخيوط القرمزية الكريهة تشق الفراغ كأسواط فتاكة، وتهوي على صدره لتهز جسده هزا وتقذفه للخلف لمسافة بعيدة، مبتعدا تماما عن الهالة الإلهية، ثم تحركت هذه الأسواط بتمعّج سريع لتنقض على الهالة الإلهية، وكيان (مردوخ) القرمزي يعيد تشكيل نفسه في هيئة جسده الأسمر ذي الدروع وهو يصيح بانتصار:

- هالة أخرى يقتنصها سيد الأسياد!

راوغته الكتلة الفضية.. حدق بها (مردوخ) مشدوها لا يصدق ما يحدث.. أعاد توجيه خيوطة القرمزية نحو الكتلة الفضية فدارت حول الخيوط بمرونة ثم حلقت مبتعدة، متجهة نحو (نينورتا) الذي كان يحلق عائدا بتصميم ل(مردوخ).. وبينما التحمت هالة (نانشي) بصدر (نينورتا) واخترقت روحه وامتزجت بكيانه ندت عن (مردوخ) صيحة غضب عاتية وهو يهتف بحنق لا متناهٍ:

- للهالة إرادة إذًا؟!

شعر (نينورتا) بالطاقة تسري بجسده.. لمعت عيناه لوهلة ببريق شديد البياض قبل أن يعودا لسابق عهدهما.. شعر أنه لم يفقد (نانشي) وبقايا روحها تحوم بداخله تودّ الخروج والانتقام من قاتلها.. توحّدت الروحان في جسد واحد.. سمعها (نينورتا) تهمس بقوة تغلغلت بداخله وأطربته لحد الثمالة: (لن نفترق للأبد) ثم أضافت بلهجة مختلفة ومخيفة لم يعهدها فيها من قبل إبان حياتها: (ولننتقم ممن سلبني حياتي)

وجد (نينورتا) نفسه يقول لها برقة بدون أن ينطق: (لقد بدأت حياتنا للتوّ حبيبتي فلا تهني ولا تحزني) ثم أضاف بصوت مسموع:

- لنبدأ حياتنا الجديدة بسحق هذا الطافر المتعجرف!

سمعه (مردوخ) فضحك باستهانة وهو يقول بسخرية:

- أنظن أن امتلاكك لهذه الهالة سيغير من وضع تفوقي وهيمنتي عليكم جميعا؟ واهم.. كلكم واهمون واهنون أطفال..

كانت (إينانا) تحلق بحذر لتخرج من الغرفة وتستقر بالجو بالقرب من (نينورتا).. تقابل الثلاثة أسياد في نفس مستوى قمة الزقورة.. تحركت (إينانا) ببطء تقترب أكثر من شقيقها

وعيناها مثبتتان على (مردوخ) الذي كان يبتسم بمنتهى الثقة.. اتخذت موقعها بجانب (نينورتا)، وتدريجيا تجسد خلفها سرب من أسود ذهبية مجنحة تحلق في شكل نصف دائرة، وكانت تزمجر بضراوة.. ثم تلاه تجسد آخر ل(نانشي) بهيئتها المألوفة البشرية الغابرة فوق رأس (نينورتا) مباشرةً وإن بدت هيئتها تتموج كالسراب، واقفة في وضع متأهب وقد ارتسمت ملامح تصميم وعزم على وجهها، ومجموعة من خناجر من حديد متجمدة حولها كنطاق نصف دائري وقد تم توجيه مقدماتها كلها نحو (مردوخ)..

زمجر (مردوخ) بشراسة وقد انقلبت سحنته على نحو مفاجئ.. تحوّل لكيان قرمزي شديد التوهّج أضاء السماء.. ثم انفصل عن الكيان جسد ذهبي بوجه مألوف رافعا صولجانا من ضوء بيمناه.. إنه (حمورابي) متجسدا خارجا متحررا كهالةٍ إلهيةٍ.. كان يرمق وجوه خصومه بنظرة تحاكي في صرامتها والبغض الناجم عنها نظرة سيده (مردوخ).. حرّك صولجانه في الهواء مطلقا صيحة حماسية قبل أن يهتف مخاطبا الكيان القرمزي الطافر:

- ما زلت على اتصال بكهنة النار بعد مصرع سيد السحرة.. سأقوم بتحريرهم من العالم البشري واستدعائهم لهذه المعركة..

شق الأسماع ضجيجٌ وزئيرٌ وأصوات تدمير.. حرك كل من كيان (مردوخ) و(حمورابي) وجهيهما لينظرا نحو مصدر الإزعاج المباغت.. فوجئ الجميع بالزقورة تتراقص وكأنها على وشك الانهيار.. تميل وكأن شخصا ما يحاول دكها من قواعدها مما جعل قمتها ترتجف.. ألقى (مردوخ) و(حمورابي) نظرة أكثر تركيزا نحو أسفل الزقورة حيث خُيّل إليهما أنهما يريا كتلة نارية تقوم بالصعود، مدمرة كل ما يقابلها من صخور وطوابق بالزقورة.. كتلة تتسلق وتحلق وتزأر.. عقد (حمورابي) حاجبيه بتساؤل بدون أن ينطق فأشار له (مردوخ) بتأجيل استدعائه لكهنة النار حتى حين، اقتحمتهما ضحكة ساخرة من (نينورتا) قال لهما بعدها:

- لم تتوقع هذا أنت أو محاربك ذو الهالة الإلهية أليس كذلك؟ سيد من وحوش الأسياد تم ترويضه وهو قادم لسحقكما الآن، استدعته تهويدة الفتاة الرقيقة التي ترقد بغرفة معبدك الرئيسية والتي ليست إلا سيدة هذا السيد الوحشي..

نظر (مردوخ) بغلّ لملامح الكيان المتسلق الثائر والذي لم يكن سوى الوحش (خومبابا) يثب صاعدا الزقورة مطلقا نيرانه وزمجراته، آتيا للدفاع عن سيدته (نينشوبور) التي ترقد وتطلبه ليأتي ويدافع عنها وعن من تحب.. ولمح بطرف

عينه (جلجامش) يخرج من معبد الزقورة يمتطي متن أسد مجنح، حاملا سيفا حديديا، راسما ملامح رغبة متعطشة في القتل ولا شيء سوى القتل.. ولما تجسد بوسط قطيع أسود (إينانا) الملك (سرجون) مجددا أيقن (مردوخ) أنها ستكون معركة طاحنة لم يتوقع أن يخوض مثلها بعالمه السماوي.. لقد أحسنوا التخطيط بالتخلص من (النمرود) قبل بدء الصراع، وعليه الآن أن يواجه ثلاثة من الأسياد وثلاثة أبطال ذوي هالات إلهية.. ستكون نتيجة هذه المعركة محفوفة بالمخاطر.. سينتصر حتمًا، ولكنه سيخسر بعض من حلفائه ولا شك.. فكّر في أنه كان يرى نفسه قادرا على سحق عدة عوالم، ولكنه يقف الآن أمام جيش من فصيله ومن عالمه الذي كان يراه عالما أدنى لا يرقى لأن يمثل له تهديدا يوما ما، يقفون أمامه بتحدٍّ وقوف الندّ للندّ..

تخلى عن كيانه القرمزي ليعود لوجهه الأسمر ودروعه.. أعاد رؤية الموقف ككلّ.. رأى في خصومه تجمعا لا بأس به يمكنه الاستفادة منه بدلا من محاربته.. استرجع خطته الأساسية والتي كانت تقتضي ضرْب الأسياد بعضهم ببعض للخروج بالأقوى في النهاية.. وها هو حلف أسياد الصواعق يثبت أنه سيكون قوة لا يمكن الاستهانة بها.. لذا لابد من محاولة كسبهم كجنود بجيشه بدلا من محاربتهم، أو على الأقل عدم تدميرهم قبل أن يعطيهم الفرصة كاملة لمحاولة

استرداد إرثهم لحكم العالم السماوي..

تراجع للخلف برشاقة وهو يغتصب ابتسامة مبتورة قائلا ل(نينورتا):

- لديك رحلة محفوفة بالمخاطر لاستعادة عرش نسل أجدادك.. حاول التغلب كل من يقابلك من أسياد واسترد مكانتك كسيد لأسياد عالمنا السماوي.. حينها قد أراك حليفا محتملا وأشاركك خططي اللامحدودة للسيطرة على كل العوالم السماوية والأرضية.. حينها عليك أن تكون قد اتخذت قرارك سلفا لأنني لن أسمح لك بمباغتتي مجددا أبدا كما فعلت الآن..

ثم اختفى جسده كالسراب وصوته يتردد بالعقول عبر الأثير:

- إما أن تكون حليفي أو أسحقك أنت وجميع حلفائك!

٣٢- ملكان وعالمان

مخلوقان سماويان يحلق كلّ منهما في مواجهة الآخر.. ملكان.. يحدقان ببعضهما البعض تحديق من لا ينوي الشرّ للطرف الآخر، ولكنه لم يكن تحديق صديق في الوقت ذاته.. كانت نقطة لقائهما عند تماسّ حاجزي دهر متشققين، حاجز من جهة كل عالم من أحد عالمين، كان المكان مظلما بشدة وكأن الشمس لم تزره يوما، ولولا بصيص ضوء ذهبي آتٍ من خلف الملك الثاني لاستحالت الرؤية تماما.. لم تكن المرة الأولى للقائهما، رغم أنهما لم يكونا حليفين ولكن أضمر كل منهما للآخر احتراما كفل ألا يحدث تدخل من جهة أحد الطرفين بغرض الإيذاء للطرف الآخر.. جاران متحضران يكتفيان بتبادل بعض الخبرات في مجالات السحر والعلم والتاريخ والمعرفة، ولكنهما اضطرا لإجراء هذا الحديث شديد الأهمية مع حدوث تشقق حواجز الدهر وبدء حقبة جديدة بالكون كله..

كان الملك الأول فارع الطول تلألأت دروعه بانعكاس الضوء الذهبي الخافت، بينما لمع تاج أزرق فوق رأسه مُظْهِرًا جزءا من ملامح وجهه كانعكاسات مبهمة لمزيج من اللونين الأزرق والذهبي.. بينما بدا الملك الثاني أقصر طولا، يضيء تاجه الذهبي بنفس اللون القادم من خلفه، والذي يبدو الآن

وأنه نابع عن شيء أشبه بلوح ذهبي مضيء، وضعه كائن ثالث بارتخاء على صدره، كائن بدا إِأشبه بحارس شخصي لملكه ذي التاج الذهبي واقفا خلفه بتحفز، وقد بدا من الضوء الذهبي المتوهج عن اللوح الذي يحمله أنه كان عملاقا يفوق طوله طول الملك ذي التاج الأزرق..

قال الملك أزرق التاج:

- استدعيتني..

رد الملك ذهبي التاج:

- إن لم أكن قد استدعيتك أظن أنك كنت ستفعل المثل عاجلا أم آجلا..

- بسبب تصدع حواجز الدهر؟

- ليس بشكل مباشر ولكن نعم هذا هو السبب..

- وبشكل غير مباشر؟

تحرك الحارس العملاق بتململ ليتحرك وهج لوحه الذهبي في المكان قبل أن يكمل ملكه:

- هؤلاء السماويون البربريون، سماويوا (بابل).. أحدهم يملك بعضا من القوة وكثيرا من السحر.. وهو في طريقه لتجنيد جيش من أقوى كائناته السماوية لغزو باقي العوالم..

- باقي العوالم تعني باقي العوالم السماوية.. هذا لا ينطبق على عالمي الأرضي..

- على النقيض.. سيبدأ باستكشاف عالمكم الموازي لعالم البشر نظرا لأن بمقدوره استيعاب وجودكم.. ولكنه لم يكتشف مقر وجودنا الفعلي حتى الآن كسماويين آخرين، وجودنا برمته ليس إلا نظرية مكتوبة في سجلاتهم التاريخية كقصص مسلية خيالية لا يمكن تصديقها..

- تعني أنه نظريا يمكنه الوصول لنا ولكنكم مجهولون بالنسبة له؟

- هذا ما أعنيه تماما، وإن كان هذا لا يعني أنه لن يصبح بمقدوره الوصول إلينا عاجلا أم آجلا..

- لماذا كل هذا القلق؟ هل أنت خائف أيها الملك؟

ردت عليه زمجرة من الحارس ذي اللوح الذهبي، بينما هز الملك ذهبي التاج رأسه ببطء قائلا:

- تقدير قوة خصمي ليس بالخوف.. هناك حضارات وأقوام زالت من الوجود بسبب عدم الحرص.. ما زالوا متأخرين مقارنةً بنا، ويبدو متخلفين بالنسبة لكم.. ولكن الحرص لابد منه..

- ماذا تريد بالتحديد يا أيها الملك؟

- حاليا لا شيء.. فقط زد من درجة حرصك.. انشر جواسيسك بعالمهم، أصبح بالإمكان التسلل بين العوالم الآن بعد ما حدث من تصدع لحواجز الدهر.. انتظر اللحظة المناسبة وافتك بهم قبل أن يبادروك بهجوم غير متوقع..

- ماذا إن بادروك أنت بالهجوم؟

جاءه الرد هذه المرة من الخلف، من حنجرة الحارس الشخصي العملاق الذي قال بخشونة وبنبرة ثقيلة الوطء كالموت:

- سيكون هذا من سوء حظهم.. وسيكون أيضا فيه هلاكهم..

لم يغضب الملك أزرق التاج لهذا القول، كان يعلم جيدا أن ذلك الحارس يعني ما يقوله، فسمعته ذائعة الصيت كأحد أقوى سحرة الكون كله لا يمكن إنكارها.. لذا فقد وجّه الحديث لملكه قائلا:

- أعتقد أنك تلمّح لشيء أشبه بتعاون عسكري مشترك..

- ليس بالتلميح.. إنه اقتراح مباشر لا مفرّ منه..

- لن يمكنهم النجاة من حرب ضد جيش واحد من جيشينا،

لماذا المبالغة والتهويل في قوتهم؟ سماويوا ما بين النهرين ليسوا إلا همج لا أكثر..

قال الملك ذهبي التاج:

- ما تنامى لعلمي أن (مردوخ) هذا لا يمكن الاستهانة بقوته، كما أن لديهم كائنات عليا يلقبونهم بالأسياد هم نتاج طفرات أزلية جعلتهم مزودين بقدرات جسدية وسحرية يقومون بتوريثها عبر الأجيال.. إن أمكن له حشد عدد منهم ستكون حربا ضروس..

استدرك قبل أن يقاطعه الملك أزرق التاج المستاء:

- لا أعني بهذا أنهم سينتصروا، ولكنهم سينجحوا في تكبيد خصمهم الغزير من الخسائر الموجعة.. لن تمر خسارتهم بلا ثمن.. لذا نعم أفضّل أن أبالغ في تقدير قوتهم بدلا من أُفاجَأ بأنني قللث منهم وبوغتُّ بما لم تسُرُّني نتائجه..

جاء صوت من خلف الملك أزرق التاج يصيح بوحشية:

- ولماذا لا نبدأ بمهاجمتهم وغزوهم في عقر دارهم ووأد هجومهم قبل أن يبدأ؟

لم تظهر ملامحه، فقط إن دققت النظر سيتبين لك كتلة ضخمة مبهمة من عضلات يعلوها رأس صغيرة.. نهره الملك

أزرق التاج قائلا معاتبا:

- بنيّ.. لم نكن ولن نصبح يوما ما قوما غزاة.. نحارب فقط دفاعا عن قومنا وحضارتنا ووجودنا..

جاءت غمغمة الحارس ذو اللوح الذهبي تقول:

- للمرة الأولى أتفق مع حديث أحدٍ ما هنا!

قاطعه الملك ذهبي التاج:

- لا نريده اجتماعا محفزا لشن حرب مشتركة على أسياد (بابل)..

فاجأه الملك أزرق التاج بلهجة غريبة:

- ولمَ لا؟!

لمعت عينا الملك الذهبي بقلب الظلام وهو يسأل بلهجة تقطر تعجبا:

- أتغيرت سياستك؟

ندت عن الملك أزرق التاج ضحكة خافتة قبل أن يردّ بهدوء شديد:

- لا بالطبع.. مجرد مناقشة للفكرة.. شعب (أطلنتس) لم يكن يوما سببا لبدء حرب.. نحن مسالمون دوما وأبدا.. ولكننا

نملك أقوى محاربي الكون إن أراد أحدهم العبث باستقرارنا..

ثم أمال رأسه للوراء وقد بدأ طرف صولجانه شديد الطول كالرمح يلمع ككرة زرقاء متوهجة بنبض رتيب، محدثا ابنه:

- أليس كذلك يا (أطلس)؟

زمجر (أطلس) كتلة العضلات المتجسدة دون أن ينطق، فعاد ينظر للملك ذهبي التاج ويقول له بلهجة من حسم الأمر:

- حسنا.. ليكن التعاون بين شعبينا، بين الأطلنتيين وبينكم.. من تعدّى على أحدنا فكأنه تعدى على كلانا..

تنهّد الملك ذهبي التاج براحة متمتما وهو يريح صولجانه على عاتقه:

- هذا يكفيني..

بدا أنهما يتصافحان بقلب الظلام تأكيدا لمعاهدتهما الشفوية، ثم تفارقت أيديهما ليقوم الملك الأطلنتي (أورانوس) بالسؤال بجدية تفوح قلقا:

- حديث كهذا يجب أن يظل سرا أيها الملك.. ألا تظن أن هناك من يكون يتنصت الآن علينا؟

نظر الملك ذهبي التاج خلفه نحو حارسه العملاق، وأشار

نحو لوحه الذهبي قائلا بفخر:

- لا يوجد سحر يمكنه اختراق لوح السحر الذهبي الذي يملكه سيد السحر (أنوبيس)..

أضاء اللوح بقوة ليحيل الليل نهارا، وظهرت ملامح وجه ابن آوى الأسمر القاسي وهو يبتسم ابتسامة أبرزت كل أسنانه الحيوانية المدببة..